كتاب الفضائل

١٨٠ـ باب فضل قراءة القرآن

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: كتاب الفضائل.

الفضائل: جمع فضيلة، ثم بدأ بفضائل كتاب الله عزَّ وجلَّ ـ فقال: باب فضل قراءة القرآن، والقرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تكلَّم به سبحانه وتعالى حقيقته كلامًا سمعه جبريل، ثم تلاه جبريل على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤]. وقال: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ لأن القلب هو محل الوعي والإدراك والفقه لتكون من المنذرين، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]. وكان النبي ﷺ من شدة حرصه على القرآن كان يبادر جبريل ـ وجبريل يقرأ عليه يلقنه ـ فيبادره القراءة، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾. يعني: اسكت حتى يقرأ جبريل ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨]. يعني: قرأه جبريل الذي هو رسول رب العالمين إلى محمد ﷺ

﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]. يعني: اقرأه بعده ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]. يعني لا تقاطع جبريل في قراءته.

فهذا القرآن تكلَّم الله به - جَلَّ وعلا - هو يتكلم به سبحانه وتعالى - إذا أراد أن ينزله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. وهذه الجملة جملة ماضوية، يعني: أنها فعل ماضٍ: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾. يدل على تقدم كلام هذه المرأة وعلى تأخر كلام الله تعالى في قصتها وشأنها، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٢١]. هذا في أحد، يقول: إذ غدوت من أهلك، إذًا فالغدو سابق على كلام الله تعالى هذا، والله جَلَّ وعلا يتكلم متى شاء بما شاء، كيف شاء.

ولا يحل لنا أن نقول: إن كلام الله تعالى ككلامنا يعني أن صوته في القرآن كأصواتنا، كلا؛ لكنه يتكلم بالحروف التي نتكلم بها، فهذا القرآن الذي بين أيدينا هو الحروف التي نكون منها كلامنا، وهو كلام الله عزَّ وجلَّ، المعنى واللفظ كله كلام الله، هذا هو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة أهل السنة: أن القرآن كلام الله وأنه منزل من عنده، وأن الله تكلم به حقيقة وأنه تلقاه عنه

جبريل، ثم نزل به على قلب النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]، فهو أمين، أعني جبريل عليه الصلاة والسلام، نزل به على أمين البشر، جبريل أمين الملائكة، ومحمد ﷺ أمين البشر، وكلاهما أمين على وحي الله عزَّ وجلَّ.

هذا القرآن له فضائل عظيمة، فضائل عامة، وفضائل في آيات وسور خاصة، مثلاً الفاتحة هي السبع المثاني، وهي أم الكتاب، آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وهلم جرًّا، فهناك آيات أو سور لها فضائل خاصة، أما القرآن عمومًا فله أيضًا فضائل عامة.

وهذا يوجب لنا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله عزَّ وجلَّ ـ ليلاً ونهارًا ـ؛ لأن الإنسان إذا تلا كلام الله صار له بكل حرف عشر حسنات، الحرف الواحد من الكلمة له فيه عشر حسنات، فمثلاً «قل» هذه فيها عشرون حسنة؛ لأنها حرفان: القاف واللام. «أعوذ» هذه أربعة أحرف فيها أربعين حسنة، يعني ثواب عظيم لا يتصوره الإنسان إذا قرأ هذا الكتاب العزيز العظيم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢].

وينبغي للإنسان إذا قرأ القرآن أن يترسَّل فيه وألا يتعجَّل عجلة توجب سقوط بعض الحروف، فإن بعض الناس يهذّه هذًّا حتى

يسقط بعض الحروف، هذا ما تلاه كما أنزل، لابد من بيان الحروف، أما التجويد المصطلح عليه فليس بواجب، لكنه من كمال تحسين الصوت، فالواجب ألا تسقط حرفًا من الحروف ولا شَدَّة من الشدات، وأما قواعد التجويد المعروفة فهي من باب التحسين والتكميل وليست من باب الواجبات، ولهذا يضعف القول بأن التجويد واجب وأن من لم يجود القرآن آثم، فإن هذا قول ضعيف جدًّا، بل يُقال القرآن أَمْرُه - ولله الحمد - بيِّن واضح لا تسقط حرفًا من حروفه، وأما مُراعاة قواعد التجويد فليست بواجبة، لكنها من باب تحسين الصوت بالقرآن.

واعلم أن القرآن أول ما نزل نزل على سبعة أحرف، ليس على حرف واحد؛ لأن الناس عرب من قبائل متعددة ولهجات مختلفة، تعرفون أن الواحد إذا أراد أن يتكلم بلهجة غيره يصعب عليه ويشق عليه، فكان من رحمة الله عزَّ وجلَّ - أن جعل القرآن على سبعة أحرف، كل يقرأ بلهجته من العرب، بقي على هذا، في عهد النبي ﷺ كله، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عمر، وفي عهد عثمان صار الناس يقرؤون على لهجاتهم فصار في هذا اختلاف.

واللغة القرشية كانت قد غلبت على جميع اللهجات، بعد أن تطور اللسان وصارت الدولة كل خلفائها من قريش غلبت اللغة

القرشية، غلب حرف قريش على جميع اللغات، فلما خاف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يختلف الناس في كلام الله وأن تؤدي هذه الأحرف السبعة إلى شقاق ونزاع، أمر رضي الله عنه أن يوحَّد القرآن على حرف واحد ـ ألا وهو حرف قريش ـ أي لغة قريش ـ فجمع القرآن على حرف واحد على لغة قريش وهو الذي نقرأ به الآن، ثم أمر بسائر المصاحف فأحرقت؛ فأحرقوها لئلا تبقى فيفتتن الناس بها، فكان في ذلك مصلحة عظيمة وفضيلة لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لا تنسى، فنسأل الله تعالى أن يجزيه عن المسلمين خيرًا.

وأحثّ نفسي وإياكم على تلاوة كتاب الله، لا تتركوا القرآن، ولو في الشهر مرة تقرأه كله، أو بالشهر مرتين، أو بالشهر أربع مرات، أو بالشهر عشر مرات، وهذا أدنى ما يكون من الكمال، أن تحفظه كل ثلاثة أيام، هذا أفضل ما يكون، وإن رأيت أو لم يتيسر لك إلا في الأسبوع مرة، أو في عشرة أيام مرة، أو في الأسبوعين مرة، أو في ثلاثة أسابيع مرة، أو في الشهر مرة، الحاصل ألا تهجر القرآن؛ لأنه كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يزيدك إلا نورًا في القلب وبصيرة في العلم، والله الموفق.

* * *

١/٩٩١ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «اقْرَؤوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأصْحَابِهِ» رواه مسلم[١].

٢/٩٩٢ ـ وَعَن النَّوَّاسِ بن سَمَعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا تَقدمُهُ سورَةُ البَقَرةِ وآل عِمرَانَ، تُحَاجَّانِ عن صاحِبِهِمَا» رواه مسلم[٢].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب «فضل قراءة القرآن»، ومنها عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن» فأمر ﷺ بقراءة القرآن وأطلق، فقراءة القرآن مستحبة في كلِّ وقت وعلى كلِّ حال إلا إذا كان الإنسان يقضي حاجته ـ فلا يقرأ القرآن؛ لأن القرآن محترم معظَّم فلا يقرأ في هذه الحال، وكذلك إذا كان الإنسان مع أهله حال جماعه فإنه لا يقرأ القرآن، لكنه يقول عند جماعه: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة...، رقم (٨٠٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة...، رقم (٨٠٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع...، رقم (١٤١).

قال النبي ﷺ: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفعيًا لأصحابه» إذا كان يوم القيامة جعل الله عزَّ وجلَّ ثواب هذا القرآن شيئًا قائمًا بنفسه، شخصًا يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى ـ فإن القرآن إذا تلاه الإنسان محتسبًا فيه الأجر عند الله؛ فله بكل حرف عشر حسنات.

ومثله حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن من قرأ القرآن وعمل به، فإنه يأتي يوم القيامة يتقدمه سورة البقرة وآل عمران يحاجّان عن صاحبهما يوم القيامة، ولكن الرسول ﷺ قيَّد في هذا الحديث قراءة القرآن بالعمل به؛ لأن الذين يقرؤون القرآن ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يعملون بالقرآن؛ فلا يؤمنون بأخباره ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر يؤمنون بأخباره ويصدقون بها ويعملون بأحكامه.. فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم يحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي ﷺ قال: «القرآن حجة لك أو عليك»[1]، وفي هذا دليلٌ على أن أهم شيء في القرآن: العمل به. ويؤيد هذا قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يتفهمون معانيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء...، رقم (٢٢٣).

يعني: ويعملون بها، وإنما أخر العمل عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر، إذ إن التدبر يحصل به العلم، والعمل فرع عن العلم، فالحاصل أن هذا هو الفائدة من إنزال القرآن: أن يتلى ويعمل به، يؤمن بأخباره ويعمل بأحكامه، ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه، فإذا كان يوم القيامة فإنه يحاج عن أصحابه يوم القيامة، وفي هذا دليلٌ على أن الترتيب بين سورة البقرة وآل عمران والنساء هو على ما في المصحف الآن يعني البقرة ثم آل عمران ثم النساء.

وأما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلَّى مع النبي ﷺ فقرأ بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران، فإن هذا نسخ بالترتيب الأخير حيث جعلت آل عمران قبل النساء، ولهذا اتفق الصحابة رضي الله عنهم على أن آل عمران بعد سورة البقرة، فهي بينها وبين سورة النساء، والله الموفق.

* * *

٣/٩٩٣ ـ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري[١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم مَن تعلَّم العلم وعلَّمه...، رقم (٥٠٢٧).

٤/٩٩٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الَّذِي يَقرَأُ القرآن وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عليهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرانِ» متفقٌ عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» الخطاب للأمة عامة، فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين: من تعلم القرآن وعلم القرآن، تعلمه من غيره وعلمه غيره، والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي، فمن حفظ القرآن يعني صار يعلم الناس التلاوة ويحفظهم إياه فهو داخل في التعليم، وكذلك من تعلم القرآن على هذا الوجه فهو داخل في التعلم، وبه نعرف فضيلة الحِلَق الموجودة الآن في كثيرٍ من البلاد ولله الحمد ـ في المساجد حِلَق يتعلم الصبيان فيها كلام الله عزَّ وجلَّ، فمن أسهم فيها بشيء فله أجر، ومن دخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرع وعلم فيها فله أجر، كلهم داخلون في قوله: «**خيركم من تعلم القرآن**»

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ . . . ، رقم (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه. . . ، رقم (٧٩٨).

والنوع الثاني: التعليم المعنوي، يعني تعليم التفسير، أن الإنسان يجلس إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كيف يفسر القرآن، والقرآن كما نعلم متشابه، تجد أحيانًا أن بعض الآيات تتكرر بلفظها مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩]، هذه تكررت بلفظها في سورتين: في سورة التوبة وفي سورة التحريم، وكذلك كثيرٌ من الآيات يتكرر، فالقرآن متشابه، فإذا علم الإنسان غيره كيف يفسر القرآن وأعطاه القواعد في تفسير القرآن فهذا من تعليم القرآن. وليعلم أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب من حيث التفسير، يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يفسر القرآن بهواه ويحمل الآيات على ما يريده هو، كما يفعل أهل الإلحاد في آيات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من أهل التعطيل وغيرهم يحملون الآية على غير ما أراد الله، مثلاً يقول في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، يقول: وجاء أمر ربك هذا حرام. لا يجوز؛ لأن الذي يفسر القرآن إنما يشهد على الله أنه أراد كذا، وهذه عظيمة وليست هينة، لو كنت تفسر كلام عالم من العلماء لعد ذلك جناية إذا فسرته بما تريد أنت، فكيف بكلام رب العالمين! ولهذا جاء في الحديث: «من قال في

القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[١] فالواجب أن الإنسان يتحرز من أن يقول معنى الآية كذا وكذا وهو لا يدري ـ لكن إذا كان طالب علم وتكلم بمعنى الآية عند من هو أعلم منه على أساس أنه سيرشده إذا أخطأ فلا بأس، ومن ذلك ما يلقى في الاختبارات يلقى للطالب مثلاً: فسر الآية كذا وكذا، ويكون الطالب ليس عنده في تلك الساعة استحضار لمعناها فهل يفسرها بما عنده؟ نقول: نعم؛ لأن هذا يختبر وإذا أخطأ فعنده من ينبهه، لكن يتحرى الصواب، أما الإنسان الذي يفسر لا على هذا الوجه وهو ليس عنده علم ـ فإنه لا يجوز له أن يقدم على هذا؛ لأن كلام الله عزَّ وجلَّ ليس كغيره.

أما حديث عائشة رضي الله عنها ففيه أن النبي ﷺ أخبر أن «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» الماهر: الذي يجيد القرآن، يتقنه، هذا مع السفرة الكرام البررة وهؤلاء السفرة الكرام البررة هم الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]. فالماهر مع الملائكة، وأما الإنسان الذي يتتعتع في القرآن ويتهجاه وهو عليه شاق فله أجران، الأجر الأول أجر التلاوة، والثاني أجر التعب

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسِّر القرآن برأيه...، رقم (٢٩٥١).

والمشقة، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة «أجرك على قدر نصبك»[(١)] يعني: على قدر التعب، فالذي يتتعتع في القرآن ويشق عليه له أجران: أجر التلاوة وأجر قراءة القرآن، لكن الأول أفضل منه؛ لأن الأول مرتبته عظيمة، وفرق بين إنسان له مرتبة عالية وإنسان دون ذلك ولكن له أجر، ونضرب مثلاً لهذا ـ والثواب ليس له نظير ـ لكن لو أن رجلاً له شرف وسيادة ومنزلة عالية في الناس لكن أمواله قليلة، وإنسان آخر وضيع بين الناس ليس له قيمة لكن عنده أمواله كثيرة، الأول أفضل.

فالحاصل أن الماهر بالقرآن المجيد فيه مع السفرة الكرام البررة، وأما الذي يتلو القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران، إذاً الذي يتلو القرآن ليس بخاسر مهما كان، إنه رابحٌ على كل حال؛ والله الموفق.

* * *

٥/٩٩٥ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمنِ الَّذِي يَقْرأُ القرآن مثلُ الأُتْرجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعمُها طَيِّبٌ، ومثلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقرَأُ القُرآنَ كمثَلِ التَّمرَةِ: لا

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج...، رقم (١٢١١).

ريحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ القرآنَ كَمَثَلِ الريحَانَةِ: ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمَها مرٌّ، وَمثَلُ المُنَافِقِ الذي لا يَقْرأُ القرآن كمثلِ الحنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعَمُهَا مُرٌّ» متفقٌ عليه[١].

الشرح

هذا الحديث ساقه المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه: رياض الصالحين، في باب فضل قراءة القرآن في رياض الصالحين في بيان أقسام الناس بالنسبة للقرآن، أن النبي ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق، المؤمن إما أن يكون قارئًا للقرآن أو غير قارئ، فإن كان قارئًا للقرآن؛ فمثله كمثل الأترجة يعني الثمرة ـ ريحها طيب وطعمها طيب، فهذا المؤمن الذي يقرأ القرآن؛ لأن نفسه طيبة وقلبه طيب، وفيه خير لغيره، الجلسة معه خير، وكما قال النبي ﷺ: **«مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إما أن يبيعك أو يحذيك أو تجد منه رائحة طيبة»**[٢] فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كله خير في ذاته وفي غيره، فهو كالأترجة لها رائحة طيبة ذكية وطعمها طيب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام...، رقم (٥٠٢٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن...، رقم (٧٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك...، رقم (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء...، رقم (٢٦٢٨).

أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو كمثل التمرة، والتمرة طعمها حلو ولكنها ليس لها رائحة ذكية كرائحة الأترجة، ونفى النبي ﷺ ريحها؛ لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شيء له رائحة، لكن ليست رائحتها ذكية تجذب الناس لكنها حلوة طيبة، هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، إذًا فالمؤمن القارئ أفضل بكثير من المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، يعني: لا يعرفه ولم يتعلمه. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة لكن طعمها مرٌّ؛ لأن المنافق في ذاته خبيث لا خير فيه، والمنافق هو الذي يظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر والعياذ بالله ـ وهو الذي قال الله فيه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]. فهناك منافقون يقرؤون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون والعياذ بالله ـ كما قال النبي ﷺ في الخوارج: «يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم»(١) هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ...﴾...، رقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج...، رقم (١٠٦٣).

ضرب النبي ﷺ لهم مثلاً بالريحانة ريحها طيب وذلك لما معهم من القرآن، وطعمها مُرّ وذلك لخبث طريتهم وفساد نيتهم، والمنافق الذي لا يقرأ القرآن ضرب النبي ﷺ له مثلاً بالحنظلة طعمها مُرّ وليس لها ريح، هذا المنافق الذي لا يقرأ القرآن لا خير فيه، طعمه مر وليس معه قرآن ينتفع الناس به؛ هذه أقسام الناس بالنسبة لكتاب الله عزَّ وجلَّ ـ فاحرص يا أخي المسلم على أن تكون من المؤمنين الذين يقرؤون القرآن ويتلونه حق تلاوته حتى تكون كمثل الأترجة رائحة طيبة وطعم طيب، والله الموفق.

* * *

٦/٩٩٦ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرفَعُ بِهَذَا الكِتَاب أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» رواه مسلم[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن فيما نقله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من. . .، رقم (٨١٧).

ويضع به آخرين» يعني معناه: أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه، فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، ومنهم من يضعه الله به في الدنيا والآخرة، فمَنْ هذا؟ ومَنْ هذا؟ من عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره وتنفيذًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه، واهتداءً بهديه، وتخلقًا بما جاء فيه من الأخلاق وكلها أخلاق فاضلة ـ فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا وفي الآخرة، وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم ومنبع العلم وكل العلم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

أما في الآخرة فيرفع الله به أقوامًا في جنات النعيم، يرفع فيها درجاتهم ويُقال للقارئ: «اقرأ ورتل واصعد»[(١)] إلى منتهى قراءته صعودًا في الجنة إن شاء الله ـ وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله ـ لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملاً ويجحدونه خبرًا، إذا جاءهم شيء من القرآن قصص عن الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك صاروا ـ والعياذ بالله ـ يشككون في

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٩٢)، وأبوداود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة...، رقم (١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من أجر...، رقم (٢٩١٤).

ذلك ولا يؤمنون؛ بل ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]. مرتابون ـ والعياذ بالله ـ وربما تصل بهم الحال إلى الجحد مع أنهم يقرؤوا القرآن، وفي الأحكام يستكبرون عن أحكامه، لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون عن نهيه، هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ يضعهم الله في الدنيا وفي الآخرة، ولابد أن يكون أمرهم خسارًا، حتى لو فرض أن الدنيا تزدان لهم وتتزخرف فإن مآلهم إلى الخسار والعياذ بالله ـ ولكن ربما يمهل لهم ويملي لهم وتنفتح عليهم الدنيا، ولكنهم كلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا فإنهم لا يزدادون به إلا خسارًا والعياذ بالله ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. يعني: ربما يملي الله سبحانه وتعالى ـ للكافر الجاحد المستكبر وتزدان له الدنيا، لكنه لا يزيده ذلك إلا إثمًا وخسارًا في الآخرة والعياذ بالله ـ فالحذر الحذر أن تكون من القسم الثاني الذين يضعهم الله تعالى بهذا القرآن، كن من القسم الأول الذين يرفعهم الله تعالى بالقرآن جعلنا الله وإياكم منهم.

* * *

٧/٩٩٧ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله القُرآنَ؛ فهوَ يقومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً؛ فَهُوَ يُنْفِقهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النهارِ» متفقٌ عليه[1].

«والآناءُ» السَّاعَاتُ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل القرآن في كتابه رياض الصالحين فيما نقله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين» الحسد قال العلماء إن معناه هنا هو الغبطة، يعني لا شيء فيه غبطة إلا في هاتين الاثنتين، وذلك لأن الناس يغبط بعضهم بعضًا في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، فتجد مثلاً ـ بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات، وما أشبه ذلك، يقول: هذا هو المغتبط وما أشبه ذلك، يحسد ـ أي: يغبط ـ بعض الناس على ما آتاه الله من الصحة وسلامة البنية وغير ذلك، يغبطه على أنه له شرف وجاه في قومه، إن قال سمع، وإن عمل اتبع فيقول هذا هو الذي

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن...، رقم (٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، رقم (٨١٥).

يغبط، لكن النبي ﷺ بين أن الذي يغبط من حصل على إحدى هاتين المسألتين:

الأولى: رجل آتاه الله تعالى القرآن - فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، آتاه الله القرآن حفظ القرآن وفهم القرآن وعمل بالقرآن آناء الليل والنهار يقوم به، يفكر ماذا قال الله - عزَّ وجلَّ - عن الصلاة، فيقول: إن الله قال: «أقيموا الصلاة» فيقيمها، ماذا قال عن الزكاة، قال إن الله يقول: «آتوا الزكاة» فيؤتيها، ماذا قال الله عن الوالدين، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. ماذا قال عن صلة الأرحام: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]. فيصل رحمه، ماذا قال عن الجيران، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. إلى آخره، فتجده يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار. هذه هي الغبطة، وهي الغنيمة، وهي الحظ؛ لأن هذا يبقى.

والثانية: «رجل آتاه الله المال» يعني: أعطاه الغنى «فهو ينفق المال آناء الليل وآناء النهار» ينفقه يعني: في سبيل الله، فيما يرضي الله عزَّ وجلَّ - أي شيء يرضي الله ينفق ماله فيه في بناء المساجد، في الصدقات على الفقراء، إعانة المجاهدين، في إعانة الملهوفين، وغير ذلك، الحاصل أنه لا يجد شيئًا يقرب إلى الله إلا بذل ماله فيه

ليلاً ونهارًا، ليس ممسكًا وليس مبذرًا، ليس ممسكًا فيبخل، ولا مبذرًا فيغلو ويزيد؛ بل هو ينفقه لله وبالله وفي الله مخلصًا لله مستعينًا به متمشيًا على شرعه، هذا هو الذي يغبط، أما الذي عنده شيء من الدنيا يتمتع بها كما تتمتع البهيمة بالعلف ثم يذهب عنها، هذا ليس محسودًا ولا يحسد على ذلك؛ لأن هذا المال تالف أو متلوف عنه، لكن الذي ينفق ماله في سبيل الله هذا هو الذي يغبط، وفي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار، دائمًا يجعل أعماله كلها مبنية على القرآن، يتمشى بهدي القرآن، وأنه ينبغي لمن آتاه الله المال أن يؤدي حقه ويقوم بواجبه وينفقه حيث كان إنفاقه خيرًا، والله الموفق.

* * *

٨/٩٩٨ - وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَجلٌ يَقْرَأُ سورَةَ الكهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَربُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّته سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِر مِنْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «تِلكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرآن» متفقٌ عليه[١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف...، رقم (٥٠١١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، نزول السكينة لقراءة القرآن...، رقم (٧٩٥).

«الشَّطَنُ» بفتحِ المعجمة والطاءِ المهملة: الحبلُ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل قراءة القرآن ما يدل على فضل قراءة القرآن من الأحاديث السابقة واللاحقة، فمن ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رجلاً كان يقرأ في سورة الكهف، وسورة الكهف هي السورة التي بين سورتي الإسراء ومريم، ومن فضائلها أن الإنسان إذا قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين، وفيها قصص وعِبر قصَّها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على رسوله ﷺ. وكان هذا الرجل يقرأ القرآن فغشيه ـ يعني غطاه ـ شيء مثل الظلة كأنه غمامة، كلما قرأ نزل، كلما قرأ نزل من فوق، وجعل الفرس وهو مربوط بشطنين تميل، تنفر من هذا الذي رأته، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «**تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن**»؛ لأن السكينة تنزل عند قراءة القرآن إذا قرأه الإنسان بتمهل وتدبر فإن السكينة تنزل حتى تصل إلى قلب القارئ فينزل الله السكينة في قلبه.

وهذه القصة من كرامات الأولياء، فالأولياء لهم كرامات، لكن ليس لكل ولي كرامة، وإنما يؤتي الله سبحانه وتعالى بعض الأولياء الكرامة تثبيتًا له وتصديقًا لما كان عليه من الحق، وهي ـ يعني

الكرامات ـ أمور خارقة للعادة ـ يعني لا تأتي على وفق العادة ـ يجريها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على يدي بعض أوليائه تكريمًا له وتثبيتًا له وتصديقًا لما هو عليه من الحق، وهي في نفس الوقت معجزة للرسول الذي يتبعه هذا الولي، وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن الخوارق ثلاثة أقسام:

قسم آيات للأنبياء، وقسم كرامات للأولياء، وقسم إهانات من الشياطين يجريها الله على خلاف العادة على أيدي الشياطين ـ والعياذ بالله ـ وعلامة ذلك أن الذي تحصل له هذه الخوارق إما أن يكون نبيًّا أو وليًّا للرحمن أو وليًّا للشيطان، ومن المعلوم أنه بعد وفاة رسولنا محمد ﷺ لا يمكن أن تكون كرامة معجزة أبدًا؛ لأن النبوة انقطعت، وذاك رسول الله وخاتم النبيين، بقيت الكرامات وبقيت الأحوال الشيطانية والشعوذات والسحر وما أشبه ذلك، الكرامات علامتها أن يجريها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على يد رجل صالح من أولياء الله، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فإذا جرى شيء خارق للعادة على يد رجل صالح مؤمن تقي معروف بالخير قيل هذه كرامة.

والقسم الثالث السحر والأحوال الشيطانية تجري على طواغيت

وأولياء الشياطين الذين يدعون أنهم أولياء، ويلعبون بعقول السفهاء وعقول العامة، تجد الإنسان يكبر عمامته ويوسع كمه ويطيل لحيته ويعفر جبهته على الأرض ليظهر عليه أثر السجود وما أشبه ذلك من اللعب بعقول الناس، ثم يستخدم الشياطين لأغراضه الخاصة فتخدمه فتقرب له البعيد، وربما تحمله في الهواء ويطير في الجو، حتى قيل إن بعضهم شوهد في بيته في أول يوم عرفة ثم حملته الشياطين حتى أدرك الناس في عرفة. فهؤلاء الشياطين يلعبون بعقول الناس.

وإن كانوا يفعلون هذا الشيء فإنه لا كرامة لهم، والكرامات والإهانات ألَّف فيها العلماء كثيرًا، ومن أحسن ما ألّف كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ذكر فيه أشياء كثيرة من كرامات الأولياء وأشياء أخرى من إهانات الأعداء، يذكر أن (مسيلمة الكذاب) الذي خرج في اليمامة في عارض الرياض وادَّعى أنه نبي، أنه جاءه قوم فقالوا له: إن عندنا بئرًا غار ماؤها ولم يبق منه إلا قليل، وطلبوا منه أن يأتي إليها، لأجل أن يبرك عليها كما كان الرسول ﷺ إذا شكوا إليه قلة الماء يسر الله على يديه ﷺ أن ينبع الماء من بين أصابعه فجاءوا إلى (مسيلمة الكذاب) وقالوا إن البئر غار ماؤها ولم يبق فيه إلا قليل

فذهب إلى البئر يقولون: إنه مج فيها مجة من الماء في هذا البئر ولما مج فيها الماء غار الماء الموجود فيها، وكانوا يتوقعون أن الماء يجيش ويكثر ويرتفع فأراهم الله عزَّ وجلَّ ـ آية لتكذيب هذا الرجل، هذا لا شك ـ أنه أمر خارق للعادة، يعني ليس من العادة أن الإنسان يمج الماء في بئر ليس فيها إلا ماء قليل ثم يغار، هذا خلاف العادة؛ لكنَّ الله أجرى ذلك إهانة له، فعلى كل حال إذا رأيت من شخص ما يكون خارقًا للعادة فإن كان مؤمنًا تقيًّا يعرف بالصلاح والاستقامة فهذه من كرامات الأولياء، وإن لم يكن ذلك فهي أحوال شيطانية من الشياطين، أو سحر يسحر أعين الناس؛ لأن السحر قد يسحر الأعين حتى ترى المتحرك ساكنًا والساكن متحركًا، فهاهم سحرة فرعون ألقوا حبالاً عادية وعصيًّا ألقوها في الأرض ثم سحروا أعين الناس حتى جعل الوادي كله حيات وثعابين، حتى أوجس موسى ﷺ في نفسه خيفة، فأمره الله تعالى أن يلقي عصاه ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٢]، حية عظيمة فجعلت تمشي على هذه الحبال والعصي تلقفها فعرفوا أنه صادق؛ لأنه التهم كل سحر، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٥].

فالحاصل أن هذه الظلة التي حصلت لهذا القارئ الذي كان يقرأ سورة الكهف هذه كرامة له، وهي شهادة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالفعل

على أن هذا القرآن حق تنزل السكينة لقراءته وتلاوته. نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم به، وأن يجعله حجة لنا وقائدًا لنا إلى جنات النعيم.

* * *

٩/٩٩٩ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمثَالِهَا لا أَقُولُ: ألم حَرفٌ، وَلَكِنْ: ألفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[١].

١٠/١٠٠٠ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الْخَرِبِ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[٢].

الشرح

هذان الحديثان في بيان فضل قراءة القرآن وثوابه، والحديث الأول عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من

---

(١) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر...، رقم (٢٩١٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/٢٢٣)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر...، رقم (٢٩١٣).

قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها» ثم بيَّن ذلك في قوله: «لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» فتكون ثلاثة فيها ثلاثون حسنة. وكذلك بقية الكلمات، فإذا قرأ الإنسان القرآن العظيم، ففي كل حرف من كل كلمة عشر حسنات وهذه نعمة عظيمة وأجرٌ كثيرٌ، فينبغي للإنسان أن يكثر ما استطاع من تلاوة كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وليس بلازم أن تكون قد حفظت القرآن كله، اقرأ ما تيسر، حتى لو فرض أنك لم تحفظ إلا سورة الفاتحة وجزء عم وتبارك وما أشبه ذلك، كل القرآن خير حتى إن الرسول ﷺ أخبر بأن من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. فكأنما قرأ ثلث القرآن.

كذلك أيضًا الحديث الذي بعده بيَّن الرسول ﷺ أن الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب، يعني أن القرآن يعمر القلب ويجعله مستنيرًا بالعلم وبنور الكتاب العزيز، وإذا فقد القرآن من قلب العبد فإنه يكون كالبيت الخرب ـ والعياذ بالله ـ ليس فيه خير، وهذا أيضًا فيه التحذير من عدم قراءة القرآن، والحرص عليه نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يتلونه حق تلاوته.

* * *

١٨١ـ باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

١/١٠٠١ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآن فوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ في عُقُلِهَا» متفقٌ عليه[١].

٢/١٠٠٢ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبلِ المُعَقَّلَةِ: إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا، ذَهَبَتْ» متفقٌ عليه[٢].

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في باب الأمر بتعاهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان، يعني أن كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا منَّ الله عليك فحفظته فتعاهده، وذلك لأنه ـ أي القرآن الكريم ـ كما شبهه النبي ﷺ كالإبل في عقلها يعني كالإبل المعقولة إذا تعهدها الإنسان أمسكها، وإن أطلقها ذهبت

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده...، رقم (٥٠٣٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية...، رقم (٧٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده...، رقم (٥٠٣١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية...، رقم (٧٨٩).

وضاعت، وقد أقسم على ذلك النبي ﷺ حين قال كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**» فينبغي لك أن تجعل لك حزبًا معينًا تتعاهده كل يوم ـ مثلاً ـ تقول: كل يوم أقرأ جزءًا فتحفظ القرآن في شهر، أو جزأين فتحفظه في خمسة عشر يومًا، أو ثلاثة أجزاء فتحفظه في عشرة أيام إلى سبعة أيام إلى ثلاثة أيام، تعاهد هذا حتى لا تنساه، وقد وردت أحاديث في التحذير من نسيانه لمن أهمله، أما من نسيه بمقتضى الطبيعية فإن ذلك لا يضره، لكن من أهمل وتغافل عنه ـ بعد أن أنعم الله عليه بحفظه ـ فإنه يخشى عليه من العقوبة فأنت ـ يا أخي ـ إذا منَّ الله عليك بالقرآن فتعاهده بالقراءة بتلاوته بتكرار التلاوة وكذلك أيضًا بالعلم به؛ لأن العمل بالشيء يؤدي إلى حفظه وبقائه، ولهذا قال بعض العلماء: قيد العلم بالعمل به، فإن العمل بالعلم يقتضي بقاءه؛ لأنه لا يزال على قلبك وعلى جوارحك، فإذا صار هكذا فإنه يبقى ولا ينسى، أما إذا أهمل فإنه يضيع وينبغي لمن قرأ القرآن أن يقرأه بتدبر وتمهل، ولا يحل له أن يسرع السرعة التي توجب إسقاط بعض الحروف؛ لأنه إذا أسقط بعض الحروف فقد غير كلام الله عن موضعه، وحرفه أما العجلة التي لا تستوجب سقوط الحروف فإنه لا بأس بها، والله الموفق.

١٨٢ـ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

١٠٠٣/١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» متفقٌ عليه(١).

مَعَنَى «أَذِنَ اللهُ» أي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إشَارَةٌ إلى الرِّضَا وَالقَبُولِ.

١٠٠٤/٢ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهُ ﷺ قَالَ له: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آل دَاوُد» متفقٌ عليه(٢).

وفي رواية لمسلم: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَني وأَنَا أَسْتَمِعُ لِقَرَاءَتِكَ البارِحَةَ»(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر...»، رقم (٧٥٤٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن...، رقم (٧٩٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن...، رقم (٧٩٣)

(٣) ؟؟؟

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين في آداب القراءة: باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها، هاتان مسألتان:

المسألة الأولى: استحباب تحسين الصوت في قراءة القرآن، وتحسين الصوت في قراءة القرآن ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: تحسين الأداء بحيث يبيّن الحروف ويخرجها من مخارجها حتى يبدو القرآن واضحًا بينًا، فلا يدغم ولا يحذف شيئًا من الحروف؛ لئلا ينقص شيء مما أنزل الله على رسوله ﷺ.

والثاني: تحسين الصوت يعني النغمة نغمة الصوت يحسن صوته بذلك، وكلاهما أمر مطلوب، ولكن الأمر الأول الذي هو تحسين الأداء، لا ينبغي المبالغة فيه والغلو فيه بحيث تجد الرجل يقرأ القرآن يتكلف ويحمر وجهه، ويتكلف في الغنة وفي الإدغام وفيما أشبه ذلك، فإن هذا من إقامة الحروف المتكلفة، ولكن لتكن قراءته طبيعية ويبين فيها الحروف والحركات هذا هو المطلوب، وأما الغلو والمبالغة فإن هذه ليست بمطلوبة، وبه نعلم أن تعلم التجويد ليس بواجب؛ لأنه يعود إلى تحسين الصوت بدون غلو ولا مبالغة، فهو من الأمور المستحبة التي يتوصل بها الإنسان إلى شيء

مستحب لا إلى شيء واجب.

وأما القسم الثاني: وهو تحسين الصوت فهذا قد يقول قائل: حسن الصوت ليس باختيار الإنسان؛ لأن الله تعالى هو الذي يمنُّ على من يشاء من عباده فيعطيه حنجرة واسعة وصوتًا طيبًا، فيقال: نعم، الأمر كذلك، ولكن يحسن الإنسان الصوت بالتعلم؛ لأن حسن الصوت غريزي ومكتسب، فلا يزال يقرأ بصوت حسن حتى يتعلم ويؤدي بصوت حسن، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» «أذن» قال العلماء معناه: استمع، يعني ما استمع الله لشيء من الأشياء التي يسمعها ـ جلَّ وعلا ـ مثل استماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.

يعني: نبي ـ والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق ـ «يتغنى بالقرآن» يعني: يقرؤه بصوت حسن «يجهر به» يعني: يرفع صوته به، فهذا هو الذي يأذن الله له ـ أي: يستمع له جلَّ وعلا، فهو جلَّ وعلا يستمع؛ لأنه يحب الصوت الحسن بالقرآن والأداء الحسن، ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو عبد الله بن قيس أحد خطباء النبي ﷺ أن النبي ﷺ استمع إلى قراءته ذات ليلة فأعجبته، فقال النبي ﷺ لأبي موسى «لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»

وآل داود يعني بذلك داود عليه الصلاة والسلام. داود عنده صوت حسن جميل رفيع حتى قال الله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

فكانت الجبال ترجع مع داود وهو يتلو الزبور لحسن صوته، تجاوبه جبال وهي أحجار جامدة، وكذلك الطير تؤوب معه ـ سبحان الله ـ تأتي فإذا سمعت قراءته تجمعت في جو السماء وجعلت ترجع معه ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ يعني رجّعي معه ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] يعني كذلك أمرنا الطير بذلك، فكانت الجبال والطيور إذا استمعت إلى قراءة داود الزبورَ قامت ترجع معه، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**» يعني صوتًا حسنًا كصوت آل داود، يقول أبو موسى لما قال له الرسول: «**لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة**».

قال: لو علمت أنك تستمع ـ أو قال تسمع ـ لحبرته لك تحبيرًا يعني: كان يزينه أحسن مما سمعت، قال العلماء: وفي هذا دليلٌ على أن الإنسان لو حسن صوته بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع ويسر به فإن ذلك لا بأس به ولا يعد من الرياء يعني لا يُقال هذا الرجل حسن صوته حتى يتلذذ الناس بقراءته يكون رياءً، بل هذا مما يدعو إلى الاستماع لكلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حتى يسر الناس به، ولهذا يوجد

بعض الناس إذا ضاق صدره استمع إلى قراءة إنسان حسن القراءة، حسن الصوت، وهذه متوفرة الآن في أشرطة لبعض القراء الذين لا يتكلفون القراءة، وأصواتهم حسنة وأداؤهم حسن، إذا استمع الإنسان إليهم لا يكاد يمل؛ لأن كلام الله له تأثير إذا جاء من إنسان حسن الصوت وحسن الأداء لا يمل فيستفاد من هذين الحديثين أنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن على أكمل ما يمكنه أن يقرأه عليه من حسن الصوت وحسن الأداء، ونسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يقيم حروفه وحدوده حتى يكون حجة لنا لا علينا، والله الموفق.

* * *

٣/١٠٠٥ ـ وعَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ في العِشَاءِ بِالتِّينِ والزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوتًا مِنْهُ. متفقٌ عليه[١].

٤/١٠٠٦ـ وعنْ أَبي لُبَابَةَ بَشِير بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا» رواه أبوداود بإسناد

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء...، رقم (٧٦٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء...، رقم (٤٦٤).

جيد[١].

ومعنى: «يَتَغَنَّى» يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

١٠٠٧/٥ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرأتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قال: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عليه[٢].

الشرح

هذه الأحاديث في بيان استحباب تحسين الصوت والقراءة بالقرآن الكريم فحديث البراء ابن عازب رضي الله عنه أنه صلَّى مع النبي ﷺ صلاة العشاء فقرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، قال: فما سمعت قراءة أحسن من قراءته، أو قال: صوتًا أحسن من صوته، وكلاهما صحيح؛ فالنبي ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وهو أول وأولى من يدخل في قوله فيما سبق في الحديث: «ما أذن الله لشيء

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة. . .، رقم (١٤٦٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك. . .، رقم (٥٠٥٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه. . .، رقم (٨٠٠).

إذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[١] فرسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداءً في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن هو خُلقُه ﷺ.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن صلاة العشاء لا بأس أن يقرأ فيها بقصار المفصل؛ لأن التين من قصار المفصل ولكن الأكثر أن يقرأ فيها من أوساطه؛ لأن النبي ﷺ أمر معاذ بن جبل أن يقرأ فيها بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، «هل أتاك حديث الغاشية»، «والليل إذا يغشى»، «والشمس وضحاها»[٢] وما أشبه ذلك؛ لكن لا حرج أن يقرأ بقصار المفصل (كالتين، وإذا زلزلت وما أشبه ذلك، وكذلك أيضًا حثّ النبي ﷺ على التغني بالقرآن فقال: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» قال العلماء: وهذه الكلمة لها معنيان:

المعنى الأول: «من لم يتغن به» أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدى في سواه فليس منا، وهذا لا شك ـ أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله الله والعياذ بالله.

والمعنى الثاني: «من لم يتغن» أي من لم يحسن صوته بالقرآن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب مَن شكا إمامه إذا طوّل...، رقم (٧٠٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء...، رقم (٤٦٥).

فليس منا، فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره.

وأما الحديث الثالث: فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب منه أن يقرأ عليه فقال عبد الله بن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال ﷺ: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»؛ لأن الإنسان الذي يستمع قد يكون أقرب إلى تدبر القرآن من القارئ، فالقارئ تجده مركزًا على ألا يخطئ في القراءة، والمستمع يتدبر ويتأمل ولهذا قيل «القارئ حالب والمستمع شارب» يعني القارئ يحلب الناقة أو الشاة، والمستمع شارب هو الذي يستفيد.

والمهم أن النبي ﷺ طلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأ بسورة النساء حتى إذا جاء إلى قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، يعني: كيف تكون الحال؟ فقال ﷺ: «**حسبك الآن**» يقول: فالتفت فإذا عيناه تذرفان يبكي ﷺ أن يؤتى به يوم القيامة شهيدًا على أمته؛ لأنه يؤتى يوم القيامة من كل أمة بشهيد، الأنبياء شهداء، العلماء شهداء، لأن العلماء واسطة بين الرسل وبين الخلق، هم الذين يحملون شريعة الرسل إلى الخلق، فهم شهداء،

فالعالم يشهد بأمرين:

أمر أعلى، وأمر أسفل، الأمر الأعلى: يشهد بأن هذا حكم الله، والأمر الأسفل: يشهد بأنه قد بلغ الناس؛ لأن العالم يبلغ فمثلاً يقرأ آية يقرأ حديثًا، ويقول للناس معناها كذا وكذا اعملوا بها، فيشهد عليهم، فهو شاهد من طرفين: طرف أعلى وطرف أسفل:

الطرف الأعلى: أنه يشهد بأن هذا حكم الله بلغه إلى العباد.

والطرف الأسفل: أنه يشهد أنه بلغ الناس إياه، فقامت عليهم الحجة.

فيوم القيامة يؤتى من كل أمة بشهيد، أول من يشهد الرسل: نشهد أننا بلغنا رسالة ربنا إلى خلقه، ويؤتى من هذه الأمة بـ «محمد» ﷺ يستشهده الله فيشهد أنه بلغ مع أن النبي ﷺ استشهد ربه في أكبر مجمع للمسلمين في ذلك الوقت في يوم عرفة، لما خطب الناس الخطبة الطويلة البليغة العظيمة قال: «**ألا هل بلغت**»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**»[1].

قال: «**ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**»، قال:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى...، رقم (١٧٤١)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديَّات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال...، رقم (١٦٧٩).

«ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد».

لما وصل هذه الآية بكى ﷺ لأنه تصور هذه الحال، تخيلها، حالاً عظيمة، كل أمة جاثية، وكل أمة تدعى إلى كتابها، كل أمة تأتي على الركب من شدة الهول وعظمته، كل أمة تدعى إلى كتابها ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]. ولهذا قال في الآية الكريمة التي وقف عليها عبد الله بن مسعود: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢]. يعني: يودون أنهم ما بعثوا ولا خلقوا ولا قبضوا ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤١ - ٤٢]. يودون أنهم بقوا في الأرض، أو أن يكونوا ترابًا، ولكن لا ينفعهم، ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾.

فالحاصل أنه يجوز للإنسان أن يطلب من شخص قارئ يقرأ عليه ولو كان هذا القارئ أقل منه علمًا؛ لأن بعض الناس يعطيه الله تعالى حسن الصوت وحسن أداء وإن كان قليل العلم؛ فلا بأس أن تقول: يا فلان جزاك الله خيرًا - اقرأ علي، إما أن تُعَيِّن له ما يقرأ، وإما أن تدع الأمر إليه، فتستمع، وفي هذا الحديث بركة القرآن أنه ينتفع به القارئ والمستمع، ولا شك أن القرآن أعظم الكتب بركة، وأفيدها،

وأصلحها للقلب، وأرضاها للرب نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين يعملون به ظاهرًا وباطنًا، يموتون عليه ويحيون عليه.

والإنسان إذا كان محتاجًا للحديث فلا يفتح المذياع على القرآن ولا المسجل أما إذا كان فارغًا ويستمع فهذا طيب.

فإذا كان الإنسان يتحدث أو في شغل عن القرآن؛ فلا تفتحه؛ لأن القرآن أعظم من أن يتحدث الناس ويهجروه، فإما أن تتكلم مع الناس، أو تستمع إلى القرآن، أو تغلق المذياع، فالأمر واسع والحمد لله.

* * *

١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

١٠٠٨/١ - عَنْ أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورة فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّك أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرآنِ؟ قال: «الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتيتُهُ» رواه البخاري[(١)].

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله - في كتابه رياض الصالحين: باب الحث على سور وآيات مخصوصة، وفيما سبق ذكر الحث على القرآن عمومًا، أما هذا الباب ففيه ذكر آيات وسور معينة لها فضل خاص، فمن ذلك سورة الفاتحة فهي أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمَّى أمَّ القرآن، والأم: هو الذي يرجع إليه الشيء فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، ومعاني القرآن كلها لذلك أوجب الله قراءتها في كل ركعة من الصلوات فقال النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن أو بفاتحة الكتاب**»[(٢)] وهذه السورة لها

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ...﴾، رقم (٤٧٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات...، =

خصائص منها:

أن الإنسان إذا قرأها على مريض فإنه يشفي بإذن الله، لكن بشرط أن يقرأها بإيمان مؤمن - يعني يقرؤها وهو مؤمن - بأنها رقية نافعة.

والشرط الثاني: أن يقرأها على مريض مؤمن أيضًا مصدق بأنها رقية ونافعة، ويدلّ على هذا أن النبي ﷺ بعث سرية، فنزلوا على قوم فاستضافوهم ولكن القوم لم يضيفوهم فسلط الله على سيدهم - أي سيد القوم - أن لدغته عقرب، وتأذى منها أذًى شديدًا، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا إلى هؤلاء الرهط لعل فيهم قارئًا يقرأ، فجاؤوا إلى السرية، وقالوا لهم: إن سيدهم لدغته عقرب فهل منكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، لكن لا نقرأ عليكم إلا إذا أعطيتمونا مكافأة غنمًا فقالوا: نعطيكم، فتقدم أحد القوم من الصحابة، فجعل يقرأ على هذا الرجل سورة الفاتحة - وهو أشد ما يكون من الألم من لدغ العقرب فقرأ عليه، فقام الرجل اللديغ كأنما نشط من عقال، يعني: كأنه بعير فكَّ عقاله، ليس فيه بأس، فأعطوهم الغنم، ثم قال بعضهم لبعض: نخشى أن تكون الغنم حرامًا، لا نأكل منها حتى

= رقم (٧٥٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه...، رقم (٣٩٤).

نصل إلى النبي ﷺ، فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ قال لهم: «خذوها واضربوا لي بسهم»[١] يعني اجعلوا لي سهمًا منها، وإنما قال ذلك تطييبًا لقلوبهم، وإلا فهو ﷺ في غنًى عن هذا وبيانًا لحل هذا الشيء، ثم قال للذي قرأها: وما يدريك أنها رقية، فإذا قرأ الإنسان على مريض مؤمنًا بأنها رقية - والمريض مؤمن كذلك بأنها نافعة بإذن الله فإن الله تعالى ينفع بها نفعًا عجيبًا، هذا من فضائل سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله كما في هذا الحديث، والله الموفق.

* * *

٢/١٠٠٩ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ في قراءة: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ».

وفي رواية: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لأصحابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرأَ بِثُلُثِ القُرآنِ في لَيْلَةٍ» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ: فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ثلث القرآن» رواه

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب...، رقم (٥٧٣٦)، ومسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار...، رقم (٢٢٠١).

البخاري[١].

٣/١٠١٠ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إلى رسول الله ﷺ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ وكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتقالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، إنَّهَا لَتَعْدِل ثُلُثَ القُرْآنِ» رواه البخاري[٢].

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله من الأحاديث في باب الحث على سور معينة من كتاب الله في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١، ٤]، وهذه السورة تسمَّى سورة الإخلاص؛ لأن الله سبحانه وتعالى ـ أخلصها لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا من أسماء الله وصفاته، وأيضًا من قرأها مؤمنًا بها معتقدًا لما دلَّت عليه فإنه مخلص لله ـ عزَّ وجلَّ ـ سالم من الشرك هذه السورة كلها أسماء لله وصفاته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . يُقال إن المشركين سألوا النبي ﷺ وقالوا: انسب لنا ربك؟ يعني ما نسبه؟ يعني: كأنهم يقولون: من

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾، رقم (٥٠١٤، ٥٠١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ...، رقم (٦٦٤٣).

هو ابن له ـ والعياذ بالله ـ أو أنهم سألوه: من أي شيء هو؟ أمن ذهب أو فضة أو ما أشبه ذلك. فأنزل الله هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. أحد يعني: واحد منفرد عن كل مخلوقاته ـ جَلَّ وعلا ـ لا يشبهه شيء من مخلوقاته و«**أحد**» اسم مختص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يطلق على غيره ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾.

﴿الصَّمَدُ﴾. اختلفت عبارات المفسرين في معناه، لكن المعنى الجامع لها أن الصمد هو الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فهو الكامل في علمه، وفي قدرته، وفي رحمته، وفي حلمه، وفي غير ذلك من صفاته وكذلك هو الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، كل الخلائق تصمد إليه في حاجتها وتسأله حتى المشركون إذا كانوا في البحر وماجت بهم الأمواج فإنما يدعون الله وحده، فهو ـ جلَّ وعلا ـ مرجع الخلائق كلها فالصمد إذًا: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ليس له أولاد ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ لأنه غني عن كل أحد، قال الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وفي هذا رد وإبطال لما ادعته اليهود والنصارى والمشركون، اليهود قالوا: عزير ابن الله يعني قالوا: إن الله يلد وابنه عزير، والنصارى

قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، فأبطل الله ذلك كله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. وذلك لأنه ـ جلَّ وعلا ـ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فهو الأول وما بعده كائن بعد أن لم يكن، أما الرب ـ جلَّ وعلا ـ فإنه أول أزلي أبدي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

يعني: لا أحد يكافئه ويكون ندًّا له لا في علمه ولا في قدرته ولا في غير ذلك، ولما افتخرت عاد بقوتها وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

ريحًا: هواء من ألين المخلوقات دمرهم تدميرًا وهم يقولون: مَن أشد منّا قوة؟! والله عزَّ وجلَّ لا يكون له كفوًا أحد، واعلم أن كفوًا فيها ثلاث قراءات: كفوًا بضم الفاء والواو، يعني أنها بالواو وضم الفاء كفوًا ولا يصلح أن تكون كفْوًا بسكون الفاء ـ وفيها قراءتان أخريان: بالهمز مع سكون الفاء، وبالهمز مع ضم الفاء كُفْئًا، وكُفُئًا ـ وأما مع الواو فإنها مضمومة، ونسمع كثيرًا من القراء يقرؤونها بالسكون مع الواو، وهذا لحن، فأنت إذا قرأتها بالواو ضُم الفاء، وهذه السورة أقسم النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، وقال

لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق عليهم ذلك، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] **تعدل ثلث القرآن**».

يعني: في الأجر كأجر ثلث القرآن، لكنها لا تجزئ عن القرآن، ولهذا لو قرأها الإنسان مثلاً ثلاث مرات بدل قراءة الفاتحة في الصلاة لم تجزئه؛ لأن هناك فرقًا بين المعادلة في الأجر والمعادلة في الإجزاء، قد يكون الشيء معادلاً للشيء في أجره ولكنه لا يعادله في إجزائه، أرأيتم مثلاً الإنسان إذا قال «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[1] عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل يعني يعادل عتق أربعة رقاب، لكن لو كان على الإنسان عتق رقبة وقال هذا الذكر عشر مرات ما أجزأت، فيجب أن نعلم الفرق بين المعادلة في الثواب والمعادلة في الإجزاء، فهي تعدل ثلث القرآن في الثواب ولكنها لا تعدل ثلث القرآن في الإجزاء، ولهذا لو قرأها الإنسان في صلاته ثلاث مرات لم تجزئه عن الفاتحة، والله الموفق.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، فضل التهليل والتسبيح والدعاء. . .، رقم (٢٦٩٣).

٤/١٠١١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»: إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ» رواه مسلم(١).

٥/١٠١٢ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، قال: «إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. ورواه البخاري في صحيحه تعليقًا(٢).

٦/١٠١٣ - وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ «قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» رواه مسلم(٣).

٧/١٠١٤ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِما وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا، رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾... رقم (٨١٢).

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه»، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة... تعليقاً، ووصله الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ما جاء في سورة الإخلاص...، رقم (٢٩٠١).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين...، رقم (٨١٤).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين...، رقم (٢٠٥٨).

٨/١٠١٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مِنَ الْقُرآنِ سُورَةٌ ثلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ»[1].

٩/١٠١٦ ـ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرةِ في ليلة كَفَتَاهُ» متفقٌ عليه[2].

قيل: كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيلَةَ، وقيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الحث على قراءة سور وآيات معينة من سور القرآن ما سبق في سورة الفاتحة وسورة الإخلاص، وقد تقدَّم الكلام عليهما، ومن ذلك المعوذتان، فإن المعوذتين ـ وهما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ما تعوذ بهن معوذ عن إيمان وصدق إلا أعاذه الله ـ عزَّ

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي...، رقم (١٤٠٠)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك...، رقم (٢٨٩١)، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن...، رقم (٣٧٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة...، رقم (٥٠١٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة...، رقم (٨٠٧).

وجلَّ ـ أما سورة الفلق فيقول الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢]. يعني: قل أيها الإنسان مستعينًا بربك: أعوذ برب الفلق من شر ما خلق.

﴿الْفَلَقِ﴾ فلق الصبح، وفلق الحب والنوى، قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. فهو عزَّ وجلَّ رب الفلق، لا يستطيع أحد أن يفلق شيئًا من هذه التي ذكرها الله إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: كل ما خلق، ومنهم ـ أي مما خلق ـ نفسه كما جاء في الحديث الصحيح: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»[1] والنفس أمارة بالسوء فتستعين بالله من شر ما خلق: أي من شر كل ما خلق من الإنس والجن والنفس وغير ذلك ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

الغاسق: الليل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام وتخرج فيه السباع، وتكون فيه الشرور فتستعين بالله من شر الليل ـ الغاسق إذا وقب ـ يعني إذا دخل ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ يعني: الساحرات

---

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح...، رقم (١١٠٥)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة...، رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح...، رقم (١٨٩٢).

اللاتي ينفثن في العقد ليسحرن الناس، ونص على النساء وإن كان السحر يكون في النساء وفي الرجال؛ لأنه هو الغالب فيهن، ويجوز أن يكون المراد من ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾. أي: النفوس النفاثات فتشمل الرجال والنساء ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ هذه العين، صاحب العين ـ والعياذ بالله ـ الشرير الذي لا يحب الخير للغير تجده إذا منَّ الله على أحد بشيء من مال أو جاه أو علم أو ولد أو زوجة أو غير ذلك يخرج من نفسه الخبيثة كما يخرج السهم فيصيب الرجل، وهذا السهم لا ينفعه شيئًا، لكن نفسه خبيثة ـ والعياذ بالله ـ لا تحب الخير للغير، فيصاب الإنسان بالعين، قال النبي ﷺ: «**لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**»(١) فالعين تدرك وهي حق حتى قال بعض العلماء: إنها هي المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١].

ثم قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾؛ لأن الحاسد قد لا يحسد يعني: العائن لا يصيب كل إنسان، لكن إذا حسد ـ والعياذ بالله ـ تعدى شره غيره يعني تعدى إلى غيره، ويجوز أن يكون المراد بالآية: الحاسد العائن والحاسد غير العائن؛ لأن بعض الناس حسود والعياذ بالله

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٦/٤٣٨)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين...، رقم (٢٠٥٩).

يحسد إذ أنه لا يحب الخير للغير، والحسد هو كراهة ما أنعم الله به على غيرك أن تكره ما أنعم الله به على غيرك، وإن كنت لا تتمنى زواله فإن تمنيت زواله صار أشد والعياذ بالله ـ والحاسدون ـ نسأل الله العافية ـ لا يحرقون إلا أنفسهم، الحاسد يحترق كلما أنعم الله على عباده نعمة احترق قلبه، لماذا فلان يحصل له كذا، أو يصير كذا فهذا الحاسد ـ والعياذ بالله ـ أحيانًا إذا حسد بغى على الغير واعتدى عليهم؛ إذا صار الحسد في قلبه جمرة والعياذ بالله، مثلاً افترض أن إنسانًا مَنَّ الله عليه بمالٍ وصار ينفقه في سبيل الله، وهناك رجل حسود والعياذ بالله ـ فإن قلبه يحترق، لماذا أنعم الله على هذا الرجل بالمال، وجعله ينفقه في سبيل الله، فتجده مثلاً: يتحدث في المجالس كلما أثنى على هذا الرجل، قال: هداه الله، أنه يرائي ما يقصد وجه الله والدار الآخرة. إذا مَنَّ الله على إنسان بعلم أيضًا وصار له قبول عند الناس صار ـ والعياذ بالله ـ يحسد يحب أن يخفى ما أنعم الله به على الإنسان، وهلم جرًّا، والحسد والعياذ بالله ـ من كبائر الذنوب، وقد ذم الله اليهود عليه فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]. فالفضل لله وليس لأحد سواه يؤتيه من يشاء، تحسد الناس إذا أعطاهم الله من فضله جنيت على من أعطاهم الله الفضل، وجنيت واعتديت على حق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ

كأنك تقول: لماذا ينال هذا الرجل هذه النعمة التي لا يستحقها؟

والحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يتعوذ بهاتين السورتين، وذكر الترمذي ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من الجان ومن عين الإنسان حتى نزلت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فصار يتعوذ بهما وترك ما سواهما، والله الموفق.

* * *

١٠/١٠١٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» رواه مسلم[1].

١١/١٠١٨ ـ وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: «اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ»، فَضَرَبَ في صَدْرِي وقَالَ: «لِيَهْنكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» رواه مسلم[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في...، رقم (٧٨٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي...، رقم (٨١٠).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل آيات أو سور من القرآن الكريم منها: سورة البقرة:

سورة البقرة نقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**» قال العلماء: معنى ذلك لا تتركوا الصلاة فيها ـ يعني صلوا في بيوتكم ـ وإنما سمَّى البيوت حال عدم الصلاة فيها مقابر؛ لأن المقبرة لا تصح الصلاة فيها كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»[(١)] وقال ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**»[(٢)].

فالمقبرة لا تصح فيها صلاة النافلة ولا صلاة الفريضة ولا سجدة التلاوة ولا سجدة الشكر، ولا أي شيء من الصلوات إلا صلاة واحدة وهي صلاة الجنازة إذا صلَّى على الجنازة في المقبرة فلا بأس سواء كان ذلك قبل الدفن أم بعد الدفن، لكن بعد الدفن لا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام...، رقم (٣١٧)، وابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة...، رقم (٧٤٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه...، رقم (٩٧٢).

يصلي عليها في أوقات النهي: يعني: مثلاً لو جئت لحضور جنازة بعد صلاة العصر ووجدت أنهم قد دفنوها فلا تصلِّ عليها؛ لأنه يمكنك أن تصلي في وقت آخر غير وقت النهي كالضحى مثلاً، وأما إذا جئت وهم لم يدفنوها، لكن قد وضعت في الأرض للدفن فلا بأس أن تصلي عليها ولو كان ذلك بعد العصر؛ لأنها في هذه الحال تكون صلاة لها سبب، والصلاة التي لها سببٌ ليس عنها وقت نهي، ثم أخبر ﷺ أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، يعني إذا قرأت في بيتك سورة البقرة فإن الشيطان ينفر منها ـ من البيوت ـ ولا يقربها، والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي).

ويدلّ لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: آية الكرسي فضرب النبي ﷺ على صدره وقال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**» يعني هنأه حيث علم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي)؛ لأن هذه الآية مشتملة على عشر صفات من صفات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ففي هذا إخلاص التوحيد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومعنى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾. أي: لا معبود حق إلا هو ـ جلَّ وعلا ـ فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق ـ حتى ولو سميت آلهة ـ

فإنما هي أسماء سمّوها ما أنزل الله بها من سلطان: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ألا يقف بل يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق ـ جلّ وعلا ـ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص انظر حياتك أيها الإنسان: إن جئت بالسمع فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، ما أكثر الأمراض التي تصيب الناس وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة أما الرب ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو كامل الحياة.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ معناها: القائم بنفسه القائم على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لأحد ـ عز وجل ـ ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فهو غني، وفي

الحديث القدسي أنه قال جلَّ وعلا «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»(١) فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره. كل مَنْ سواه فإن القائم عليه هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. يعني كمن لا يملك شيئًا والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذًا معنى ﴿الْقَيُّومُ﴾ له معنيان: هما القائم بنفسه يعني: لا يحتاج لأحد، القائم على غيره يعني: كل شيء يحتاج إلى الله ـ عز وجل .

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السِّنة: هي النعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا تأخذه سنة، ولا نوم، والإنسان تأخذه السنة ويأخذه النوم اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لا يقدر؛ لكن الربّ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته سبحانه وتعالى وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»(٢) يعني:

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم...، رقم (٢٥٧٧).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «**إن الله لا ينام...**»، رقم (١٧٩).

مستحيل غاية الاستحالة أن ينام ـ عزَّ وجلّ ـ؛ لأنه كامل الحياة كامل القيومية، من يقوم على الخلق لو نام الخالق! لا أحد فهو جلَّ وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم. والله أعلم.

* * *

١٢/١٠١٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: إِنِّي محْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، وبي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُك الْبَارِحَةَ؟» فقلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّه سَيَعُودُ لِقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي محْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرحِمتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُول اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُريرةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُول الله شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتَ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لا

تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فقال: دَعْنِي فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قلتُ: مَا هُنَّ؟ قال: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فاقْرأْ آية الْكُرْسِي، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، ولن يَقربكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبيلهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُك البَارِحَة؟» فقلت: يَا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُني كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بها، فَخَلَّيْتُ سَبيله، فقال: «مَا هِيَ؟» فقلت: قالَ لي: إِذَا أَوَيْتُ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرأْ آية الكرسي مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ﴾ وقال لي: لا يَزَال عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فقال النبيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّه قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تَخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيرة؟» قلت: لا، قال: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» رواه البخاري[1].

الشرح

هذه القصة قصة عجيبة عظيمة، وذلك أن النبي ﷺ وكَّلَ أبا هُريرة رضي الله عنه على صدقة رمضان يعني على الفطر يحفظها وكانوا يجمعونها قبل العيد بيوم أو بيومين، وكان أبو هريرة وكيلاً عليها، وفي ليلة من الليالي جاء رجل يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فخاف وقال: إنه محتاج

(١) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكّل فهو جائز. . .، رقم (٢٣١١).

وذو عيال وذو حاجة، فرحمه وأطلقه فلما أصبح وجاء إلى رسول الله ﷺ قال له ﷺ «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» وهذه من آيات الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن عنده ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي، قال: «**ما فعل أسيرك البارحة**»؟ قلت: يا رسول الله إنه قال: إنه ذو حاجة وذو عيال وإني رحمته وأطلقته، فقال النبي ﷺ «**كذبك**» ـ يعني كذب عليك فما له عيال ولا حاجة ـ «**وسيعود**» يقول: فعلمت أنه سيعود لقول النبي ﷺ إنه سيعود وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمنون بما أخبر به الرسول ﷺ كما يؤمنون بما يشاهدونه بأعينهم أو أكثر يقول: فرصدته، فجاء، فجعل يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فاشتكى شكايته الأولى أنه محتاج وذو عيال فرحمه رضي الله عنه وإنما رحمه مع أن الرسول ﷺ قل إنه: «**كذبك**»؛ لأن أبا هريرة يعلم حلم النبي ﷺ وسعة صدره، وأنه لن يؤنبه وفعلاً لم يؤنبه أطلقه فلما أصبح وجاء إلى النبي ﷺ وأخبره، قال: إنه كذبك وسيعود.

في المرة الثالثة فرصده وجعل يترقبه، فجاء يأخذ من الطعام، فقلت: لأرفعن أمرك إلى النبي ﷺ في هذه المرة؛ لأنك قلت: لن تعود ثلاث مرات وعدت، فقال: دعني وإني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال: وما هن؟ قال: آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ

ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إذا أويت إلى فراشك للنوم فاقرأها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، كلمات يسيرة تحفظك، لو جعلت عليك حراسًا كثيرين ما استطاعوا أن يمنعوا الشياطين عنك، ولكن هذه الكلمات اليسيرة يحفظك الله بها. فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وقال له الخبر، فقال: إنه صدقك وهو كذوب ـ يعني: هذه المرة ما قاله لك صادق فيه وهو كذوب ـ أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال؟! قلت: يا رسول الله لا أعلم.

قال: «**ذلك الشيطان متلبس في صورة آدمي**» وأن له أولاد.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها:

أولاً: أنه لا بأس أن الناس يخرجون صدقات الفطر إلى ولي الأمر يعني إلى السلطان أو نائبه فلو شكلت لجنة تقبض زكاة الفطر من الناس فإن الإنسان إذا دفعها إلى هذه اللجنة برئت ذمته.

ثانيًا: جواز تصرف الوكيل فيما وكِّل فيه إذا وافق على ذلك الموكل؛ لأن أبا هريرة تصرف هذا التصرف وأعطى هذا الرجل أو الشخص أقول الرجل أو الشخص لأن الجن يسمون رجال كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، فأبو هريرة تصرف في الليلة الثانية مع أن الرسول ﷺ قال: «**أما إنه كذبك وسيعود**» فأعطاه.

ثالثًا: أن الشيطان قد يتمثل بصورة الإنسان، وهو كذلك، فالشياطين تتمثل بصورة الآدميين وتتمثل بصورة الإنسان، ويتمثل بصورة الكلاب، حتى قال بعض العلماء في قول الرسول ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»(١) أي: أن الشياطين تتمثل فتكون كلابًا سودًا. ولكن الصحيح أن معنى الحديث أن الكلب الأسود شيطان ـ يعني هو شيطان الكلاب ـ وأخبثها وأشدها ضررًا وتمردًا وتتمثل الشياطين بالحيوانات فتتمثل في القط، وتتمثل أيضًا بالحية كما في الحديث الصحيح: أن رجلاً من الأنصار شابًّا تزوج حديثًا فلما جاء إلى بيته وجد زوجته على الباب فسألها لماذا؟ قالت: ادخل فلما دخل وجد على الفراش حية، فأخذ الرمح فوكزها فماتت، ولما ماتت مات هو في الحال، فلا يُدرى أيهما أسرع موتًا: الحية أم هذ الرجل؟ لأن الحية هذه صارت جنية، فلما قتلها قتله أهلها في الحال؟ ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتل الحيات التي في البيوت، فلا يجوز للإنسان أن يقتل الحية إذا رآها في بيته، ولكن حرج عليها ثلاثة أيام: قل لها: أنت مني في حرج، لا تقعدي في بيتي، إذا جاءت بعد الثالثة اقتلها؛ لأنها إن كانت جنية فهي إذا حرجت لا تأتي، وإن كانت غير ذلك ـ أي: كانت دابة من بعض الحيوانات ـ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يُستر المصلي. . .، رقم (٥١٠).

فإنها لا تدري، تأتي بعد الثالثة وحينئذ تقتل، إلا أن الرسول ﷺ استثنى نوعين من هذه الدواب تقتل ولو في البيوت وهي: «**الأبتر وذو الطفيتين**»، والأبتر يعني قصير الذنب وهو نوع من الحيات فهو يقتل ولو في البيت، وذو الطفيتين: يقول العلماء: إنهما خطان أبيضان على ظهر الحية هذه تقتل ولو في البيوت؛ لأنهما كما قال النبي ﷺ: «**يخطفان البصر**»[1] من شدة قبحهما، ويدفعان ما في بطون النساء من حمل ـ يعني: يسقطن الحمل ـ، فلهذا أمر النبي ﷺ بقتل هذين النوعين ولو في البيوت، فالشاهد من هذا أن الشيطان والجن يتصوران ويتمثلون بصور غير صورهم الأصلية.

٤ ـ وفي هذا الحديث أيضًا من الفوائد أنه يجوز تقديم زكاة الفطر قبل العيد ولو بأكثر من يومين إذا كانت تدفع إلى ولي الأمر، وولي الأمر يجب عليه ألا يصرفها إلا في وقتها.

٥ ـ ومن فوائد الحديث أنه آية من آيات الرسول ﷺ وهو علمه بما جرى مع أنه لم يطلع ـ لكن جاءه الوحي من الله ـ عزَّ وجلَّ.

٦ ـ ومن فوائده أنه ينبغي للإنسان كلَّما جاء إلى فراشه للنوم في الليل أن يقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها، وليس منها قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. هذه آية خارجة عن آية

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها...، رقم (٢٢٣٣).

الكرسي، آخر آية الكرسي: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فتقرأ كلما أويت إلى فراشك كل ليلة حتى لا يقربك الشيطان حتى تصبح، ولا يزال عليك من الله حافظ، وحدثني بعض الثقات أنه كان يقرؤها كل ليلة وأنه نسيها ليلة من الليالي فلدغته عقرب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لم يزل عليه من الله حافظ**» وهو نسي أن يقرأها فلم يوجد الحافظ فلدغته العقرب، فاحرص إذن على أن تقرأ آية الكرسي كل ليلة وخصوصًا إذا أويت إلى فراشك.

٧ ـ ومن فوائده: قبول الحق ـ ولو جاء من أي إنسان ـ حتى ولو كان شيطانًا أو مشركًا، حتى لو كان يهوديًا أو نصرانيًا، فإن الله قبل الحق من المشركين، والنبي ﷺ قبل الحق من اليهودي، وأقر الحق من الشيطان كما في هذا الحديث أما قبول الله من المشركين: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨]. فتعللوا بعلتين: الأولى: أنهم وجدوا عليها أباءهم، والثانية ـ أن الله أمرهم بها فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وسكت عن قولهم: ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ ؛ لأن قولهم هذا حق صحيح، غذ أنهم وجدوا آباءهم على هذه الفاحشة، لكن الله لم يأمرهم بها ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ. . . ﴾ .

وأما قبول النبي ﷺ من اليهودي: فإنه جاءه حبر من أحبار

اليهود - يعني عالم من علمائهم - فقال: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، وذكر تمام الحديث، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول هذا اليهودي الحبر، ثم قرأ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] [الزمر: ٦٧].

وأقر الحق الذي قال به الشيطان كما في هذا الحديث، فيجب عليك أيها المسلم أن تقبل الحق من أي إنسان، وأن ترد الباطل من أي إنسان، من قال الباطل قوله مردود، ومن قال الحق قوله مقبول؛ ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء: أنَّ الرجال يعرفون بالحق، والحق لا يعرف بالرجال. يعني: لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجال، صحيح أن العالم تثق في قوله أكثر من غيره، فتقبل ما يقوله، لكن ليس كل ما يقول العالم حقًّا، فإنه قد يخطئ وقد يصيب، ولكن العالم أقرب إلى الصواب بلا شك؛ ولهذا قالوا: إنما يُعرف الرجال بالحق، وأما الحق فلا يعرف بالرجال؛ لأن الرجل قد يخطئ وقد يصيب، والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾، رقم (٤٨١١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب منه...، رقم (٢٧٨٦).

ونعود إلى شرح آية الكرسي حيث وقفنا عند قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والسنة: النعاس، والنوم معروف. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. هذه الجملة تفيد عموم ملك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه منفرد بالملك سبحانه وتعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والدليل على عموم ملكه أن «ما» في قوله ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. اسم موصول ـ يعني له الذي ـ واسم الموصول يفيد العموم، والدليل على انفراده بالملك: أنه قدم فيها الخبر ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وتقديم الخبر يدلُّ على الحصر، فلا أحد يملك شيئًا في السموات، ولا في الأرض إلا الله وما يملكه الإنسان من ثياب وعقارات ونحو ذلك ملك مقيد، لا يستطيع أن يتصرف فيه كيف يشاء لو أراد إنسان أن يحرق ثوبه منع، إذًا فملكي الذي هو ملكي لست حرًّا في تصرفي فيه إلا على حسب الشرع، ولهذا لا يجوز لنا أن نرابي في أموالنا، مع أنه ربما يكون الذي أعطى الربا موافقًا راضيًا بذلك، لكن لا يجوز، لأننا لسنا أحرارًا في أملاكنا، نحن لا نملكها إلاَّ ملكًا مقيدًا، الملك التام المطلق الذي يفعل فيه المالك ما يشاء هو ملك الله عزَّ وجلَّ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ «من»: اسم استفهام بمعنى النفي يعني: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله، والشفاعة معروفة

وهي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة، من المعلوم أن ملوك الدنيا مهما عظم ملكهم يأتي الإنسان يشفع عندهم بدون أيِّ استئذان، حتى إن الملك الكبير الملك تشفع عنده زوجته ولا تستأذن منه، لكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه أكرم عباده عنده لا يشفع إلا بإذن الله، وهذا دليلٌ على كمال سلطانه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه من كمال سلطانه لا أحد يستطيع أن يتكلم عنده ولا بالشفاعة التي هي خير إلا بإذنه، مَنْ أكرم الخلق من بني آدم عند الله؟ إنه محمد ﷺ ويوم القيامة لا يمكن أن يشفع إلا بعد أن يستأذن من الله ثم يسجد سجودًا طويلاً يفتح الله عليه من المحامد ما لم يفتحه عليه من قبل ثم يشفع، ومن كان دون محمد ﷺ، فهو من باب أولى، لا أحد يشفع إلا بإذن الله لماذا؟ لكمال ملكه وسلطانه عزَّ وجلَّ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، يعلم الله عزَّ وجلَّ ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ كل الأمور المستقبلة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ كل الأمور الماضية، وهذا دليلٌ على كمال علمه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه محيط بكل شيء: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، فما بين يديك: ما تستقبله ولو بلحظة، وما خلفك: ما خلفته ولو بلحظة، فمثلاً الآن كلامنا اليوم بعد صلاة العصر هل هو من بين أيدينا أو من خلفنا؟ من خلفنا، كلماتي الآن

أنا أقول الآن، وما بعد الآن هو المستقبل، والآن حاضر وما مضى ماضٍ من خلفك فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعلم ما يكون بين أيدينا الحاضر والمستقبل وما خلفنا وهذا يدل على كمال علمه ـ جلَّ وعلا ـ لأن علم غيره ناقص.

أولاً: نجهل كثيرًا من الأمور ثم يتجدد لنا العلم.

ثانيًا: إذا علمنا شيئًا فهناك آفة لعلمنا وهي النسيان، أما علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فليس فيه نسيان ولا جهل سابق، كما قال موسى ﷺ لما قال له فرعون: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١، ٥٢]. لا يضل: يعني لا يجهل، ولا ينسى: ما مضى فعلمنا نحن محفوف بآفتين: آفة سابقة وهي الجهل، وآفة لاحقة وهي النسيان، وعلم الله عزَّ وجلَّ ـ خال من ذلك كله.

وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ يعني: أن الخلق لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، والعلم هنا بمعنى المعلوم يعني: أننا لا نحيط بشيء مما يعلمه الله إلا بما شاء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهذا كقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

كذلك أيضًا لا نحيط بشيء من علمه - أي من علم ذاته وصفاته - إلا بما شاء، فلا نعلم ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته إلا بما شاء، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن الأسماء والصفات توقيفية، بمعنى أنه يتوقف إثباتها أو نفيها على ما جاء به الشرع؛ لأننا لا نعلم من صفات ربنا إلا ما علَّمنا ولا من أسمائه إلا ما علَّمنا ولا في ذاته إلا ما علَّمنا - عزَّ وجلَّ - وفي هذه الجملة دليلٌ على افتقار الإنسان إلى علم الله - عزَّ وجلَّ - وأنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله تعالى أن يعلمه ما لم يكن يعلم مما فيه مصلحة دينه ودنياه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. الكرسي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو موضع قدمي الله - عزَّ وجلَّ - وهو دون العرش، والعرش أعظم منه، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة»[(١)] - حلقة الدرع صغيرة إذا ألقيتها في فلاة من الأرض يعني في أرض واسعة لم تكن شيئًا فهذا السموات السبع والأرضون بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض - وإن فضل العرش على الكرسي كفضل

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها...، رقم (٣٦١).

الفلاة على هذه الحلقة، العرش أعظم بكثير من الكرسي، وخالق العرش ـ جلَّ وعلا ـ أعظم وأعظم ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا كان هذا شأن الكرسي أنه واسع ومحيط بالسموات والأرض، فالعرش أعظم، والرب أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾. يعني: لا يثقل ويعجز الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يحفظ السموات والأرض على ما فيهما من الخلائق وعلى كبرهما واتساعهما وعلى علوّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فوق كل شيء، فهو لا يغيب عنه شيء، لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض، ولا يثقله أن يحفظ ما في السموات والأرض ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]. فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ مع علوه تبارك وتعالى فوق كل شيء لا يَئُودُه أي: لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾. وهو العلي ـ جلَّ وعلا ـ فوق كل شيء، وهو العظيم على كل شيء، قال بعض أهل العلم: والعلو نوعان: علو ذاته ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو فوق وعلو صفاته، فصفاته فوق كل شيء، والعظيم يعني ذو العظمة والعزة والكبرياء والعزة والجلال، وبهذه المعاني بالنسبة لهذه الآية العظيمة يتبين أنها أعظم آية في كتاب الله، والله الموفق.

* * *

١٣ / ١٠٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ» وفي رواية: «مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكهْفِ» رواه مسلم[١].

١٤ / ١٠٢١ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ، وَلَمْ يُفْتَح قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ فقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وقال: «أَبشِرْ بِنورَينِ أُوتِيتَهمَا، لَمْ يُؤْتِهمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحةِ الكِتَابِ، وخَواتِيم سُورَةِ البَقَرةِ، لَنْ تَقرَأَ بحَرْفٍ منها إلاَّ أُعْطِيتَهُ» رواه مسلم[٢].

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق الأحاديث في باب الحث على سور وآيات وسور معينة من كتاب الله ما يتعلق بسورة الكهف وما يتعلق بفاتحة الكتاب وآخر سورة البقرة.

أما الأول: فإن النبي ﷺ أخبر أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها عُصم من الدجال، والدجال رجلٌ كافرٌ

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي. . .، رقم (٨٠٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة. . .، رقم (٨٠٦).

يبعث في آخر الزمان يدَّعي النبوة أولاً يعني أنه نبي ثم يدَّعي أنه إله ـ والعياذ بالله ـ وفتنته أعظم فتنة كانت على الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم»[١] وقد حذَّر النبي ﷺ من فتنته وما من نبي من الأنبياء إلا أنذر قومه حتى يستعد بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإلا فمن المعلوم أنه لن يأتي إلا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلا من أنجاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذا الدجال يجعل الله على يديه آيات خوارق فتنة للناس: منها أنه يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فيأتي إلى القوم ممحلين ليس في أرضهم رعي، ومواشيهم ضعاف عجاف فيدعوهم ويمنِّيهم، فيتبعونه فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ثم تروح عليهم مواشيهم وهي أوفر وأغزر ما تكون لبنًا وما تكون لحمًا، ثم يأتي إلى آخرين فيدعوهم، ولكنهم ينكرونه فيصبحون ممحلين ليس في أرضهم نبات، هل تجدون أعظم من هذه الفتنة؟!

لا سيما في البادية، فيتبعه أُنَاسٌ كثيرون فمن تبعه أدخله جنته،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه...، رقم (٢٩٣٧).

ومن أنكره أدخله ناره، وهي جنة فيما يبدو للناس لكنها نار ـ والعياذ بالله ـ وناره نارٌ فيما يبدو للناس لكنها جنة وماء عذب، ولكن الناس ليس لهم إلا الظاهر، إلا أن الله سبحانه وتعالى بين لنا آياته: أنه كاذب يعني ـ هذا الدجال ـ بما أخبرنا به ﷺ من أن هذا الرجل مكتوب بين عينيه كافر «كاف ـ فاء ـ راء» يقرأها كل مؤمن حتى الذي لا يستطيع القراءة ـ ويعمى عنه كل منافق، فلا يرى هذا المكتوب بين عينيه؛ لأنه قد أضل ـ والعياذ بالله ـ؛ كما أن الإنسان في القبر إذا كان مؤمنًا ـ أجاب بالصواب وقال: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد، وإذا كان منافقًا ـ ولو كان قارئًا ـ لم يجب ـ والعياذ بالله ـ وأعطانا نبينا ﷺ آية أيضًا بينة وهي أنه أعور ليس له إلا عين واحدة وربنا ـ جلَّ وعلا ـ ليس بأعور، منزه عن كل عيب ونقص، فمن وفق سلم من فتنته ونجا، يبقى في الأرض هذا الدجال الخبيث، يبقى في الأرض أربعين يومًا أول يوم كسنة ـ يعني اثنا عشر شهرًا ـ انظر، سبحان الله، الآن الشمس تدور بـ٢٤ ساعة حول الأرض، لكن أول يوم من أيام الدجال لا تدور إلا باثني عشر شهرًا، أي سنة كاملة؟ واليوم الثاني كشهر ـ ثلاثون يومًا ـ والثالث كالأسبوع ـ سبعة أيام ـ وبقية الأيام كأيامنا، يبقى هذه المدة ثم ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل هذا الدجال، المسيح

الصادق النبي الطاهر يقتل هذا المسيحَ الخبيث الدجال، يسلطه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه فيقتله، ومن أجل عظم فتنته أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله منه في كل صلاة فقال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[1]؛ لأن فتنته عظيمة، فينبغي لنا أن نستعيذ بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ بقلب صادق من فتنة هذا المسيح الدجال، ثم إنه أيضًا من أسباب الوقاية من فتنته: أن من حفظ عشر آيات من سورة الكهف من أولها أو آخرها وقرأهن عليه عصم من فتنته.

ومن السور المعينة والآيات المعينة سورة الفاتحة وآيتان من آخر سورة البقرة فإنهما ما قرأهما واحد من هذه الأمة مؤمنًا موقنًا إلا آتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وفي سورة الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، قال الله تعالى لعبده إذا قرأها في الصلاة: قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. وأما آخر سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة...، رقم (٥٨٨).

مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. سبع جمل دعائية لا يدعو بها مؤمن موقنًا إلا استجاب الله له، وهذه ميزة وفضل عظيم نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنكم وأن ينصرنا على القوم الكافرين.

* * *

١٨٤ ـ باب استحباب الاجتماع على القراءة

١٠٢٢/١ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَه بَيْنَهُمْ؛ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيهِمِ السَّكِينة، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب استحباب الاجتماع على القراءة: يعني بذلك أنه من المستحب أن الناس يجتمعون على تلاوة القرآن، ويعلمونه، فإن هذا مما ندب إليه النبي ﷺ وذلك فيما رواه أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: **«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»** هذه أربعة أشياء تترتب على هذا الاجتماع يقول عليه الصلاة والسلام: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله»** وبيوت الله في الأرض المساجد، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر...، رقم (٢٦٩٩).

وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وأضاف الله هذه الأماكن إلى نفسه تشريفًا وتعظيمًا، ولأنها محل ذكره، وتلاوة كلامه، والتقرب إليه بالصلاة، وإلا فهو ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عرشه فوق سمواته لا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه ـ جلَّ وعلا ـ لكن هذه الإضافة للتشريف، وقد قال العلماء ـ رحمهم الله ـ المضاف إلى الله نوعان:

الأول: صفة لا تقوم إلا بمحل، فهذه تكون من صفات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مثل: عزة الله، وقدرة الله، وكلام الله، وسمع الله، وبصر الله، هذه صفة لا تقوم إلا بموصوف فتكون من صفات الله ـ عزَّ وجلَّ.

الثاني: شيء بائن من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مخلوق، فهذا ليس من صفات الله وإنما هو مضاف إليه ـ عزَّ وجلَّ ـ على سبيل التشريف والتكريم مثل: مساجد الله، وبيوت الله، وناقة الله، ومثل قوله تعالى في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. كذلك في عيسى بن مريم، فإن الروح شيء بائن من الله ـ عز وجل ـ منفصل، مخلوق من مخلوقاته؛ لكن أضيف إليه على سبيل التشريف والتكريم، وقوله ﷺ: «**يتلون كتاب الله**»: تلاوة كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تنقسم

إلى ثلاثة أقسام:

١ - تلاوة اللفظ.

٢ - وتلاوة المعنى.

٣ - وتلاوة العمل.

أما تلاوة اللفظ: فمعروف يقرأ هذا وهذا وهذا وهي على نوعين:

النوع الأول: أن يقرأ القارئ صفحة أو صفحتين ثم يتابع الباقون يقرؤون نفس ما قرأ، وهذا غالبًا يكون في التعليم.

النوع الثاني: أن يقرأ القارئ صفحة، أو صفحتين ثم يقرأ الثاني بعده صفحة أو صفحتين غير ما قرأه الأول، وهلم جرًّا.

فإن قال قائل: هذا النوع الثاني يفوت فيه ثواب بعضهم؛ لأن ما قرأه هذا لم يقرأه هذا، فيُقال: لا يفوت شيء؛ لأن المستمع كالقارئ له ثوابه، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة يونس في قصة موسى ﷺ حين دعا على آل فرعون: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨]، القائل هذا موسى كما في أول الآية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ

ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]. الداعي واحد، لكن قال العلماء: إن هارون كان يستمع ويؤمِّن على دعائه، فكان الدعاء لهما جميعًا.

أما التلاوة المعنوية: فأن يتدارس هؤلاء القوم كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويتفهموا معناه، وقد كان السلف الصالح لا يقرؤون عشر آيات حتى يتفهموها وما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

أما القسم الثالث من التلاوة فهي التلاوة العملية وهذه هي المقصود الأعظم للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. العمل بما جاء في القرآن وذلك بتصديق ما أخبر الله به، والقيام بما أمر به، والبُعد عما نهى عنه، هذه التلاوة العملية لكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول ﷺ: «إلا نزلت عليهم السكينة» السكينة شيء يقذفه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في القلب فيطمئن، ويوقن، ويستقر، ولا يكون عنده قلق، ولا شكٌّ ولا ارتياب، فهو ساكن مطمئن، وهذه من أكبر نعمة الله على العبد أن ينزل السكينة في قلبه بحيث يكون مطمئنًا غير قلق ولا شاكٍّ راضيًا بقضاء الله وقدره، مع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قضائه وقدره إن أصابته

ضرَّاء صبر وانتظر الفرج من الله، وإن أصابته سرَّاء شكر وحمد الله على ذلك مطمئن، مستقر، مستريح، هذه السكينة نعمة عظيمة نسأل الله أن ينزل في قلوبنا وقلوبكم السكينة ـ وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

فهي من أسباب زيادة الإيمان **«إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة»** غشيتهم يعني: غطتهم، والغشيان بمعنى الغطاء كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]. يعني: يغطي الأرض بظلامه، غشيتهم الرحمة أي: رحمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ **«وحفتهم الملائكة»** أي: أحاطت بهم يستمعون الذكر، ويكونون شهداء عليهم.

والرابع: **«وذكرهم الله فيمن عنده»**: يذكرهم الله تعالى في الملأ الأعلى، وهذا كقوله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١)، فالحاصل أن هذا الحديث يدل على فضيلة الاجتماع على كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ...﴾ رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار...، باب الحث على ذكر الله تعالى...، رقم (٢٦٧٥).

١٨٥ـ باب فضل الوضوء

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

الشرح

قال المؤلف[١] ـ رحمه الله ـ: «**باب فضل الوضوء**».

الوضوء: في اللغة العربية مأخوذ من الوضاءة وهي الحسن والنظافة وأما في الشرع فهو تطهير الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة، والأعضاء الأربعة هي الوجه واليدان والرأس والرجلان، والوضوء من نعمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة حيث أمرهم به ورتب عليه الثواب الذي سيذكر في هذا الباب إن شاء الله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

فانتبه وأرعها سمعك، فإما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهىٰ عنه، وإما خبر صادق تنتفع به فالأقسام ثلاثة: إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهىٰ عنه، وإما خبر صادق تنتفع به، كلما قال الله

---

(١) هو الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفّى عام ٦٧٦هـ - رحمه الله رحمة واسعة - انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥).

هنا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة - الفريضة أو النافلة - ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾: ولم يذكر الله تعالى غسل الكفين، لأن غسل الكفين قبل الوجه سنة وليس بواجب، والوجه من الأذن إلى الأذن عرضًا، ومن منحنى الجبهة إلى أسفل اللحية طولاً ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، المضمضة في الفم والاستنشاق في الأنف.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ يعني: واغسلوا أيديكم إلى المرافق، والمرفق هو المفصل الذي بين الذراع والعضد، وهو داخل في الغسل؛ لأن النبي ﷺ كان إذا غسل يديه أشرع في العضد، وأدار الماء على مرفقيه.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: الرأس يُمسح ولا يجب غسله، وهذا من رحمة الله - عزَّ وجلّ - بعباده، لأن الرأس فيه شعر فلو فُرض غسله لكان فيه مشقة على الناس وَلبدأ الماء يسرب على الثياب، ولَلَحِق الناسَ مشقةٌ في أيام الشتاء، ولكن من رحمة الله أن الرأس يُمسح ولا يُغسل، ومن الرأس الأذنان، يُمسحان أيضًا؛ لأن النبي ﷺ كان يمسح بأُذُنَيْه.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ يعني: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، والكعبان هما العظمان الناتئان في أسفل الساق، وهما داخلان في الغسل، هذه أربعة أعضاء، وهي أعضاء الوضوء.

ثم قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ وفي الآية الثانية

﴿فَاغْتَسِلُوا﴾ : يعني إذا كان الإنسان عليه جنابة وجب عليه أن يُطهّر جميع بدنه: من رأسه إلى أخمص قدميه، ومنه المضمضة والاستنشاق، فإن المضمضة والاستنشاق يجبان في الوضوء وكذلك في الغسل.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ والجنب: هو الذي حصلت عليه جنابة، والجنابة: إما إنزال المني بشهوة وإما الجماع - وإن لم ينزل - ، فإذا جامع الإنسان زوجته وجب عليه أن يغتسل سواء أنزل أم لم ينزل، وإذا أنزل وجب عليه غسل سواء جامع أم لم يجامع، حتى لو فكر وأنزل وجب عليه الاغتسال.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ يعني: أن الإنسان إذا وجب عليه الوضوء أو الغسل ولم يجد ماءً أو كان مريضًا يتضرر باستعمال الماء فإنه يتيمم، يضرب الأرض بكفيه ويمسح وجهه وكفيه ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ .

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ يعني: فيما فرض علينا، لم يرد أن يحرجنا ويلحقنا المشقة، بل هو أرحم بنا من أنفسنا وأولادنا وأمهاتنا، والدليل على أنه أرحم منا بأنفسنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فالذي يوصيك ألا تقتل نفسك هو أرحم بك من نفسك، فهو لا يريد منا بهذا الفرض أن يشق علينا أو يلحقنا الحرج.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ هذا الذي أراد الله منا بالوضوء والغسل أن يطهر ظواهرنا بالماء وأن يطهر بواطننا بالتوحيد، ولهذا يُسنّ إذا فرغت من الوضوء أن تتشهد تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ وذلك بهذا الوضوء الذي يحصل به تكفير السيئات ورفعة الدرجات، فإن من توضأ وأسبغ الوضوء ثم قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**[(١)]».

وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لأجل أن تشكروا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على نعمه، فالواجب على المرء أن يشكر الله على نعمه، لأن نعم الله لا تحصى ولا سيما النعم الدينية، لأن النعم الدينية بها سعادة الدنيا والآخرة، والشكر: هو القيام بطاعة الله بامتثال أمره، واجتناب نهيه، يعني باللسان والأركان والقلوب، الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح؛ نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر نعمته وحسن عبادته إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٢٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوضوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَه، فَلْيَفعَلْ[(٢)]**» متفقٌ عليه.**

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الطهارة، باب فيما يُقال بعد الوضوء، رقم(٥٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء رقم(١٣٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٦).

١٠٢٥ ـ وعنه رضي الله عنه قالَ: سَمِعْت خليلي ﷺ يقولُ: «تَبْلُغُ الحِليَةُ مِنَ المؤمِنِ حَيْث يَبْلُغُ الوُضوءُ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٢٦ ـ وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أظفارِهِ[(٢)]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين في باب فضل الوضوء.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا مُحجَّلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل»** يعني: أن هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ تُدْعى يوم القيامة غرًّا محجّلين.

الغرة: بياض الوجه.

والتحجيل: بياض الأطراف، أطراف اليدين، وأطراف الرجلين.

يعني أن هذه المواضع تكون نورًا يتلألأ يوم القيامة لهذه الأمة، وهذه خاصة بنا ولله الحمد، كما قال النبي ﷺ: **«سيما ليست لأحد غيركم[(٣)]»**، يعني علامة تتبين بها أمة محمد ﷺ في ذلك اليوم المشهود.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم(٢٥٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم(٢٤٥).

(٣) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٧).

وهذا دليلٌ على فضل الوضوء، وأن أعضاء الوضوء تأتي يوم القيامة تلوح من النور يقول: «**فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**» وهذه الجملة ليست من كلام النبي ﷺ بل هي من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، وليست بصحيحة من جهة الحكم الشرعي؛ لأن ظاهرها أن الإنسان يُمكنه أن يُطيل غرته: يعني: يطيل وجهه وهذا لا يمكن، فالوجه محدد من الأذن إلى الأذن، ومن منحنى الجبهة إلى أسفل اللحية، لا يمكن أن يُطال، وهذا مما يدل على أن هذه الجملة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه قالها اجتهادًا، كما أشار إلى ذلك ابن القيم في النونية قال:

وأبــو هــريــرة قــال ذا مــن كيســه
فغــدا يميــزه أولــو العــرفــان
وإطــالــة الغــرات ليــس بممكــن
أيضًــا وهــذا واضــح التبيــان

لكن على كل حال ما فرضه الله علينا أن نغسل الوجوه والأيدي إلى المرافق، والأرجل إلى الكعبين هذا هو منتهى الوضوء، وكفى به فخرًا أن يأتي الناس يوم القيامة وهذه المواضع تتلألأ نورًا من أجسادهم من أثر الوضوء، ففي هذا دليلٌ على فضيلة الوضوء وعلى إثبات البعث، وعلى أن الأمم يوم القيامة تأتي كل أمة تُدعى إلى كتابها، هل طبّقت كتابها أم لم تُطبّقه؟

وأما الحديث الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»: الحلية يوم القيامة

يُحلّى بها الرجال والنساء، يلبس الرجال والنساء حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ٢١]، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج: ٢٣].

فهم يحلون بهذه الأنواع الثلاثة، يلبس الرجل والمرأة في الجنة حليًا من هذه الأنواع الثلاثة: ذهب وفضة ولؤلؤ، ولابد أن تكون مرصوفة على وجه يحصل به الجمال أكثر وأكثر؛ لأن التحلي بكل نوع من هذه لا شك أنه يُكسب الإنسان جمالاً فإذا رصف بعضها إلى بعض، ورتبت ترتيبًا حسنًا أعطت جمالاً أكثر يوم القيامة «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**» ، إذًا كل الذراع يكون حلية، مملوءًا حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ وهذا يدل على فضيلة الوضوء، حيث تكون مواضعه يوم القيامة يُحلّى بها الإنسان في الجنة، جعلني الله وإياكم من أهلها.

وأما الحديث الثالث: حديث عثمان رضي الله عنه ففيه: «**أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه**» تخرج خطاياه مع هذا الوضوء حتى من تحت أظفاره، وعلى هذا فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث وأمثالها يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، يعني: أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله، كما أنه إذا صلى يستشعر بأنه يتقرب إلى الله، كذلك وهو يتوضأ، ويستشعر بأنه يمتثل أمر الله في قوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ ، ويستشعر أيضًا أنه متبع لرسول الله ﷺ في وضوئه، وكذلك أيضًا يستحضر

أنه يريد الثواب وأنه يُثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق.

* * *

١٠٢٧ ـ وعنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ تَوَضَّأَ مثلَ وُضوئي هذا ثمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأ هكذا، غُفِرَ له مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ، وَكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ نَافِلَةً[١]» رواه مسلم.

١٠٢٨ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ ـ أو المُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجهَهُ، خَرَجَ مِنْ وجهِهِ كلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إليْها بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ يديهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطيئَةٍ كانَ بَطَشَتْها يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتها رِجلاه مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطرِ الماءِ، حَتَّى يَخرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» رواه مسلم[٢].

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب بيان فضل الوضوء منها: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ: فغسل كفيه ثلاثًا، وتمضمض، واستنشق ثلاثًا، بثلاث غرفات، وغسل وجهه ثلاثًا، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا، ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، ومسح أذنيه، وغسل رجليه ثلاثًا إلى الكعبين.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبة، رقم(٢٢٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم(٢٤٤).

قال النبي ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه**[١]» وهذا شيء يسير - ولله الحمد - أن الإنسان يعمل هذا العمل ثم يُغفر ما تقدم من ذنبه. وأخذ العلماء من ذلك أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين، وتُسمّى سنة الوضوء، سواء في الصباح أو في المساء، في الليل أو في النهار، بعد الفجر أو بعد العصر، لأنها سنة لها سبب، فإذا توضأ الإنسان نحو وضوء الرسول ﷺ فإنه يصلي ركعتين ليُغفر له ما تقدم من ذنبه.

وفي هذا الحديث قال: «**وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**» يعني: زائدًا على مغفرة الذنوب، وليس معنى نافلة يعني صلاة تطوع، قد تكون صلاة فريضة، ولكن نافلة: يعني شيئًا زائدًا على مغفرة الذنوب؛ لأن ذنوبه غُفرت بوضوئه، وصلاته الأولى، فيكون مشيه للمسجد وصلاته ولو فريضة نافلة أي زيادة على مغفرة الذنوب؛ لأن النفل في اللغة معناه الزيادة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - حديث أبي هريرة في أن الوضوء تخرج به الخطايا، إذا غسلت وجهك خرجت خطايا وجهك مع الماء أو مع آخر قطر الماء، (أو) هنا للشك من الراوي، وعلى كل حال فإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، رقم(١٦٠)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، رقم(٢٢٦).

الإنسان إذا غسل وجهه خرجت خطايا وجهه، وإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه التي كان قد بطش بها، وإذا غسل رِجليه خرجت خطايا رجليه حتى يخرج نقيًّا من الذنوب ـ ولله الحمد، فهذا دليلٌ على فضيلة الوضوء.

ولكن مَنْ منا يستحضر هذا الفضل؟! فهل يُكتب هذا الفضل والأجر للإنسان سواءً استحضره أم لا؟ الظاهر ـ إن شاء الله ـ أنه يكتب له سواء استحضر أو لم يستحضر، لكن إذا استحضر فهو أكمل، لأنه إذا استحضر هذا احتسب الأجر على الله ـ عزَّ وجلّ ـ، وأيقن أنه سيُجازى ويكافأ على هذا العمل جزاءً وفاقًا، بخلاف ما إذا توضأ وهو غافل، ولكننا نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يُكتب هذا الأجر حتى من الإنسان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمته، والله الموفق.

* * *

١٠٢٩ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى المقْبرَةَ فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ، وَإنَّا إنْ شاءَ الله بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إخْوانَكَ يَا رسُولَ الله؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإخْوانُنَا الَّذينَ لَمْ يَأتُوا بَعْدُ» قَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «أرَأَيْتَ لَو أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ» قَالُوا: بَلَى يا رسولَ الله، قَالَ: «فَإنَّهُمْ يَأتُونَ غُرًّا مَحَجَّلِين مِنَ الوُضُوءِ، وَأنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ[1]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم(٢٤٩).

الشـــرح

هذا الحديث الذي أورده المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب فضل الوضوء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» أو لَلاَحقون: كان النبي ﷺ في أول الأمر نهى عن زيارة القبور؛ لأن الناس حديثو عهد بشرك، فخشي أن تتعلق قلوبهم بالقبور وتفتتن بها، فنهى عن الزيارة، ثم لما استقر الإيمان في قلوبهم أمرهم بالزيارة، فقال: «**كُنْتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تُزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة**»[1] فأمر النبي ﷺ بزيارتها وبين الحكمة العظيمة من هذه الزيارة وأنها تذكر الموت، تذكر الإنسان الذي على ظهر الأرض أنه اليوم على ظهرها وغدًا في بطنها، ولا يدري: متى يكون هذا؟ قد يصبح الإنسان على ظهر الأرض ويمسي في بطنها، وقد يُمسي على ظهر الأرض ويُصبح في بطنها، فكان في زيارة المقابر تذكير بالموت أو تذكير بالآخرة؛ لأن الإنسان يمر بالمقبرة فإذا فكر وإذا أبوه، أو عمه، أو زوجته، أو أخوه وما أشبه ذلك: بالأمس كانوا معه يأكلون ويشربون ويتنعّمون في القصور، والآن هم مرتهنون بأعمالهم في القبور، يتذكر العام الماضي في مثل هذا الوقت وهم معنا فرحون بالدنيا مغتبطون بها والآن غادروها، وصاروا مرتهنين بأعمالهم، من يعمل خيرًا يلقه ومن يعمل سوءًا يلقه، فهي تذكّر

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم(١٥٧١).

الآخرة، تذكر الموت حقيقة، اخرجوا إلى المقابر، انظروا هؤلاء العالم الذين لا يحصيهم إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أَو لاَ يُحْصَوْنَ إلا بمشقة، كانوا بالأمس معك، والآن هم في بطن الأرض، ولا تدري فلعلك ضجيعهم في مدة يسيرة، فهي تذكر الموت كما قال النبي ﷺ، ولهذا كان يخرج هو بنفسه إلى البقيع يزور أهل البقيع، ويسلم عليهم ﷺ ويدعو لهم.

فسلم عليهم: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**» يعني: يا أهل دار قوم مؤمنين، يسلم عليهم، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه يسلم عليهم ويسمعونه، إذ لا فائدة من خطاب لا يسمعه المُخَاطب، لكنهم لا يستجيبون؛ لأنهم في قبورهم، فيُسلّم عليهم فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» وَصدَق النبي ﷺ ما من حي إلا سيلحق الميتَ بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

يقول: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ لماذا قال: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»، وهو أمرٌ معلومٌ متيقن، كيف يقول ـ إن شاء الله ـ؟ والصحيح أنه لا إشكال في هذا فإن معنى التعليق هنا: أننا إذا لحقنا بكم فإنما نلحق بمشيئة الله، متى شاء لحقناكم؛ لأن الأمر أمره، والملك ملكه، هو الذي يُدبّر ـ عزَّ وجلَّ ـ ما شاء فيمن شاء، أليس الله يقول: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]. مع أنهم سيدخلون؛ لأن الله أكد الدخول بالقسم واللام ونون التوكيد، ولا شكَّ في أنهم سيدخلونه، ولهذا لما جرى الصلح في الحديبية على أن الرسول ﷺ يرجع ولا يكمل عمرته قال له عمر رضي الله عنه: «ألستَ

تُحدّثنا أنا ندخل البيت ونطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» فقال عمر: لا. قال ﷺ: «**فإنك آتيه ومطوّف به**»(١).

فالحاصل أن كلمة «**إن شاء الله**» هنا ليس معناها التعليق الذي يكون الإنسان فيه مترددًا بين حصول الشيء وعدمه، بل معنى التعليق: أن لحوقنا بكم ليس باختيارنا ولكنه بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ثم قال ﷺ: «**وددت أنا لقينا إخواننا**» تمنى أن يلقى إخوانه ﷺ ـ اللهم اجعلني وإياكم منهم ـ تمنّى أن يلقى إخوانه قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «**أنتم أصحابي**» ـ أخص من الإخوان ـ الصاحب أخ وزيادة، والأخ أخ بلا مصاحبة، قال: «**أنتم أصحابي**» يعني: فأنتم أخص منهم، وهم: ـ الصحابة ـ إخوان للرسول ﷺ وأصحاب له، أما من جاءوا بعده من المؤمنين فهم إخوانه وليسوا أصحابه.

«**وددت أنا لقينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله! قال: «**أنتم أصحابي، ولكن إخواني قوم يأتون بعدي، يؤمنون بي ولم يروني**» ـ اللهم لك الحمد ـ اللهم ثبتنا على ذلك ـ يؤمنون بالرسول ﷺ وأنه رسول الله حقًّا وهم لا يرونه، لكنهم مثل الذين يرونه ـ قالوا: يا رسول الله كيف تعرفهم؟ ـ يعني: وأنت لم تدركهم ـ فضرب مثلاً برجل له خيل غُرّ مُحجّلة.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم(٢٧٣٤).

غُرّ يعني: فيها بياض في رأسها.

ومحجلة: بياضٌ في أرجلها ـ مع خيل دهم ـ يعني سود ليس فيها أي غرة.

هل يشتبه عليه هذا بهذا؟ قالوا: لا. قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا مُحجَّلين**» ففي هذا دليلٌ على فضيلة الوضوء، وأن هذه الأمة يأتون يوم القيامة وهم غرّ محجلون من أثر الوضوء، غر يعني: بيض الوجوه، محجلون يعني: بيض الأرجل والأيدي، وهذا البياض بياض نور وإضاءة، يعرفهم الناس يوم القيامة في هذا اليوم المشهود العظيم، تعرف أمة هذا النبي الكريم ﷺ بهذه السيما والعلامة التي ليست لغيرهم، أسأل الله تعالى بمنِّه وكرمه أن يحشرني وإياكم على هذا الوجه، وأن يجعلنا من أمته ظاهرًا وباطنًا إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٣٠ ـ وعنهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا، ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرجَاتِ؟» قالُوا: بَلَى يا رسُولَ الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوضوء عَلَى المَكارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المساجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعدَ الصلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[١]» رواه مسلم.

١٠٣١ ـ وعَنْ أبي مَالك الأشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ[٢]» رواه مسلم. وقد سبقَ بطولِهِ في باب الصبر.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم(٢٥١).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم(٢٢٣).

وفي الباب حديثُ عمرو بْنِ عَبَسةَ رضي الله عنه السَّابِق في آخر بَابِ الرَّجاءِ، وَهُوَ حَدِيثٌ عظيمٌ، مُشتمل على جُملٍ من الخيرات.

١٠٣٢ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخطاب رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ ـ أوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوء ـ ثُمَّ يقولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولهُ، إلاَّ فُتِحَت لَهُ أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّها شاءَ[1]» رواه مسلم.

وزَادَ الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِين وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطهِّرِين»[2].

الشــرح

هذه الأحاديث في بيان فضل الوضوء، وقد سبق حديث في هذا المعنى، وتكلمنا على زيارة القبور التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ وبيّنا أن فيها فائدة عظيمة، وهي تذكير الإنسان الموت أو الآخرة، وليُعلمْ: أن زيارة القبور لا تحل للنساء، فلا يجوز للمرأة أن تزور المقبرة؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج[3]؛ ولأن المرأة ضعيفة لا تتحمل فربما تنوح وتبكي وتلطم ولأن المقابر ـ في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم(٢٣٤).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الطهارة، باب فيما يُقال بعد الوضوء، رقم(٥٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٢٩)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، رقم(٣٢٣٦)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا، رقم(٣٢٠)، والنسائي: كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، رقم(٢٠٤٣).

الغالب ـ تكون خالية من الناس، فيُخشى إذا خرجت المرأة إليها أن يتبعها السفهاء والسُّفَل من الناس ويحصل بذلك المحذور والفتنة، لهذا لعن النبي ﷺ زائرات القبور، أما إذا مرت المرأة بالمقبرة من غير أن تخرج لقصد الزيارة فلا بأس أن تقف وتسلم وتدعو كما يدعو الرجل، يعني: هناك فرق بين القصد وعدم القصد.

ثم ليُعلمْ أيضًا أن أصحاب القبور مهما بلغوا من العمل الصالح والتقى لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملكون لغيرهم أيضًا نفعًا ولا ضرًّا، ولهذا هُم يُدعى لهم ولا يُدعَوْن، يُدعى لهم كما سبق أن النبي ﷺ دعا لهم، ولكنهم لا يُدعون؛ لأنهم لا يفيدون، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

أما ما ذكره ـ رحمه الله ـ من الأحاديث الباقية، فهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ألا أنبئكم ـ أو ألا أخبركم ـ بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»** وإنما ساق الحديث ﷺ على سبيل الاستفهام من أجل أن ينتبه السامع لما يُلقى إليه، لأن الأمر مهم، فقال: **«ألا أنبئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟»** قالوا: بلى يا رسول الله نبئنا، قال: **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى**

المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

«إسباغ الوضوء على المكاره»: يعني أن الإنسان يتوضأ ويسبغ وضوءه على كره منه: إما لكونه فيه حمى ينفر من الماء فيتوضأ على كره، وإما أن يكون الجو باردًا، وليس عنده ما يسخن به الماء ويكون الماء باردًا فيتوضأ على كره، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول إلى مكان الوضوء فيتوضأ على كره، المهم أنه يتوضأ على كره ومشقة لكن بدون ضرر، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمم، لكن يتأذى ويتوضأ على كره، هذا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، وهذا لا يعني أن الإنسان يتقصد على نفسه ويذهب يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، أو يكون عنده ما يسخن به الماء. ويقول: لا أسخن، أريد أن أتوضأ بالماء البارد، لأنال هذا الأجر، فهذا غير مشروع، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧].

ورأى النبي ﷺ رجلاً واقفًا في الشمس قال: «ما هذا؟» قالوا: نذر أن يقف في الشمس، فنهاه عن ذلك وأمره أن يستظل[1]، فالإنسان ليس مأمورًا ولا مندوبًا في أن يفعل ما يشق عليه ويضره، بل كلما سهلت عليه العبادة فهو أفضل، لكن إذا كان لابد من الأذى والكره فإنه يؤجر على ذلك، لأن هذا بغير اختياره.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم(٦٧٠٤).

كذلك «**كثرة الخطا إلى المساجد**» فيه دليلٌ على أن الجماعة تكون في المسجد ولا تكون في البيت، وأن الإنسان إذا كثرت خطاه إلى المساجد فإنه يؤجر: ويَرفع الله به له الدرجات ويمحو عنه الخطيئات.

وقد ثبت عن النبي ﷺ «**إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفِعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة**»[١] وهذه نعمة عظيمة، «فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة».

«**وكثرة الخطا**» يعني: أن يأتي الإنسان إلى المسجد ولو من بعد، وليس المعنى أن يتقصد الطريق البعيد، أو أن يقارب الخطا، فهذا غير مشروع، بل يمشي على عادته، ولا يتقصد البعد، يعني: مثلاً لو كان بينه وبين المسجد طريق قريب وطريق آخر بعيد لا يتقصد أن يذهب من البعيد لكن إذا كان بعيدًا ولابد أن يمشي إلى المسجد فإن كثرة الخطا إلى المساجد مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

وأما الثالث: «**انتظار الصلاة بعد الصلاة**»: بمعنى أن الإنسان إذا فرغ من هذه الصلاة يتشوق إلى الصلاة الأخرى فرغ من صلاة العصر ينتظر بقلبه صلاة المغرب، فرغ من صلاة المغرب ينتظر بقلبه صلاة العشاء،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦٤٧).

وهكذا يكون قلبه معلقًا بالمساجد: كلما فرغ من صلاة إذا هو ينتظر الصلاة الأخرى، هذا أيضًا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

قال: «**فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» يعني المرابطة والمداومة على الخير، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثم ذكر المؤلف حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الطهور شطر الإيمان**»: يشمل طهور الماء، وطهور التيمم، وطهارة القلب من الشرك والشك والغل والحقد على المسلمين، وغير ذلك مما يجب التطهر منه فهو يشمل الطهارة الحسية والطهارة المعنوية.

«**شطر الإيمان**»: نصفه، والنصف الثاني هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة؛ لأن كل شيء لا يتم إلا بتنقيته من الشوائب وتكميله بالفضائل؛ فالتكميل بالفضائل نصف، والتنقية من الرذائل نصف آخر، ولهذا قال: «**الطهور شطر الإيمان**» وأما شطره الثاني فهو التكميل بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.

ثم ذكر المؤلف آخر ما ختم به الباب حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرجل«**إذا أسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فإنها تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»، وزاد الترمذي ـ رحمه الله ـ: «**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**» هذه الأحاديث في فضائل الوضوء،

والمؤلف لم يستوعب كل ما ورد في هذا الباب من فضائل، لكن لو لم يكن من فضائله إلا حديث واحد لكفى به دعوة إلى الوضوء وإحسانه وإسباغه، وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٨٦ ـ باب فضل الأذان

١٠٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِموا عَلَيْهِ لاسْتَهموا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في التَّهْجِير لاسْتَبَقُوا إلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأتَوهُمَا وَلَو حَبْوا[١]» متفقٌ عليه.

«الاستْهامُ» الاقتراع، و«التَّهْجير»: التبكير إلى الصلاة.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ «باب فضل الأذان» يعني ما ورد فيه، **والأذان:** هو الإعلام، الإعلام بالصلاة أي بدخول وقتها إن كانت مما يقدم، أو بفعلها إن كانت مما يؤخر، هذا هو الأذان، يعني: ينادي الإنسان فيُعلِم الناس بأن الوقت قد دخل في صلاة المغرب، وفي صلاة الفجر، وفي صلاة العصر، وفي صلاة الظهر إلا أن يبردوا بها، فالأذان عند دخولها، وكذلك في أذان العشاء إذا أعتموا بها فالأذان كذلك يؤخر، وإلا فإنه يؤذن عند دخول الوقت؟ لقول النبي ﷺ: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**[٢]» والأذان المشروع هو الذي يؤذن للصلوات الخمس، وفرض في السنة الثانية من الهجرة بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٦١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٤٣٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، رقم(٦٢٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٤).

المدينة شرع الأذان، واختلف الصحابة حين تشاوروا كيف يُعلَم بدخول وقت الصلاة؟ فقال بعضهم: نوقد نارًا عظيمة يعرف الناس أن الوقت قد دخل، وقال بعضهم: بل نضرب بالناقوس ـ الناقوس ـ الذي يشبه الجرس.

وهو الذي ينادي به النصارى لصلواتهم، وقال آخرون: بل ننفخ بالبوق كما يفعل اليهود، وكل هذا كرهه النبي ﷺ فرأى رجل من الصحابة ـ وهو عبد الله بن زيد ـ رأى رجلاً في المنام وفي يده ناقوس قال له: أتبيع هذا؟ قال: وماذا تصنع به؟ قال: أُعلِم به للصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك، قال: بلى، فقرأ عليه الأذان، وقرأ عليه الإقامة فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وأخبره بالخبر، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا رؤيا حق**» ثم علمه بلالاً فأذن به[1]، بهذا الأذان المعروف.

ولما كان في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وكثر الناس جعل أذانًا أولاً للجمعة قبل الأذان الثاني الذي هو عند حضور الإمام، فكان في يوم الجمعة أذانان، أذان أول وأذان ثانٍ، وفي رمضان أمر النبي ﷺ بلالاً أن يؤذن في آخر الليل إذا قرب وقت السحور، وقال: «**إن بلالاً يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**[2]» فصار عندنا الفجر لها أذان أول،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٧٢)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، رقم(٤٩٩)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، ـ مختصرًا ـ رقم(١٨٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره، رقم(٦١٧)، =

ولكن ليس لها بل لأجل الإعلان بأن وقت السحور قد حل، والجمعة لها أذان أول من سنة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم.

قال بعض المتحذلقين الذين يدعون أنهم سلفيون سنيون: قالوا إن أذان الجمعة الأول لا نقبله؛ لأنه بدعة، لم يكن على عهد النبي ﷺ وهذا القول منهم قدح للنبي ﷺ وقدح بالخلفاء الراشدين وقدح بالصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء المساكين وصلوا إلى هذا الحد من حيث لا يعلمون.

أما كونه قدحًا بالرسول ﷺ فلأن النبي ﷺ قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**[1]» وبإجماع المسلمين أن عثمان رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، وأما كونه قدحًا بالخلفاء الراشدين، فهو قدح بعثمان رضي الله عنه وهو منهم، والقادح في واحد منهم قادح في الجميع، كما أن المكذب للرسول الواحد مكذب لجميع الرسل، وأما كونه قدحًا بالصحابة؛ فلأن الصحابة لم ينكروا على عثمان رضي الله عنه مع أنه لو أخطأ لأنكروا عليه كما أنكروا عليه الإتمام في «منى» في الحج، فهل هؤلاء المتحذلقون أعلم بشريعة الله وبمقاصد الشريعة من الصحابة؟!

= ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم(١٠٩٢).

(١) رواه أحمد في المسند(١٢٦/٤)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(٢٦٧٦)، وابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم(٤٢).

لكن صدق رسول الله ﷺ: «أن آخر هذه الأمة يلعن أولها ـ والعياذ بالله ـ ويقدح فيهم»[1]، فالأذان الأول للجمعة أذان شرعي بإشارة النبي ﷺ وسنة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وبإجماع الصحابة الإجماع السكوتي ولا عذر لأحد، وقطع الله لسان من يعترض على خلفاء هذه الأمة الراشدين وعلى الصحابة.

قد يقول قائل: لماذا لم يُشرّعه الرسول ﷺ والجمعة موجودة في عهده؟

والجواب: أن السبب هو أن الناس في عهد عثمان كثروا واتسعت المدينة، واحتاجوا إلى أذان ينبههم يكون قبل الأذان الأخير الذي يكون عند مجيء الإمام فكان من الحكمة أن يؤذن، وقد بنى عثمان رضي الله عنه على أساس: فها هو النبي ﷺ يأمر بلالاً أن يؤذن في آخر الليل لا لأن الصلاة حلت ـ صلاة الفجر ـ ولكن ليوقظ النائم ويرجع القائم، فهو مقصد شرعي، ولا إشكال في شرعية الأذان الأول ليوم الجمعة، فهو مشروع بسنة الخلفاء الراشدين وإيماء سيد المرسلين محمد ﷺ وإجماع الصحابة الذين أدركوا هذا، أما الأذان في آخر الليل فإنه مشروع بسنة النبي ﷺ في رمضان لإيقاظ النائم، وإرجاع القائم، لكن هل يشرع في غير رمضان؟ نقول: لعله قياسًا على فعل عثمان رضي الله عنه نرى أنه لا بأس به.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم(٢٢١٠)، وابن ماجه: المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، رقم(٢٦٣).

وها هنا مسألة ثانية «الصلاة خير من النوم»: زعم بعض المتأخرين أنها تُقال في الأذان الأول الذي قبل الفجر، وأخطأوا خطأً عظيمًا، لأن النبي ﷺ أمر بلالاً أن يقول: «الصلاة خير من النوم» في أذان الفجر، قال: «**إذا أذنت بالأول لصلاة الصبح فقل: الصلاة خير من النوم**»(١). ومعلوم أن الأذان للصلاة لا يكون إلا بعد دخول وقتها لقول النبي ﷺ: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**(٢)» وسُمّي أذانًا أولاً باعتبار الإقامة لأن الإقامة أذان ثان، كما قال النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**(٣)» وجاء في صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فإذا أذن الأول للفجر(٤) ـ يعني: قام النبي ﷺ حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه لصلاة الفجر.

وهذا صريحٌ في أن أذان الفجر الأول هو ما يكون بعد دخول الوقت، وأما الأذان آخر الليل فليس أذانًا للفجر بل هو أذان للنائمين ليقوموا، وللقائمين ليرجعوا ويتسحروا إذا كان ذلك في وقت الصوم.

والأذان من أفضل الأعمال، وهو أفضل من الإمامة، يعني أن مرتبة المؤذن في الأجر أفضل من مرتبة الإمام، لأن المؤذن يعلن لتعظيم الله وتوحيده والشهادة للرسول بالرسالة وكذلك أيضًا يدعو الناس إلى الصلاة

---

(١) رواه أحمد في المسند(٣/ ٤٠٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب المكث بين السجدتين، رقم(٨١٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم(٦٢٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بين كل أذانين صلاة، رقم(٨٣٨).

(٤) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من انتظر الإقامة، رقم(٦٢٦)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد الركعات النبي ﷺ، رقم(٧٣٦).

وإلى الفلاح في اليوم والليلة خمس مرات أو أكثر، والإمام لا يحصل منه ذلك، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة[١]، ولهذا كان الأذان مرتبته في الشرع أعلى من مرتبة الإمامة.

فإن قال قائل: إذا كان كذلك لماذا لم يكن الرسول ﷺ يؤذن ولا الخلفاء الراشدون، أجاب العلماء عن هذا بأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كانوا مشغولين بمصالح العباد؛ لأنهم أئمة وخلفاء يدبّرون أمور الأمة، والأذان في عهد الرسول ﷺ ليس كالأذان في وقتنا، الآن إذا أراد الإنسان أن يؤذن ليس عليه سوى أن ينظر إلى الساعة ويعرف الوقت حل أو لم يحل، لكن في عهد الرسول ﷺ يراقبون الشمس ويتابعون الظل حتى يعرفوا أن الشمس قد زالت، وكذلك أيضًا يراقبونها حتى يعرفوا أنها غربت ثم يراقبون الشفق، ثم يراقبون الفجر، ففيه صعوبة، صعوبة عظيمة، لذلك كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون لا يتولون الأذان، لا لأن فضله أقل من الإمامة، ولكن لأنهم مشغولون بما هم فيه عن الأذان.

وقد بيّن النبي ﷺ فضيلته بأن الناس «**لو يعلمون ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» سبحان الله العظيم فمعنى هذا أن الناس لو يعلمون ما في الأذان من فضل وأجر لكانوا يقترعون أيهم الذي يؤذن، بينما الناس الآن مع الأسف يتدافعونه.

هذا يقول: أذّن يا فلان، أذّن يا فلان. . ، فيقول: أنا والله صوتي ليس

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

حسنًا، أو ليس عاليًا. . ، أو يقول: إن ناسًا آخرين سوف يؤذّنون، فيثبطهم الشيطان عن فعل الخير، وها هو النبيّ ﷺ يقول: «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه - يعني يقترعون عليه - لاستهموا**»

فينبغي عليك إذا كنت في رحلة أن تحرص على أن تكون أنت المؤذن ومعلوم أن الرحلة لها أمير - سواء رحلة سفر أو نزهة - فلابد أن يكون هناك أمير فإذا رتّب الأمير شخصًا للأذان فليس لأحد أن يتقدم ويؤذن، لأنه صار مؤذّنًا راتبًا، وكذلك إذا قال لأحدهم: أنت الإمام، صار هو الإمام ولا أحد يتقدم عليه، لقول النبي ﷺ: «**لا يَؤُمَّنَ الرجلُ الرجلَ في سلطانه إلا بإذنه**»[(١)]، وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٠٣٤ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ[(٢)]» رواه مسلم.

١٠٣٥ - وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبِي صَعْصَعَةَ أنَّ أبَا سعيد الخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: «إنِّي أرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإذَا كُنْتَ في غَنَمِكَ - أوْ بَادِيتكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلاَ إنْسٌ، وَلاَ شيءٌ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٣)]» قال أبو سعيد سَمعتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه البخاري.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم(٦٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم(٣٨٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، رقم(٦٠٩).

الشــرح

هذان الحديثان ذكرهما المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب «فضل الأذان» عن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**» إذا بُعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهم أنهم أطول الناس أعناقًا فيعرفون بذلك تنويهًا بفضلهم وإظهارًا لشرفهم، لأنهم ـ أي المؤذنين ـ يؤذنون ويعلنون بتكبير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح، يعلنونها من الأماكن العالية، فلهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رءوسهم وأن تعلو وجوههم التي يتكلمون منها في هذا الأذان وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون مؤذنًا حتى لو كان في نزهة هو وأصحابه فإنه ينبغي أن يبادر لذلك، وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**».

وكذلك من فضيلة الأذان ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد يوم القيامة**»، وهذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهًا بفضله وبيانًا لثوابه.

فالحاصل: أن الأذان له فضل عظيم، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون مؤذنًا إلا أنه إذا كان هناك مؤذن راتب فإنه لا يحل لأحد أن يتجاوز ويؤذن

عنه إلا إذا كان قد وكّله أو ما أشبه ذلك، يعني لا تظنوا أن الإنسان ينبغي له أن يبادر للمسجد ويؤذن قبل أن يحضر المؤذن الراتب، لأن هذا عدوان عليه، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يَؤمّنّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه إلا بإذنه**[(١)]» والله الموفق.

* * *

١٠٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حتَّى لا يَسْمَعَ التَّأذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا ـ لمَا لمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ ـ حَتَّى يَظلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى[(٢)]» متفقٌ عليه.

«التَّثْوِيبُ» الإقَامَةُ.

١٠٣٧ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ النداء المُؤَذِّنَ فقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلاَّ لعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ[(٣)]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من أحقُّ بالإمامة، رقم(٦٧٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، فضل التأذين، رقم(٦٠٨)، ومسلم: كتاب الصلاة، فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم(٣٨٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم(٣٨٤).

الشـــرح

هذه الأحاديث أيضًا في فضل الأذان: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط كراهة أن يسمع ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، الذي يخنس عند ذكر الله ـ عزَّ وجلّ ـ ويختفي ويبعد، لأن الشيطان أكره ما عنده عبادة الله، وأبغض ما عنده من الرجال عباد الله، وأحب ما يحب الشرك بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ والمعاصي، لماذا؟ لأنه يأمر بالفحشاء: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فيحب من الناس أن يأتوا ما لم يأمر الله به، ويكره منهم أن يأتوا ما أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فإذا أذن المؤذن ولَّى وأبعد عن مكان الأذان حتى يخرج بعيدًا عن البلاد لئلا يسمع الذكر، فإذا انتهى الأذان أقبل حتى يغوي بني آدم، فإذا ثُوِّب يعني أقيمت الصلاة فإنه في حال الإقامة أيضًا يُولّي ويُدبر، ثم إذا فرغت الإقامة أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه يعني يحول بين المرء وقلبه في صلاته: يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، اذكر كذا يُذكّره بأشياء قد نسيها وهذا أمر يشهد له الواقع فإن الإنسان أحيانًا ينسى أشياء فإذا دخل في الصلاة فتح الشيطان عليه باب التذكر حتى جعل يذكرها، ويُذكر أن رجلاً اشتكى إلى آخر وقال له: إنه استودع وديعة ـ يعني عظيمة ـ ونسيها، فقال له اذهب فتوضأ فصلِّ ركعتين وستذكرها، ففعل الرجل، فذكرها، ذكّره إياها الشيطان.

وصدق رسول الله ﷺ حيث أراد في هذا الحديث فائدتين عظيمتين :

الفائدة الأولى: بيان فضل الأذان، وأنه يطرد الشياطين، ولهذا استحب كثير من العلماء إذا وُلد المولود أول ما يولد أن يؤذن في أذنه حتى يطرد الشيطان عنه، وبعض أهل العلم يقول: يؤذن في أذنه حتى يكون أول ما يسمع ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وعلى كل حال، فالأذان يطرد الشياطين، ولكن هل إذا أذن الإنسان في غير وقت الأذان هل يطرد الشياطين؟ الله أعلم، لكن ذكر الله على سبيل العموم يطرد الشياطين، لأن معنى الخناس الذي يخنس عند ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

أما الحديث الثاني: ففضيلته أن النبي ﷺ أمر إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول: إذا قال: الله أكبر، نقول: الله أكبر، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، نقول: أشهد أن لا إله إلا الله؛ وإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، نقول: أشهد أن محمد رسول الله. . .إلخ، إلا (حي على الصلاة، حي على الفلاح) فلا نقول، لأننا نحن مدعوون والمؤذن داعٍ، فلا يصح أن نقول (حي على الصلاة) وهو يقول: (حي على الصلاة) لكننا نقول كلمة الاستعانة وهي (لا حول ولا قوة إلا بالله) وإذا قال: (حي على الفلاح) نقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وهذه الكلمة تعني أننا عزمنا على الإجابة، يعني نجيب، ولكننا نستعين بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا أقول: إن هذه الكلمة كلمة استعانة تعين الإنسان على أموره، فإذا قالها أعانته على أموره وعلى صلاح أحواله.

ولهذا قال الرجل المؤمن في قصة صاحبيَ الجنتين لصاحبه: ﴿ وَلَوْلَآ

﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. يعني: لكان خيرًا لك ولسلمت جنتك من التلف، فهذه الكلمة كلمة عظيمة حتى قال النبي ﷺ لعبد الله بن قيس - أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**» قال: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»(١) فإذا قال المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا قال في أذان الفجر: «الصلاة خيرٌ من النوم». نقول: «الصلاة خيرٌ من النوم»، كما يقول وإذا قال: الله أكبر، قلنا: الله أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله، قلنا: لا إله إلا الله، ثم بعد ذلك نصلي على النبي ﷺ نقول: اللهم صل على محمد، فإن من صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم نسأل الله له الوسيلة: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد. فإذا صلينا على النبي، وسألنا الله له الوسيلة حلت لنا الشفاعة - يعني شفاعة النبي ﷺ - يعني صرنا من أهل شفاعته.

وما هي **الوسيلة**؟ هي درجة في الجنة عالية أعلى ما يكون، لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، قال النبي ﷺ: «**وأرجو أن أكون أنا هو**» وهذا الرجاء - إن شاء الله تعالى - سيكون محققًا؛ لأننا نعلم أن أفضل الخلق

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم(٦٤٠٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم(٢٧٠٤).

عند الله محمد ﷺ، ولأن أمة محمد تدعو الله تعالى بذلك بعد كل أذان، والدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ، كل الأمة تقول: (اللهم آت محمدًا الوسيلة، وجدير بأمة محمد ﷺ ـ بإذن الله ـ إذا دعت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يُؤتيَ محمدًا الوسيلة أن يقبل الله منها، ولهذا قال: «**أرجو أن أكون أنا هو** ﷺ».

إذًا ينبغي لنا إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول، حتى لو كنت تقرأ، اقطع القراءة وأجب المؤذن، وإذا فرغت أقبل على قراءتك، واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ فيما إذا كان الإنسان يُصلي: هل إذا كان الإنسان يُصلي يتابع المؤذن ويجيب المؤذن؟ فقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ نعم، ولو كنت تصلي، تابعه لأن الأذان ذكر لا يبطل الصلاة.

والنبي ﷺ يقول: إذَا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ولم يستثن حالاً من الأحوال، ولكن أكثر العلماء يقولون: إذا كنت تصلي لا تُجب المؤذن، لأن الصلاة فيها شغل يعني شغل خاص بالصلاة، والأذان طويل يعني يشغلك كثيرًا عنها، ولكن لو عطست وأنت تصلي فقل: الحمد لله، لأنها كلمة واحدة لا تشغلك عن الصلاة، أما إجابة المؤذن فطويلة فلا تجب المؤذن، ولكن إذا فرغت من الصلاة فأجب المؤذن، لأنك سكت اشتغالاً بصلاتك، كذلك إذا كنت على قضاء الحاجة يعني أن الإنسان يبول أو يتغوط، وأذن المؤذن فلا يُجب المؤذن؛ لأن هذا ذكر، لكن إذا فرغت وخرجت من المرحاض أجب المؤذن، وقيل: بل يجيبه بقلبه، يتابع المؤذن بقلبه، لكن هذا فيه نظر، لقول الرسول ﷺ: «**فقولوا مثل ما يقول**» والمتابعة

بالقلب ليست قولاً، كذلك لو سمعت عدة مؤذنين فهل تجيب كل مؤذن؟ أو تجيب مَنْ أَذَّن أوّلاً فتتابعه وتسكت؟ نقول إذا كانوا يؤذنون في صوت واحد بمعنى أن يبدأ الثاني قبل أن يتم الأول فاشتغل بالأول وكمّل معه ولا تتابع الثاني لأنك مشغول بإجابة الأول، أما إذا سمعت الثاني بعد انتهاء الأول فتابعه، يعني مثلاً لما كمّل المؤذن الأول الأذان سمعت مؤذنًا بدأ من جديد فتابعه لأنه خير، وهو داخل في عموم قول الرسول ﷺ: «**فقولوا مثل ما يقول المؤذن**».

لكن العلماء ـ رحمهم الله ـ قيّدوا هذا فيما إذا لم يكن قد صلّى، فإن كان أذّن وصلى، ثم بعد ذلك سمع أذانًا قالوا، فلا يجبه، لأنه غير مدعو بهذا الأذان، فقد أدّى ما فُرض عليه فلا يحتاج أن يتابع المؤذن، ولكن في هذا القول نظر؛ لأنه مخالف لعموم قول النبي ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن**» ولم يستثن شيئًا، وقولهم: إنه غير مدعو بهذا الأذان، نقول إنه الآن غير مدعو بهذا الأذان لكن في المستقبل لابد أن يُدْعى للصلاة، والأمر هنا سهل نقول: أجب المؤذن ـ ولو كنت قد صلّيت ـ وأنت على خير، ولا يضرك شيء. والله الموفق.

* * *

١٠٣٨ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ[١]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي، رقم(٦١١)، ومسلم: =

١٠٣٩ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ[1]» رواه البخاري.

١٠٤٠ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: مَنْ قَال حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرسُولُهُ، رَضِيتُ بالله ربًّا، وبمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وبالإسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ[2]» رواه مسلم.

١٠٤١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ «الدُّعَاءُ لا يُردُّ بَيْنَ الأذَانِ والإقَامَةِ[3]» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأحاديث بقية «باب فضل الأذان» ساقها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ، ومنها: قول النبي ﷺ: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»، ومنها: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة**

= كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن عن سمعه، رقم(٣٨٣).

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم(٦١٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم(٣٨٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١٩)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، رقم(٥٢١)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم(٣٥٩٥).

والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد»، ومنها: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» ومنها: «أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردّ»

فأما الحديث الأول فقد سبق الكلام عليه أنه ينبغي للإنسان إذا سمع النداء أن يقول مثل ما يقول المؤذن إلا إذا قال المؤذن: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ كما بينا من قبل.

وأما الحديث الثاني: من قال حين يسمع النداء: يعني: وفرغ المؤذن، كما دلَّ عليه الحديث السابق، إذا فرغ المؤذن فإنك تُصلّي على النبي ﷺ ثم تقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد». «اللهم رب هذه الدعوة التامة»: هي الدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح؛ لأن ذلك من أتم ما يكون من الدعوات.

و «الصلاة القائمة» يعني: الصلاة التي ستقام؛ لأن النداء إعلام بدخول وقت الصلاة.

«آت محمدًا الوسيلة والفضيلة»: يعني أعطه الوسيلة وهي درجة في الجنة أعلى ما يكون من درجات الجنة وهي للنبي ﷺ.

«والفضيلة» يعني الميزة والرتبة العالية على غيره عليه الصلاة والسلام وقد حصل له ذلك.

«وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته» وقد وعده الله ذلك في قوله:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ومن هذا المقام المحمود الشفاعة العظمى، فإن الناس يوم القيامة يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون في ذلك الموقف العظيم الذي مقداره خمسون ألف سنة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، عارية أجسادهم، حافية أقدامهم، شاخصة عيونهم، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، الشمس تدنو منهم قدر ميل[١]، ولا هناك عوج ولا أمت ولا ظل، ولا بناء ولا شيء، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله، فيأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تصل إلى النبي ﷺ فيقوم ويشفع[٢]، وفي هذا المقام يحمده الأولون والآخرون، لأن الناس كلهم في هذا المقام، فإذا تعذر الأنبياء الكرام الكبار: إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم أبو البشر ثم قام هذا النبي الكريم فشفع إلى الله فهنا يحمده الأولون والآخرون، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ ثم إن هذا الحديث رواه البخاري إلى قوله: الذي وعدته، لكن قد صحت الزيادة: «**إنك لا تخلف الميعاد**[٣]» فينبغي أن يقولها الإنسان؛ لأنها صحيحة، ولأن هذا دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(١٩٣).
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠).

فهو ـ جلَّ وعلا ـ لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته ـ جلَّ وعلا ـ، وإخلاف الوعد إما أن يكون عن كذب من الواعد، وإما أن يكون عن عجز منه، والله ـ جلّ وعلا ـ أصدق القائلين وأقدر القادرين، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ وعد نبيه في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهو جلَّ وعلا ـ صادق في وعده، قادر على تنفيذه.

أما من قال ـ حين يسمع النداء ـ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً**»، فهذه تقال إذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، وقُلتَ معه فقل: «**رضيت بالله ربًا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**».

أما آخر أحاديث الباب ففيه الحث على الدعاء بين الأذان والإقامة، وأن الدعاء بين الأذان والإقامة حري بالإجابة، فينبغي أن تنتهز هذه الفرصة فتدعو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بين الأذان والإقامة، لعل الله أن يستجيب لك. والله الموفق.

* * *

١٨٧ـ باب فضل الصلوات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل الصلوات.

الصلوات: هي عبادات معلومة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأنفع أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة بين الإنسان وبين ربه؛ لأن الإنسان يقوم بين يدي الله عزَّ وجلَّ يناجيه، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فيقول الله: «**حمدني عبدي**»، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيقول الله: «**أثنى علي عبدي**». ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: «**مجّدني عبدي**»، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول الله: «**هذا بيني وبين عبدي نصفين**»، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فيقول: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل[1]» محاورة ومناجاة.

ثم هي أيضًا أفعال وأقوال كلها تعظيم من حين ما يبدأ الإنسان وهو يقول: الله أكبر. يعني أكبر من كل شيء علمًا وسلطانًا وكبرياء وجبروتًا، وكل شيء السموات السبع والأرضون السبع في كفه كخردلة في كف

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٣٩٥).

أحدنا يَطوي الله هذه السموات على عظمها، يطويها بيمينه ـ عزَّ وجلَّ ـ ويقبض الأرض على كبرها كقبضة أحدنا بيده على الشيء، فكل المخلوقات ليست إليه بشيء، فالله أكبر.

ثم يناجيه بكلامه ثم ينحني تعظيمًا له بفعله، ويعظمه بلسانه يقول: سبحان ربي العظيم، ثم يرفع ثم يسجد وهذا الرفع من أجل الفصل بين ركن التعظيم وركن الذل ركن التعظيم هو الركوع، وركن الذل هو السجود، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أما الركوع فعظِّموا فيه الرب**».

ثم يسجد ذلاً لله وخضوعًا فيضع أشرف ما به على مستوى أقدامه التي هي أسفل ما به، ويضع جبهته على الأرض ذلاً لله وخضوعًا له ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم يقول (سبحان ربي الأعلى) تنزيهًا لربه ـ سبحانه وتعالى ـ عن السفول، فالإنسان الآن في سفل، وجهه في الأرض فيقول: (سبحان ربي الأعلى)، كأنما يقول: سبحان من تنزه عن السفول، فكان أعلى وفوق كل شيء ـ جل وعلا ـ

فالصلاة عبادة عظيمة ـ نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم حتى نعرف قدرها ـ، ويدلك على فضلها وعظمها ومحبة الله لها أنه ما من فريضة فُرضت على الرسول ﷺ إلا بواسطة الوحي إلا الصلاة، فرضها الله على رسوله من الله إلى الرسول كفاحًا له كلّمه بها، وفرضها عليه في أعلى مكان يصل إليه البشر، وفرضها عليه في أشرف ليلة كانت لرسول الله ﷺ وهي ليلة المعراج، وفرضها عليه عددًا كبيرًا، خمسين صلاة في اليوم والليلة؛ لأن الله يحبها، ولأن ثوابها عظيم، ولكن من لطف الله أن خففها حتى

صارت خمس صلوات عن خمسين صلاة ـ اللهم لك الحمد ـ .

والصلاة لها ثمرات جليلة عظيمة منها :

١ ـ ما ذكره الله تعالى في الآية التي صدر بها المؤلف هذا الباب ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الفحشاء: فواحش الذنوب كالزنا واللواط وما أشبهها .

والمنكر: ما دون ذلك .

ولكن متى تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر؟ والجواب إذا كانت صلاة مقامة على الوجه الأكمل، ولهذا فكثيرًا لا نجد القلوب تتغير أو تكره الفحشاء أو المنكر بعد الصلاة، أو يكون الإنسان بعد الصلاة خيرًا منه قبلها، لا نجد هذا لماذا؟ لأن الصلاة التي نصليها ليست الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإلا فكلام الله حق، ووعده صدق، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

إذا كنت قد هممت بسيئة أو كان قلبك يميل إلى المعاصي فإنك إذا صليت انمحى ذلك كله، لكن بشرط أن تكون الصلاة التي تراد منك والتي تريدها أنت لله ـ عزَّ وجلَّ ـ صلاة أكمل ما يكون، ولهذا يجب علينا ـ ونسأل الله أن يعيننا ـ يجب علينا أن نعتني بصلاتنا، نكملها بقدر المستطاع بجميع أركانها وشروطها وواجباتها ومكملاتها، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

قال بعض السلف: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا ـ نسأل الله العافية ـ، لأنها ليست الصلاة المطلوبة منَّا، الصلاة المطلوبة منَّا أن تكون صلاة بمعنى الكلمة، كان بعض السلف إذا دخل في

صلاته لا يحس بشيء، ويغيب عن كل شيء إلا عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

حتى إن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ وهو من فقهاء التابعين أصابت أحد أعضائه آكلة ـ والآكلة جروح تتقرح حتى تقضي على الجسم كله ـ فقرر الأطباء أن تقطع رجله، حتى لا تسري الآكلة إلى بقية البدن، وكان في ذلك الوقت لا يوجد إمكانيات للتخدير فقال: أمهلوني حتى أدخل في صلاتي. فلما دخل في صلاته قطعوا رجله، فلم يحس بها؛ لأن قلبه منشغل مع الله، والقلب إذا انشغل لن يحس بما يصيب البدن، انظر إلى الحمالين ـ مثلاً ـ يُحمّلون البضائع أو يُنزلونها فيصاب أحدهم بجرح في يده أو في رجله مع التحميل ولا يحس به، لأنه مشغول، فإذا انتهى من العمل أحس بالجرح.

فالإنسان في صلاته لابد أن يكون مع الله ـ عزَّ وجلّ ـ ولا يذهب قلبه يمينًا وشمالاً كما هي العادة عند كثير منَّا، ولا تتسلط الهواجس ولا الوساوس التي هي بلا أصل ولا فرع إلا إذا دخل الإنسان في الصلاة، يقول الشيطان له: اذكر كذا، اذكر كذا، افعل كذا، لا تفعل كذا وهذا يخل بالصلاة، فلربما ينصرف الإنسان وليس له من صلاته شيء وإن كانت تبرأ الذمة لكن ما أدرك شيئًا منها، وكان عمر رضي الله عنه يجهز جيشه في الصلاة[١]، فأخذ البطالون من هذا أنه لا بأس أن الإنسان يهوجس في صلاته - يوسوس وما إلى ذلك - لأن عمر جهز الجيش، فيفعل ويترك.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب يُفْكِر الرجلُ الشيء في الصلاة، ترجمة الباب.

لكن تجهيز الجيش جهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الله يجوز أن يدخل على الصلاة، ولهذا نجد أن الله شرع للمسلمين صلاة الخوف، صلاة الخوف فيها أفعال لا تُفعل في غير صلاة الخوف، كما هو معروف لطلاب العلم، فعمر رضي الله عنه يجهز جيشه في صلاته ـ وهو حاضر القلب ـ لم يذهب قلبه يمينًا ولا شمالاً، لأنه يعبد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإن كان يجهز الجيش وهو يصلي، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر وأن يتقبل منَّا ومنكم إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٨٧- باب فضل الصلوات

١٠٤٢ - وَعَنْ أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكم يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا[1]» متفقٌ عليه.

١٠٤٣ - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ[2]» رواه مسلم.

١٠٤٤ - وَعَنِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ[3]» متفقٌ عَلَيْه.

«الغَمْرُ» بفتحِ المعجمةِ: الكثيرُ.

١٠٤٥ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «الصَّلواتُ

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم(٥٢٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تحمى به الخطايا وترفع. . .، رقم(٦٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع. .، رقم(٦٦٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم(٥٢٦)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، رقم(٢٧٦٣).

الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَة، كفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، ما لم تُغشَ الكَبَائِرُ[١]» رواه مسلم.

١٠٤٦ ـ وعن عثمَانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِن امْرِىءِ مُسْلِمٍ تَحضرُهُ صَلاةٌ مَكتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وضوءها، وَخُشوعَهَا، وَرُكوعَهَا، إلاَّ كانت كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذّنُوبِ ما لمْ تُؤْتَ كَبِيرةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كلَّهُ[٢]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث من فضائل الصلوات فقد شبّه النبي ﷺ الصلوات بنَهْرٍ غَمرٍ جارٍ. النهر الغمر: الكثير الماء. الجاري: معروف يعني: ضد الراكد، يغتسل منه الإنسان في اليوم خمس مرات فهل يبقى من وسخه شيء؟

الجواب: لا يبقى من وسخه شيء، فهكذا الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا حتى يبقى الإنسان طاهرًا نقيًّا من الخطايا، ولكن كما أسلفنا فيما مضى أن هذا في الصلوات التي يتمها الإنسان، يتمّها ويحققها ويحضر قلبه، ويشعر بأنه يناجي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا تمت الصلاة على المطلوب حصل هذا الثواب العظيم، أن الله يمحو بها الخطايا.

وكذلك أيضًا من فضائل الصلوات الخمس أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينها ما لم تُغْشَ الكبائر ـ يعني: ما لم

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم(٢٣٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم(٢٢٨).

تُفعل ـ فالصلوات الخمس تكفر الصغائر ولكنها لا تكفّر الكبائر، فالغش مثلاً في المعاملات كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ تبرّأ من فاعله فقال: «**من غشَّ فليس منِّي**[1]».

فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس وهو غاشّ؛ فإن الغش لا يُكفّر؛ لأنه كبيرة من كبائر الذنوب، الحلف الكاذب في السلعة يقول والله لقد أعطيت بها كذا وهو كاذب، أو والله إنها من النوع الفلاني وهو كاذب، هذا أيضًا من كبائر الذنوب، كما قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان، والمسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**[2]» كذلك لو كان الإنسان ينزل ثوبه خيلاء فإن هذا من كبائر الذنوب فإنه لا يكفر عنه ذلك إذا صلى، بل لو أنزله إلى ما دون الكعب يعني: أسفل من الكعب ـ ولو لم يكن خيلاء ـ فإنه من كبائر الذنوب فلا يغفر له بصلاته، لو صلى لا يغفر له هذا الفعل؛ لأنه كبيرة، والغيبة أيضًا من كبائر الذنوب فإذا اغتاب الإنسان رجلاً واحدًا فقط بين صلاة الفجر وصلاة الظهر مثلاً فإن صلاة الظهر لا تكفر هذه الغيبة، لأن الغيبة من كبائر الذنوب، ولو كانت مرة واحدة لرجل واحد.

والغيبة هي التي يسميها العوام السبابة يعني: أن يذكر أخاه بما يكره،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبيّ ﷺ من غشنا فليس منا، رقم(١٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائة، رقم(٢٣٦٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم(١٠٦).

لأن النبي ﷺ سُئل عن الغيبة فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه**[١]». والغيبة تختلف آثامها باختلاف آثارها وعواقبها فمثلاً: اغتياب العلماء أشد من اغتياب العوام، واغتياب الأمراء يعني وُلاة الأمور أشد من اغتياب من دونهم، وبهذا نعرف أن هذه النشرات التي توزع بين الناس الآن أنها من الغيبة، وأن نشرها بين الناس من كبائر الذنوب، وأن الإنسان يأثم بها إثمًا عظيمًا؛ لأنها توجب أن يكره الناس من اغتيبوا في هذه الأوراق والنشرات، وأن يتمردوا عليهم، وتوجب أيضًا إيغار الصدور، وإحداث الفتن، فهي - والعياذ بالله - غيبة لولاة الأمور وهي من أكبر الآثام في الغيبة، فالذي ينشرها أو يصورها ويوزعها آثم فاعل كبيرة - والعياذ بالله - عليه إثمها وإثم كل من تأثر بها - نسأل الله السلامة والعافية -، لأن هذه الأمور لا شكَّ أنها داخلة في الغيبة: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، ثم ما مصدر هذا الكلام، من قال: إن هذا الكلام صحيح، من يقول إنه صحيح؟ ولذلك يوجد في بعض هذه النشرات أشياء كلها كذب، فقد شاهدناها نحن أنها كذب وليست بصحيحة فتكون جامعة بين الغيبة، والبهتان - والعياذ بالله -.

وثالثًا: ماذا يترتب على نشر هذه الأوراق، هل تصلح الأمور؟ هل يقلع الناس عما وُصفوا به في هذه النشرات؟ أبدًا. لا يزيد الأمر إلا شدة،

---

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم(٢٥٨٩).

لذلك نرى أن توزيع مثل هذه النشرات في غيبة ولاة الأمور نرى أنه من كبائر الذنوب، وأن الإنسان آثم إذا نشرها أو صورها أو وزعها بين الناس لما فيها من انطباق حقيقة الغيبة عليها، لأن حقيقة الغيبة «**ذكرك أخاك بما يكره**»، وهذا لا شك أنه من ذكرك أخاك بما يكره، ثم يتولد على هذه الغيبة مفاسد عظيمة ليست كما لو اغتبت زيدًا أو عمرًا فالأمر يكون عليه شخصيًا، لكن هذا يترتب عليه ضرر على المغتاب شخصيًا، وضرر على الأمن، لأنه يوجب إيغار الصدور وكراهة ولاة الأمور، فنحن نحذر من نشر هذه الأوراق، ونرى أن من شارك في نشرها أو توزيعها فإنه آثم فاعل كبيرة من كبائر الذنوب ولو كنا نعلم أن الأمور ستصلح بمثل هذا لكان الأمر هينًا، ولكن الأمور لا تصلح، ولا تزداد إلا احتكاكًا وكراهة لولاة الأمور وهو شر مستطير.

نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجازي من حاول نشرها بما يستحق إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

١٨٨ ـ باب فضل صلاة الصبح والعصر

١٠٤٧ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّة[1]» متفقٌ عليه.

«البَرْدَانِ»: الصُّبْحُ وَالعَصْرُ.

١٠٤٨ ـ وعن أبي زهيرٍ عُمَارَةَ بن رُؤَيْبَة رضي الله عنه قالَ: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّار أَحَدٌ صَلَّى قبل طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الفَجْرَ والعَصْرَ[2]» رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة الصبح، وصلاة العصر، هاتان الصلاتان تميزتا بفضلٍ ليس في غيرهما: أما الفجر فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨]. يشهده الله وملائكته، وهذه فضيلة عظيمة، واختصت أيضًا بأنها مفصولة عن الصلوات الخمس منفردة بوقتها، فبينها وبين صلاة العشاء نصف الليل الأخير، وبينها وبين صلاة الظهر نصف النهار الأول، لأن وقت العشاء ينتهي بنصف الليل ولا يمتد إلى طلوع الفجر، فإذا انتصف الليل خرج وقت صلاة العشاء وبقي

---

(١) رواه البخاري: كتاب المواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم(٥٧٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(٦٣٥).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(٦٣٤).

هذا النصف إلى الفجر ليس وقتًا لصلاة مفروضة، لكنه وقت التهجد لمن وفقه الله ـ عزَّ وجلّ ـ، أما من طلوع الشمس إلى زوال الشمس فهو أيضًا ليس وقتًا لصلاة مفروضة وإنما هو وقت لصلاة مطلقة كصلاة الضحى وما أشبه ذلك، فتميزت بأنها مشهودة وبأنها منفردة بوقتها لا يتصل بها ما قبلها، ولا تتصل بما بعدها، أما صلاة العصر فتميزت بأنها الصلاة الوسطى، فإن الصلاة الوسطى بنص الحديث عن النبي ﷺ هي صلاة العصر[١]، وتميزت بأن الله تعالى نوه بفضلها وشرفها حيث خصها بالذكر بعد أن عمّم فقال: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، هذا عام ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ يعني: صلاة العصر فخصها بالذكر لفضيلتها، وهناك فضائل وميزات اشتركت فيها صلاة الفجر وصلاة العصر، منها ما أشار إليه المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب.

الأول: أن من صلى البردين دخل الجنة، **والبَرْدان هما**: صلاة الفجر وصلاة العصر؛ لأن الفجر تأتي في براد الليل أبرد ما يكون من الليل في آخره، والعصر تأتي في براد النهار أبرد ما يكون النهار في آخره، فلذلك قال ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**».

الثاني: وكذلك أخبر النبي ﷺ: «**أنه لا يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**» يعني: صلاة الفجر، وصلاة العصر.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم(٢٩٣١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، رقم(٦٢٧).

ففي الأول: إثبات دخول الجنة.

وفي الثاني: انتفاء دخول النار.

فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؛ نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المحافظين على الصلوات، والصلاة الوسطى وأن يُحَرِّمَنا على النار ويدخلنا الجنة إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٤٩ - وعن جُنْدُبِ بنِ سُفيَانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ في ذمةِ اللهِ فَانْظُرْ يَا ابنَ آدَمَ، لا يَطلُبَنَّك اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشيءٍ[1]» رواه مسلم.

١٠٥٠ - وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَتَعَاقَبُون فيكم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاةِ الصُّبْحِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثمَّ يَعْرُجُ الَّذِين بَاتُوا فِيكم، فَيَسأَلُهُمْ اللهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّون، وأتيناهُمْ وَهُمْ يُصلُّون[2]» متفقٌ عليه.

١٠٥١ - وعن جَريرِ بن عبدِ اللهِ البَجَلي رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ،

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم(١٠٥٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠١).

فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ فقال: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ لا تُضَامُونَ في رُؤيَتِهِ، فَإنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْل طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبها فافْعَلُوا[1]» متفقٌ عليه.

وفي رواية: «فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

١٠٥٢ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ العَصْر فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ[2]» رواه البخاري.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضيلة صلاة الفجر، وصلاة العصر فمنها:

الحديث الأول: أن النبي ﷺ قال: «**من صلى الفجر فهو في ذمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ**» يعني: في عهده وأمانه «**فلا يطلبنكم الله في ذمته بشيء**» يعني: لا تغدوا، ولا تعملوا عملاً سيئًا فيطالبكم الله تعالى بما عهد به إليكم، وهذا دليلٌ على أن صلاة الفجر كالمفتاح لصلاة النهار، بل لعمل النهار كله، وأنها كالمعاهدة بين الله وبين العبد في أن يقوم العبد بطاعة ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ ممتثلاً لأمره، مجتنبًا لنهيه.

ومن فضائل صلاة الفجر، وصلاة العصر:

١ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكَّل بالعباد ملائكة معقبات يتعاقبون فينا

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، رقم(١٠٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر، رقم(٥٢٠).

يحفظوننا من أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ثم يصعد الذين باتوا فينا إلى الله ـ عزَّ وجلّ ـ فيسألهم ـ وهو سبحانه وتعالى أعلم ـ: «**كيف تركتم عبادي؟**» يسألهم ذلك إظهارًا لشرف العباد، وتنويها بفضلهم، وليس خفاء على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يعلم السر وأخفى، لكن لإظهار فضيلتهم، يسألهم: «**كيف تركتم عبادي؟**» فيقولون: **(أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)** لأنهم يأتون في أول الليل وفي أول النهار فيتعاقبون في صلاة الفجر وصلاة العصر: هؤلاء ينزلون وهؤلاء يصعدون، وقيّد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقت نزولهم وصعودهم بهاتين الصلاتين لفضلهما؛ لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، وصلاة الفجر هي الصلاة المشهودة.

٢ ـ ومن ذلك أيضًا ـ من فضائل صلاة الفجر وصلاة العصر ـ ما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ (فنظر إلى القمر ليلة البدر ـ ليلة الرابع عشر ـ فقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» يعني يوم القيامة يراه المؤمنون في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر، ليس المعنى أن الله مثل القمر؛ لأن الله ليس كمثله شيء، بل هو أعظم وأجل ـ عزَّ وجلَّ ـ وقد قال النبي ﷺ فيما صح عنه: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**[1]» لكن مُراد النبيّ ﷺ من المعنى تشبيه الرؤية بالرؤية، يعني: فكما أننا نرى القمر ليلة

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، رقم(٢٦٣).

البدر رؤية حقيقية ليس فيها اشتباه فإننا سنرى ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ كما نرى هذا القمر رؤية حقيقية بالعين ـ بالبصر ـ بدون اشتباه .

واعلم أن ألذ نعيم وأطيب نعيم عند أهل الجنة ـ وأسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم ـ هو النظر إلى وجه الله فلا شيء يعدله ، ولهذا قال ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦]، فسَّرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله .

﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ اسم تفضيل مؤنث يقابله «أحسن» في المذكر ، فالزيادة : زيادة على الأحسن وهي النظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

فيقول رسول الله ﷺ لما ذكر أننا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر ـ قال : «**فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا**» والمراد من قوله : «**استطعتم على هذه الصلاة**» أي على أن تأتوا بها كاملة ، ومنها أن تصلى في جماعة «**إن استطعتم ألا تغلبوا على هذا فافعلوا**» وفي هذا دليلٌ على أن المحافظة على صلاة الفجر ، وصلاة العصر من أسباب النظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويالها من قيمة عظيمة ، يا لها من ثمن ومثمن ، حافظ على صلاة الفجر وصلاة العصر تنظر إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة في جنات النعيم .

فلهذا قال : «**إن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس** ـ يعني الفجر ـ **وصلاة قبل غروبها** ـ يعني العصر ـ **فافعلوا**» .

٣ ـ ومن ذلك أيضًا ـ من فضائل صلاة العصر خاصة ـ أن من تركها فقد حبط عمله ؛ لأنها عظيمة ، فإذا تركتها حبط عملك ، وقد استدل بهذا بعض

العلماء على أن من ترك صلاة العصر كفر؛ لأنه لا يُحبط الأعمالَ إلا الردةُ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيقول بعض العلماء: صلاة العصر خاصة من تركها فقد كفر، وكذلك من ترك بقية الصلوات عمومًا فقد كفر، وهذا القول ليس ببعيد من الصواب؛ لأن حبوط العمل لا يكون إلا بالكفر - والعياذ بالله - والردة، ففي هذا دليلٌ على عظم شأن هذه الصلاة - صلاة العصر - ولذلك نصَّ الله على المحافظة عليها من بين سائر الصلوات فقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، يعني: صلاة العصر ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ والله الموفق.

* * *

١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

١٠٥٣ - عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ غَدَا إلى المسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ الله لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ[١]» متفقٌ عليه.

١٠٥٤ - وعنه رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى إلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَريضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطُوتاهُ، إحْدَاهما تحطُّ خَطِيئَةً، والأخرى تَرْفَعُ دَرَجَةً[٢]» رواه مسلم.

١٠٥٥ - وعن أُبَيّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لا أَعْلَم أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ! فقيل له: لو اشتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكبُه في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ قالَ: ما يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلي إلى جَنْبِ المسْجِدِ، إنِّي أُريدُ أَنْ يُكْتَبَ لي مَمْشَايَ إلى المسجدِ، ورجُوعي إذا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فقالَ رسول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّه[٣]» رواه مسلم.

١٠٥٦ - وعن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المسْجد، فأرادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنتَقِلوا قُرْبَ المسْجِد، فَبَلَغَ ذلكَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ لهم: «بَلَغَني أنَّكُمْ تُريدُونَ أَنْ تَنْتقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟! قالوا: نعم يا رسول الله قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فقالَ: «بَنِي سَلِمَةَ ديارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُمْ، ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ» فقالوا: ما يَسُرُّنَا أنَّا كُنَّا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد أو من راح، رقم(٦٢٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، رقم(١٠٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، رقم(١٠٧٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٥).

تَحَوَّلنا[١]». رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل المشي إلى المساجد.

المشي إلى المساجد: يعني: الصلاة فيها، والمشي إلى المساجد يكون لأسباب متعددة، يكون مثلاً لحضور درس، أو لأجل أن يقرأ فيها القرآن، أو لإصلاح شيء فيها، أو غير ذلك، لكن من جاء إلى المساجد للصلاة فهذا هو المقصود في هذا الباب، ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**».

«**غدا**»: يعني ذهب في الصباح، و«**راح**»: يعني ذهب في العشي بعد الزوال، فإنه يُكتب له نزلٌ في الجنة كلما غدا أو راح.

ونحن ـ ولله الحمد ـ نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات فيُكتب للإنسان نزل في الجنة يعني: ضيافة في الجنة، كلما غدا أو راح، هذه من فضائل المشي إلى المساجد، ومن فضائل ذلك أيضًا أن الإنسان إذا تطهر في بيته وخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، ففي الحديث الذي ساقه المؤلف هنا أنه لم يخطُ خطوة إلا رفعه الله بها درجة وفي الخطوة الثانية يحط عنه بها خطيئة، لكن في حديث آخر «**أنه لا يخطو**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب كراهية النبي ﷺ أن ....، رقم(١٧٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٨).

خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة[١]» فيكتسب في الخطوة الواحدة رفع الدرجة وحط الخطيئة بشرط أن يتوضأ في بيته ويسبغ الوضوء ثم يخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، فهذا له بكل خطوةٍ يخطوها أن يرفع الله له بها درجة ويحط عنه بها خطيئة، وهذه نعمة عظيمة من الله ـ عزَّ وجلّ ـ.

ومن فوائد ذلك: أنه ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ماشيًا ويرجع ماشيًا هذا هو الأفضل، ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي كان بعيد الدار فقيل له: «لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء» فقال: لا أشترى، أنا أحتسب على الله خطاي ذاهبًا وراجعًا، فقال النبي ﷺ: «**قد كتب الله لك ذلك كله**» فدل ذلك على أن المجيء إلى المسجد على قدميه أفضل من المجيء على مركوبه؛ لأنه يُحسب له أجر الخطا، ولكن إذا كان الإنسان معذورًا فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها، إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه تعتبر خطوة؛ لأنه عند دورانه يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية فإذا كان الإنسان معذورًا فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وتكون كل دورة للعجلة بمنزلة الخطوة، وهذا أيضًا من فضائل المشي إلى المساجد: أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٥).

ومما يدل على ذلك أيضًا ـ على فضل المشي إلى المساجد ـ «ولو بعدت» حديث جابر في بني سلمة يقول: خلا ما حول المسجد. يعني: من المنازل، فأراد بنو سلمة أن يأتوا إلى المسجد ويقربوا منه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فسألهم عن ذلك قالوا: نعم. أردنا أن نتحول لنقرب من المسجد فقال: «**يا بني سلمة: ديارَكم تُكتبْ آثارُكم ديارَكم تُكتبْ آثارُكمْ**» يعني: الزموا دياركم ولا تقربوا تكتب آثاركم، فدل هذا على أنه كلما كان منزل الإنسان أبعد من المسجد فإنه أكثر أجرًا؛ لأنه قال: «**تُكتبْ آثارُكم**» ولكن لا يعني هذا أن الإنسان يتقصد أن ينزل بعيدًا عن المسجد، لكن إذا قُدّر أنه لا يتيسر له إلا في المكان البعيد أو كانت ديار قومه أو ما أشبه ذلك، فإنه يكتب له أثره، فدل ذلك على فضيلة المشي إلى المساجد، وفضل الله ـ تعالى ـ واسع وخيره كثير، يثيب على العمل القليل الثواب الكثير ـ نسأل الله لنا ولكم من فضله العظيم.

* * *

١٠٥٧ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَعْظَمَ الناس أجرًا في الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأبْعَدُهُم، والَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ حَتَّى يُصَلِّيهَا مَعَ الإمَامِ أَعْظَمُ أَجرًا مِنَ الذي يُصَلِّيها ثُمَّ يَنامُ[1]» متفقٌ عليه.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم(٦١٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم(١٠٦٤).

١٠٥٨ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرُوا المَشَّائِينَ في الظُّلَم إِلَى المَسَاجِدِ بِالنورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ[١]» رواه أبوداود، والترمذي.

١٠٥٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أَدُلُّكُم على مَا يَمْحُو اللهُ بِه الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِه الدَّرَجَاتِ» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُم الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[٢]» رواه مسلم.

١٠٦٠ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمانِ، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[٣] [التوبة: ١٨]. الآية رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه بقية الأحاديث في فضل المشي إلى المساجد، ذكر الحديث الأول: أن النبي ﷺ قال: «**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها**

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، رقم(٤٧٤)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم(٢٠٧)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم(٧٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم(٣٦٩).

(٣) رواه أحمد(٣/ ٦٨)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم(٣٠١٨)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم(٧٩٤).

ممشى فأبعدهم» وذلك لما سبق من أن الإنسان إذا تطهر في بيته وخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع الله له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة ولا تزال الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، فإذا كان بيتك بعيدًا عن المسجد، ولم يمنعك البُعد من حضور الجماعة فإنك أعظم أجرًا من القريب؛ لأن القريب ليس له عذر، قريب يسهل عليه الوصول إلى المسجد، والبعيد قد يكون له شيء من العذر لبعده، ومع ذلك يتجشم البُعد ويحضر إلى المسجد ويصلي مع الجماعة فكان هذا أفضل، ثم ذكر أن الذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أفضل من الذي يصلي ثم ينام، وهذا في صلاة العشاء، فإن المشروع في صلاة العشاء أن تؤخر إلى ثلث الليل؛ لأن النبي ﷺ صلى العشاء ذات يوم وقد مضى عامة الليل، وقال: «**إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي**» فهذا الذي صلى وحده ونام؛ لأنه يشق عليه أن ينتظر صلاة الجماعة لكونهم يؤخرونها نقول له: إذا انتظرت وصليت مع الجماعة فهو أفضل، وأماإذا كان الإمام يصلي على العادة فإنه لا يجوز للإنسان أن يصلي ثم ينام؛ لأن صلاة الجماعة واجبة حتى إن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**[1]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم(٦١٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف، رقم(١٠٤٠).

ثم ذكر الحديث الذي أخرجه الترمذي قال: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**».

وهذا الحديث ضعيف، لكن لا شكَّ أن الذي يذهب إلى المسجد في أيام الظُّلم فإنه يحصل له من جنس العمل، يعني كما تجشم الظُّلَم وأتى إلى المساجد فإنه يُكتب له النور يوم القيامة، وأضعف منه الحديث الذي بعده: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**»، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]. هذا أيضًا حديث ضعيف لا يصح رفعه إلى رسول الله ﷺ ويكفي في فضل المشي إلى المساجد ما سبق من الأحاديث الصحيحة الواضحة نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في العمل والموافقة لما يرضاه ـ جلَّ وعلا ـ.

* * *

١٩٠ـ باب فضل انتظار الصلاة

١٠٦١ ـ عنْ أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ[١]» متفقٌ عليه.

١٠٦٢ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ[٢]» رواه البخاري.

١٠٦٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أخَّر ليلة صَلاَةَ الْعِشَاءِ إلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى فقال: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدوا وَلَمْ تَزَالُوا في صَلاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوها[٣]» رواه البخاري.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل انتظار الصلاة سواء كان ذلك بعد صلاة سابقة أو تقدم الإنسان إلى المسجد ينتظر الصلاة، فقد بيَّن النبي ﷺ في هذه الأحاديث أن الإنسان ما دام ينتظر الصلاة فإنه في صلاة، وبّين أيضًا أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدِث تقول:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم(٦١٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم(١٠٦٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، رقم(٤٢٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم(٦٢١).

«**اللهم صلِّ عليه، اللهم اغفرْ له، اللهم ارحمْه**».

وقوله: «**ما لم يحدث**» قيل: ما لم يحدث حدثًا في الإسلام يعني ما لم يعص ويأت معصية؛ وقيل: ما لم يُحدث حدثًا ينقض الوضوء؛ لأنه إذا أحدث حدثًا ينقض الوضوء فإن الحدث يُبطل الصلاة فيمنع أن يكون في صلاة، وأيًّا كان ففيه دليلٌ على فضيلة انتظار الصلاة بعد الصلاة، وعلى فضيلة انتظار الصلاة وإن لم يكن بعد الصلاة، فيؤخذ من هذا أنه ينبغي للإنسان أن يتقدم إلى المسجد.

ثم ذكر قصة تأخير النبي ﷺ صلاة العشاء إلى نصف الليل يعني أنه لم ينته منها حتى انتصف الليل والصحابة ينتظرون النبي ﷺ فلما انصرف من صلاته. قال: «**إن الناس صلوا وناموا وإنكم لا تزالون في صلاة ما انتظرتم الصلاة**» فكانت من وقت العشاء إلى نصف الليل، يعني إلى أن صلى النبي ﷺ والصحابة في انتظاره ولا يزالون في صلاة ما انتظروا الصلاة، وفي هذا الحديث دليلٌ على أن الأفضل تأخير صلاة العشاء وهو كذلك إلا إذا كان يشق على الناس أو على بعضهم، فالأفضل أن يقدموا، أما إذا كان لا يشق فالأفضل أن يؤخروا، على هذا فإذا كانوا جماعة في سفر أو في غير سفر أو في بلد لا تقام فيها الجماعات فإن الأفضل أن يؤخر الصلاة إلى قريب من منتصف الليل، لأن النبي ﷺ قال: «**إن هذا لوقتها لولا أن أشق على أمتي**» وكان ﷺ في صلاة العشاء إذا رآهم اجتمعوا عجل، وإذا رآهم أبطأوا أخّر.

والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٩١ـ باب فضل صلاة الجماعة

١٠٦٤ ـ عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أفضَلُ مِنْ صَلاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً[١]» متفقٌ عليه.

١٠٦٥ ـ وعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ في بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وعِشْرِيْنَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أنَّهُ إذَا تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلَى المَسْجِدِ، لا يخْرِجُه إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْه بها خَطِيئَةٌ، فَإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَة تصلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّه، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحمْهُ، وَلاَ يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ[٢]» متفقٌ عليه وهذا لفظ البخاري.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة الجماعة يريد بذلك ـ رحمه الله ـ بيان فضل الصلاة مع الجماعة، وقد اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات وأجل الطاعات، لكن اختلفوا هل هي سنة أو واجب أو شرط لصحة الصلاة؟ على أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنها سنة إن قام به الإنسان أُثيب على ذلك وإن تركها فلا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦٠٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٣٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦١١).

إثم عليه .

والقول الثاني: أنها واجبة يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة فإن لم يفعل فهو آثم وصلاته صحيحة .

والقول الثالث: أن الجماعة شرطٌ لصحة الصلاة، وأنه إذا لم يُصلِّ مع الجماعة فصلاته باطلة، ولا تقبل منه .

وهذا الأخير اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ورواية عن الإمام أحمد- رحمه الله -: أن الإنسان إذا صلَّى وحده بدون عذر شرعي فإن صلاته لا تقبل، كالذي يصلي بغير وضوء، وعللوا ذلك بأن صلاة الجماعة واجبة، والقاعدة: أن من ترك واجبًا في الصلاة بطلت صلاته، لكن القول الراجح: أنها واجبة يأثم الإنسان بتركها، ولكنه إذا صلى وحده قُبلت صلاته، فليست شرطًا لصحة الصلاة، ويدل لهذا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**». ووجه الدلالة أنه لو كانت صلاة المنفرد لا ثواب فيها ما صحت المفاضلة ولكن يأثم الإنسان الذي لا يصلي مع الجماعة .

وأما حديث أبي هريرة فبيَّن النبي ﷺ أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المرء في بيته وفي سوقه، تفضل على ذلك بخمس وعشرين ضعفًا، ولا منافاة بين الحديثين بل يؤخذ بالزائد، لأن فضل الله واسع، ثم بيَّن ذلك فقال: «**وذلك أنه إذا توضأ في بيته فأسبغ الوضوء ـ يعني: أتمه ـ ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة**» الخطوة الواحدة فيها فائدتان :

الأولى: أنه يرفع له بها درجة.

والثانية: أنه يحط عنه بها خطيئة.

فإذا صلى يعني دخل المسجد وصلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه تقول: «**اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**» وهذا أجرٌ عظيم، وفضل كبير، لا ينبغي للرجل المؤمن العاقل أن يفرط فيه، لو أنه قيل لك: إن سلعتك إذا بعتها في بلدك بعتها بمائة، وإذا بعتها في بلد آخر تناله بالسفر إليه بعتها (بمائة وعشرة) لسافرت إلى ذلك من أجل عشرة في المائة، ولم يشق عليك السفر، وكثيرٌ من الناس ـ والعياذ بالله ـ حرموا الخير، تجدهم قريبين من المسجد يتركون هذا الفضل العظيم وهذا المكسب العظيم، الواحد بسبع وعشرين يعني أضعاف، ومع ذلك لا يذهب إلى المسجد ـ نسأل الله العافية ـ، وربح الدنيا ـ مع قِلَّتِهِ ـ يسعى إليه ويهتم به مع أنه زائل، فإن كل ما في الدنيا من نعيم فإما زائل عنك، وإما أنت زائل عنه ولابد، لا نعيم دائم ولا إقامة دائمة، النعيم في الدنيا إما أن يزول أو تزول عنه، ونعيم الآخرة باق، ومع ذلك يوجد بعض الناس يفرط فيه؛ ولا يهتم به، وفضل الله ـ تعالى ـ يؤتيه من يشاء ـ نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

١٠٦٦ ـ وعنْهُ رضي الله عنه قالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعمى، فقال: يا رسولَ اللهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى المَسْجِدِ، فَسَألَ رسولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ

فَيُصَلِّي في بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فقالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ قال: «فَأَجِبْ[١]» رواه مسلم.

١٠٦٧ ـ وعن عبدِ الله ـ وَقِيلَ: عَمْرو ـ بْنِ قَيْسٍ المَعْرُوفِ بابْنِ أُمِّ مَكْتُوم المُؤَذِّن رضي الله عنه أنَّهُ قالَ: يا رسولَ الله إنَّ المَدِينَةَ كَثيرَةُ الهَوَامِّ والسِّباع. فقالَ رسول الله ﷺ: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، فَحَيَّهلاً»[٢]. رواه أبوداود بإسناد حسنٍ. ومعنى «حَيَّهَلاً» تعالَ.

١٠٦٨ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمتُ أن آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحتَطَبَ، ثمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤذَّنَ لَهَا، ثمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فأحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بيوتَهمْ[٣]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة في بيان وجوب صلاة الجماعة، وأن تكون في المسجد فمنها حديث أبي هُريرة الأخير: أن النبي ﷺ أقسم ـ وهو الصادق البار بدون قسم ﷺ ـ أقسم أنه هم أن يأمر بالصلاة فتقام، ثم يأمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم ينطلق بحزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم(١٠٤٤).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم(٤٦٦)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب المحافظة على الصلوات حيث ينادي بهن، رقم(٨٤٢).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم(٦٠٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

فيحرق عليهم بيوتهم بالنار) وهذا يدل على وجوب صلاة الجماعة؛ لأن النبي ﷺ لا يهم هذا الهم إلا لترك أمر واجب، ولا يخبر الناس بذلك إلا ليحذرهم من تركه ومخالفته، وإلا لم يكن هناك فائدة، وكونه ﷺ همّ أن يعاقبهم هذه العقوبة دليلٌ على تأكد الجماعة وأنها أمر مهم، وقد رُوي بسندٍ ضعيف أنه قال: «**لولا ما في البيوت من النساء والذرية**[(١)]» لكن هذا ضعيف، ولكن يكفي أن يكون هم بذلك وأخبر الأمة به.

ثم من الذي تجب عليه الجماعة؟ هو الذي يستطيع أن يصل إليها ـ وهو يسمع النداء ـ يعني: الذي يسمع النداء ويستطيع أن يحضر هو الذي تجب عليه الجماعة، ولهذا استفتى النبيَّ ﷺ رجلٌ قال يا رسول الله: إنني رجل أعمى وليس لي قائد يقودني إلى المسجد ـ يريد أن يرخص له النبي ﷺ ـ فرخّص له، فلما أدبر ناداه قال: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[(٢)]، فدل ذلك على وجوب صلاة الجماعة على الأعمى، وأن العمى ليس عذرًا في ترك الجماعة، ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد وأنه ليس المقصود الجماعة فقط بل المقصود الجماعة وأن تكون في المسجد، ودل ذلك أيضًا على أن العبرة بسماع النداء، ولكن المراد سماع النداء المعتاد، وليس سماع النداء في المكبر الصوت، فإن مكبر الصوت يُسمَع من بعيد، لكن المعتاد إذا لم يكن هناك مانع من سماع

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧).

(٢) رواه مسلم: صحيح المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم(٦٥٣).

الصوت فهذا هو الذي يجب عليه حضور الجماعة، ودل ذلك أيضًا على أنه لا يصح اقتداء مَنْ كان خارج المسجد بمَنْ في المسجد ولو أمكنه أن يقتدي به يعني - مثلاً - لو كان الإنسان عنده بيت بجوار المسجد وهو يسمع تكبيرات الإمام، فقال لابنه - مثلاً - أصلي أنا وإياك مع الجماعة في بيتنا فإن ذلك لا يصح؛ لأنه لابد من حضور المكان الذي تقام فيه الجماعة، إلا أنه إذا امتلأ المسجد، وصلى الناس في الأسواق فإن الذين خارج المسجد يكونون تبعًا للمسجد في اتصال الصفوف، وإلا فبدون اتصال الصفوف فإن من كان خارج المسجد لا تصح صلاته مع أهل المسجد، لابد من الحضور حتى لو كان يسمع كل التكبيرات فلابد أن يحضر، فإذا قال قائل: إذا كان مريضًا ولا يستطيع الحضور لكن يسمع النداء بواسطة مكبر الصوت فهل يتابع الإمام؟

قلنا: لا يصلي مع الإمام؟ هو معذور في ترك الجماعة، وإذا كان من عادته أنه يصلي مع الجماعة فإنه يكتب له ما كان يعمل لمَّا كان صحيحًا، لقول النبي ﷺ «**من مرض أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**[1]» والله أعلم.

* * *

١٠٦٩ - وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: مَنْ سَرَّه أن يَلْقَى الله تعالى غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافظْ عَلَى هؤلاء الصلوات حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم(٢٧٧٤).

سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَو أَنَّكُمْ صَلَّيْتُم في بُيوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيتِهِ لَتَرَكتم سُنَّة نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكم لَضَلَلْتُم، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ منَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاق، وَلَقَدْ كانَ الرَّجُل يُؤتى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ[١]. رواه مسلم.

وفي رواية له قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى الصَّلاةَ فِي المَسجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فيه[٢].

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الجماعة هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كأنما يخرج من مشكاة النبوة، يعني: كأنه من كلام الرسول ﷺ في سلاسته وحسنه ونظمه، يقول رضي الله عنه: من سرّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات حيث يُنادى بهن ـ وكل أحد يسره أن يلقى الله سبحانه وتعالى مسلمًا منيبًا إليه مؤمنًا به ـ جل وعلا ـ، فمن أراد ذلك فليحافظ على هؤلاء الصلوات يعني الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، أي: في المكان الذي ينادى بهن، أي: المساجد، وذلك لوجوب صلاة الجماعة في المسجد فلا يجوز لأحد يقدر على أن يصلي في المسجد إلا وجب عليه إذا كان من أهل

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم(١٠٤٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم(١٠٤٥).

وجوب الجماعة كالرجال.

ثم ذكر رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى شرع للنبي ﷺ سنن الهدى - يعني طرق الهدى - فكل ما جاء به النبي ﷺ فهو هدى ونور شرعه الله له: «**وإنهن** - يعني الصلوات الخمس - من سنن **الهدى**» وصدق رضي الله عنه، بل الصلوات الخمس أعظم سنن الهدى بعد الشهادتين، لأن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

ثم قال: «**لو أنكم صليتم في بيوتكم كما صلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»، يعني لو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة، ولتعطلت المساجد، ولانقطع الناس بعضهم عن بعض، ولما تعارفوا ولا تآلفوا، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي، لو صلى الناس كلهم في بيوتهم، ولكن من رحمة الله وحكمته أن شرع للعباد أن يصلوا جماعة، كل يوم خمس مرات تَلْقَى أخاكَ تُسلّم عليه ويُسلّم عليك وتقتدي به على إمام واحد فهي نعمة عظيمة، هذه من أعظم روابط الأخوة وأواصر المودة والمحبة.

ثم قال: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها** - أي عن هذه الصلوات في المساجد - **إلا منافق**» والمنافقون كثيرون لا سيما إذا اعتز الإسلام وقوي فلا يستطيع الإنسان أن يعلن كفره، ولهذا لم يبرز النفاق ولم يكثر النفاق في عهده ﷺ إلا حين انتصر المسلمون في غزوة بدر، لما انتصر المسلمون في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة بدأ النفاق يظهر، خاف الكفار على أنفسهم فصاروا يعلنون الإسلام حتى إنهم يأتون إلى الرسول ﷺ

يقولون: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، يعني: ما قالوا صدقًا بل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

يقول: «**ما يتخلف عنها إلا منافق**»: لماذا يتخلف المنافق؟ لأن المنافق لا يرجو ثوابًا، ولا يؤمن بالحساب، فلا يهتم، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين: العشاء، والفجر**[1]»، لأن صلاة العشاء لا يُرى فيها إذا تخلف، ففي عهد النبي ﷺ لم يكن يوجد كهرباء ولا أنوار فيتخلف الإنسان ولا يُدرىٰ عنه، ثم إن صلاة العشاء والفجر تأتي في وقت الراحة والنوم فهي ثقيلة على المنافقين لا يأتون إليها، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا.

ثم ذكر رضي الله عنه أن الرجل كان يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف، يعني يمسكه رجلان لمرضه، فهو رجل مريض لا يستطيع أن يمشي وحده ويمشون به رويدًا رويدًا حتى يُقام في الصف فيصلي مع الجماعة رضي الله عنهم أجمعين.

وبهذه الأعمال وأمثالها ملكوا مشارق الأرض ومغاربها، ولمّا تخلفت الأمة الإسلامية واختلفت قلوبها صارت إلى ما ترون الآن: أمة ذليلة وهم يبلغون مليارًا من البشر ومع ذلك هم في أذل ما يكون من الأمم؛

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعًا، ترجمة الباب، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

لأنهم متفرقون، بل بعضهم متعادون، بل بعضهم يرى أن الآخر أشد عليه من اليهود والنصارى ـ والعياذ بالله ـ، لأنهم متنازعون متفرقون، أما في عهد الرسول ﷺ فلا يمكن أن يتخلف أحد عن الجماعة، ولو كان مريضًا، بل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف، فلو أننا عدنا إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم لصرنا أمة عزيزة مرموقة كلٌّ يخافها، وكلٌّ يصانعها، وكلٌّ يتودد إليها؛ نسأل الله أن يعيد لنا مجدنا في ديننا ويعيد لنا كرامتنا إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٧٠ ـ وَعَن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لا تقامُ فيهمُ الصَّلاةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشيطانُ فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيةَ[١]» رواه أبو داود بإسناد حسن.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الجماعة فيما نقله عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو**» يعني ولا بادية «**لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان**» يعني: معنى ذلك: أنه إذا كان ثلاثة في قرية أو في بادية لا تقام فيهم الجماعة، يعني ولا

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم(٤٦٠)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم(٨٣٨).

الجمعة «**إلا استحوذ عليهم الشيطان**» فدل ذلك على أنه لا يجوز ترك الجماعة، ولكن هذا الحديث يفيد أنه لا يجوز إذا كانوا ثلاثة فأكثر، لكن هناك أحاديث أخرى تدل على أن الجماعة تجب إذا كان «**اثنان فأكثر**»، أما في الجمعة فلا تجب إلا إذا كانوا ثلاثة فأكثر في غير البرية، أما البادية والمسافرون في البر فليس عليهم جمعة، لكن القرى والأمصار فيها جمعة، وأدنى ما يكون ثلاثة.

فإن قلت: كيف يمكن أن يكون قرية أو مدينة ليس فيها إلا ثلاثة.

فالجواب: يمكن هذا بأن تكون هذه المدينة أكثر أهلها آفاقيون جاءوا للدراسة مثلاً، كما يوجد الآن في المجتمعات في بعض البلاد الخارجية، يكون ليس فيها من المواطنين إلا ثلاثة فقط والباقون كلهم مسافرون جاءوا للدراسة، فهؤلاء تلزمهم الجمعة؛ لأن فيها ثلاثة مواطنين، وأما البادية فلا تجب عليهم الجمعة؛ لأن الجمعة لا تكون إلا في القرى والأمصار، ولهذا لم تكن البادية في عهد النبي ﷺ وهم حول المدينة يقيمون الجمعة.

وفي قوله: «**فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» دليلٌ على أنه لا ينبغي للمسلمين الافتراق والاختلاف وأنه واجب عليهم الاجتماع، وأن الشرود عن الجماعة سبب للهلاك، لأن النبي ﷺ شبه ذلك بالقاصية من الغنم البعيدة يأكلها الذئب فتهلك، فهكذا الذي يشذ عن الجماعة حتى برأي ينفرد به ويظن أن النصوص معه وتدل عليه، فإن الواجب إذا رأى الإنسان في رأيه أن النصوص تدل على خلاف ما يراه الجمهور فالواجب عليه أن يعيد النظر مرة بعد أخرى، إذ لا يمكن أن يكون

الجمهور هم الذين توهّموا وأنت الذي أصبت، ولهذا لما قال حذيفة لابن مسعود رضي الله عنهما: إن قومًا يعتكفون في البصرة، والرسول ﷺ يقول: «**لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والنبوي، والأقصى**[(١)]» قال: لعلهم ذكروا فنسيت، وحفظوا نحوهَّم ابن مسعود حذيفة وذلك لأن المسلمين يكادون كالمجمعين على أن الاعتكاف يصح في كل مسجد؛ وأنه لو فرض صحة حديث حذيفة لكان معناه لا اعتكاف تامًّا إلا في هذه المساجد الثلاثة، وإلا فلا يمكن أن يخاطب الله بالقرآن الكريم الأمة الإسلامية يقول: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ثم نقول: لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد لا يحضرها ولا واحد بالمائة من المسلمين، هذا خلاف البلاغة وخلاف الفصاحة.

لكن بعض الناس يحب الإغراب في الشيء، يحب أن يذكر، ومن أمثال العامة: خالف تذكر، فهو إن شذ وخالف وأتى بما هو مخالف للدليل ورأي الجمهور، ثم يشتهر بهذا، وقد شبّه النبي ﷺ الشاذ عن الجماعة بالقاصية من الغنم يأكلها الذئب، والله الموفق.

* * *

---

(١) انظر معتصر المختصر (١/ ١٥٣)، والمعجم الكبير (٩/ ٣٠٢)، ومعجم شيوخ أبي بكر (٣/ ٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨١).

١٩٢ ـ باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

١٠٧١ ـ عنْ عَثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعة، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيل كُلَّهُ[١]» رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي عنْ عثمان بن عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ كانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ والفَجْرَ في جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَة[٢]» قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٠٧٢ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَو حَبْوًا[٣]» متفقٌ عليه وقد سبق بطوله.

١٠٧٣ ـ وعنه رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ صَلاةٌ أثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهما لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا[٤]»

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم(١٠٤٩).

(٢) رواه أحمد (١/ ٥٨)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٤٦٨)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم(٢٠٥).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٥٨٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، رقم(٦١٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم(١٠٤١).

متفقٌ عليه.

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل صلاة العشاء، وصلاة الفجر يعني في الجماعة، ونص على هاتين الصلاتين ـ صلاة العشاء وصلاة الفجر ـ لما فيهما من الأجر الكثير، ففي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**أن الإنسان إذا صلى العشاء في جماعة والفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله**» يعني: فكأنه قام يصلي كل الليل، العشاء نصف الليل، والفجر نصف الليل وهذا فضل عظيم، يعني كأنك قائم الليل كله وأنت في فراشك إذا صليت العشاء في جماعة والفجر في جماعة.

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة: «**لو يعلمون ما في العتمة وصلاة الفجر لأتوهما ولو حبوًا**» «العتمة» هي العشاء، و«الفجر» معروف، لو يعلمون ما فيهما من الأجر والثواب لأتوهما يَحْبون على الأرض كما يحبو الصبي، لما فيهما من الأجر العظيم.

وكذلك الحديث الذي بعده، حديث أبي هريرة أيضًا: أن أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، لأن المنافقين يصلون رياء وسمعة، وصلاة العشاء والفجر ظلمة لا يُشاهدون فهم يأتون إليهما كرهًا لكن يأتون إلى الظهر والعصر والمغرب لأن الناس يشاهدونهم، فهم يراءون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، والعشاء والفجر ما فيهما مراءاة؛ لأنها ظلمة؛ وفي عهد النبي ﷺ لم تكن توجد أنوار كهرباء ولا سرج، فلا يشاهدهم أحد فيكون حضورهم العشاء

والفجر ثقيلاً عليهم لفوات المراءاة، هذا من وجه، ومن وجه آخر أن صلاة العشاء والفجر وقت الراحة والنوم.

ففي عهد الرسول ﷺ كان الناس لا يسهرون كما يسهر الناس اليوم، ينامون مبكرين من حين أن يصلوا صلاة العشاء، والفجر يقومون، ومنهم من يمنُّ الله عليه بقيام الليل، ومنهم من يقوم لصلاة الفجر، فهما ثقيلتان على المنافقين فينبغي للإنسان أن يحرص على صلاة العشاء وصلاة الفجر، لكن صلاة العشاء ليست أفضل من صلاة العصر، فصلاة العصر أفضل، ولهذا صارت الفجر قرينة للعصر وقرينة للعشاء، فهي قرينة للعصر كما سبق «**من صلّى البردين دخل الجنة**[1]» وقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ـ وهي صلاة الفجر ـ وصلاة قبل غروبها ـ وهي صلاة العصر ـ فافعلوا**[2]» وصلاة الفجر مع صلاة العشاء أيضًا إذا اجتمعتا فكأنما قام الإنسان الليل كله، كل الليل.

وكذلك أيضًا «**لو يعلم الناس ما في العشاء والفجر لأتوهما ولو حبوًا**» فاحرص ـ يا أخي المسلم ـ على جميع الصلوات، كن محافظًا عليها، فإن

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم(٥٤٠)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم(٥٢١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم(١٠٠٢).

الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، فذكر الله الصلاة في أول الأوصاف الحميدة وفي آخر الأوصاف الحميدة، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]، وفي آخر الأوصاف الحميدة قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

وبهذا يعرف أن الصلاة أعظم الأعمال بعد الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، جعلنا الله من مقيمي الصلاة، ومؤتي الزكاة، المحافظين على أداء فرائض الله، واجتناب محارم الله.

* * *

١٩٣ـ باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥].

١٠٧٤ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَألتُ رسُولَ الله ﷺ: أيُّ الأعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا» قلت: ثمَّ أيُّ؟ قال: «برُّ الوالديْنِ» قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «الجِهادُ في سَبِيلِ الله[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب المحافظة على الصلوات والتحذير من إضاعتهن.

الصلوات: خمس كتبهن الله ـ عزَّ وجلّ ـ على عباده في كل يوم وليلة، لقوله ـ تبارك وتعالى ـ حين سأل النبي ﷺ ربه أن يخفف عن العباد قال: «هي خمس وهي خمسون[2]» أي: إنهن خمس في الفعل وخمسون في الميزان، وسأل النبيَّ ﷺ رجلٌ عن الإسلام ومنه الصلوات فذكر له خمس

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم(٤٩٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم(١٢٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم(٣٣٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم(٢٣٧).

صلوات، قال: هل عليّ غيرها، قال: «**لا، إلا أن تطوع**[١]»، وأرسل معاذًا إلى اليمن وقال: «**أخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**[٢]».

وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، خصها لما لها من المزية والفضل؛ والمراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر فسّرها بذلك النبي ﷺ أعلم الخلق بكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبمراد الله، ولا قول لأحد بعد قول النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥]؛ وليت المؤلف أتى بالآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، لأن هذه الآية تدل على أن من لم يُقم الصلاة فهو كافر.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» يعني: على الوقت المطلوب شرعًا إن كان مما يطلب تقديمه فتقديمه أفضل، وإن كان مما يطلب تأخيره فتأخيره أفضل، والصلوات الخمس كلها الأفضل فيها التقديم إلا العشاء ، فالأفضل فيها التأخير ما لم يشق على الناس، وإلا فإن الظهر في شدة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم(١٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

الحر الأفضل فيها التأخير تيسيرًا على الناس وتخفيفًا عليهم، أما الفجر والعصر والمغرب فالأفضل فيها التعجيل على كل حال. لكن قال العلماء ـ رحمهم الله ـ من قام حين يسمع النداء يتوضأ ويتأهب للصلاة فهذا تقديم ـ يعني ليس المعنى أنه من حين أن يؤذن نصلي فالمهم أن نستعد للصلاة من أول وقتها.

قال ابن مسعود: ثم أي؟ قال ﷺ: «**بر الوالدين**» يعني: الإحسان إليهما بالقول والفعل والمال والجاه والخدمة وغير ذلك وبر الوالدين: الأب والأم.

قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». قال ابن مسعود: ولو استزدته لزادني ـ يعني لو طلبت زيادة، ثم أي؟ ثم أي؟ لزادني النبي ﷺ؛ قال ذلك بناء على ما عرفه من قرينة الحال.

وفي هذا الحديث دليلٌ على إثبات المحبة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه يحب الأعمال كما يحب العاملين، وأن حبه يتفاوت ـ سبحانه وتعالى ـ فبعض الأشياء أحب إليه من بعض، وفيه أن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله، واجبه على واجبه، وتطوعه على تطوعه، فمثلاً إذا كان الوالدان ليس عندهما من يعولهما ولا من يخدمهما وهما في ضرورة للولد، فإنه يجب عليه أن يبقى ولا يجاهد، وإذا كان عندهما من يقوم بكفايتهما ويخدمهما فهذا بقاؤه عندهما مستحب، ثم الجهاد ـ إن احتيج إليه ـ كان أفضل وإن لم يحتج إليه فبر الوالدين أفضل، ويأتي إن شاء الله الكلام على حديث ابن عمر، والله أعلم.

وبالنسبة لصلاة الفجر فالمعروف أن التوقيت الذي بأيدي الناس لدينا الآن توقيت مقدم على الوقت بخمس دقائق على أقل تقدير، وبعض الإخوان خرجوا إلى البر، فوجدوا أن الفرق بين التوقيت الذي بأيدي الناس، وبين طلوع الفجر نحو ثلث ساعة، فالمسألة خطيرة جدًّا.

ولهذا لا ينبغي للإنسان في صلاة الفجر أن يبادر بإقامة الصلاة، بل يتأخر ثلث ساعة، أو (٢٥) دقيقة، حتى يتيقن أن الفجر قد حضر وقته.

* * *

١٠٧٥ ـ وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله. وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ[١]» متفقٌ عليه.

الشــرح

ذكر الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل الصلوات الخمس والنهي الأكيد، والوعيد الشديد على من ضيّعهن، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**» هذا واحد، «**وإقام الصلاة**» هذا الثاني، «**وإيتاء الزكاة**» هذا الثالث، «**وحج البيت**» هذا الرابع، «**وصوم رمضان**» هذا الخامس، هكذا رواه ابن عمر رضي الله عنهما وفي

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم(٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(١٩).

لفظ أنه قدم الصوم على الحج، فعلى الأول بنى البخاري ـ رحمه الله ـ ترتيب الصحيح ـ صحيح البخاري ـ فبدأ بالحج قبل الصيام، وأكثر الأحاديث على تقديم الصيام على الحج.

قولهﷺ: «**بني الإسلام**» يعني: أنه شبه الإسلام بالقصر الذي له خمسة أعمدة هذا القصر مبني عليها، ومعلوم أن الأعمدة هي أساس البنيان، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم، فإن بُني على غير أعمدة بُني بناء ضعيفًا، ولكن الإسلام بناء قوي محكم، شرعه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لعباده، وقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

هذه الدعائم وهذه الأعمدة الخمسة بيّنها ﷺ بقوله: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**» يعني: أن تشهد معترفًا بلسانك، مؤمنًا بقلبك أنه لا معبود حق إلا الله، كل ما عبد من دون الله فهو باطل، فهناك أناس يعبدون الشمس، وآخرون يعبدون القمر، وهناك أناس يعبدون الشعرىٰ وهي نجم من النجوم، وهناك أناس يعبدون الأشجار، وأناس يعبدون البقر، وهناك أناس يعبدون فروج النساء، أمم مختلفة، لكن من المعبود حقًّا؟ إنه الله عزَّ وجلَّ. فأشهد أن لا إله إلا الله، أقول ذلك معترفًا بلساني، مؤمنًا بقلبي أنه لا معبود حق إلا الله، وهذا هو مقتضى الشرع ومقتضى العقل؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الذي خلق الخلق، ومن الذي خلق الخلق؟! الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]. لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا جنينًا واحدًا ما استطاعوا بل قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ ضرب الله لنا مثلاً وأمرنا أن نستمع له، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كل الذين تدعون من دون الله، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟﴾ [الحج: ٧٣]، سبحان الله! كل المعبودات على اختلاف أصنافها لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له لو اجتمع كل المعبودات سوى الرب عزَّ وجلَّ على أن يخلقوا ذبابًا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، هذا في القدر.

في الشرع قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]. إذًا لا أحد يستطيع أن يأتي بمثل كلام الله ولا أن يخلق مثل خلق الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

إذًا هذا الرب الذي هو موصوف بهذه الأوصاف هو المستحق للعبادة، هل يستحق العبادة شيء مدُبَّر؟! الشمس مدبرة ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، هل تستحق أن تعبد؟! القمر هل يستحق أن يعبد؟! النجم هل يستحق أن يعبد؟! الشجر، هل يستحق أن يعبد؟!، لا أحد يستحق، كل هذه مربوبة مخلوقة.

حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام قومه فلما جنَّ عليه الليل وأظلم رأى كوكبًا، وكان من قومه من يعبد النجوم قال: هذا ربي، لماذا قالها إبراهيم؟حتى يقيم عليهم الحجة، قال: هذا ربي، وكالعادة غاب الكوكب، فلما أفل ـ يعني غاب ـ قال: لا أحب الآفلين، لأن الرب لا يغيب عن عباده، وهذا غاب، فلما رأى القمر بازغًا ـ وهو أعلى النجوم إضاءة ـ قال: هذا ربي لأن هناك من يعبد القمر، فلما أفل ـ يعني غاب ـ قال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وهذه أشد من الأولى، ثم قال: لا أحب الآفلين، فإن عبدت هذا فأنا إذًا ضالٌّ جاء إلى شيء أكبر وهي الشمس وهم يعبدونها أيضًا، فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي فلما أفلت ـ أي: غابت ـ، هل تكون ربًا وهي تغيب عن مربوبها؟ أبدًا. فلما أفلت أعلن عليه الصلاة والسلام التوحيد، قال: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٨ـ٧٩].

إذًا لا إله إلا الله يعني: لا معبود حق إلا الله وكل ما يُعبد من دون الله فهو باطل. والعجيب أن هذه الأصنام التي تعبد ـ يا إخواني ـ أنها يوم القيامة تُجمع وتُحصب في نار جهنم كما يُحصب الحصى وكذلك عابدوها يُحصبون: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]. صحيح: لو كانت هذه الأصنام آلهة حقًّا هل ترد النار؟! لا لكن وردت النار، إذًا فلا تستحق أن تكون آلهة، إنها لم تُنج نفسها

فكيف تنقذ غيرها؟ وكذلك الذين يعبدونها.

لما جاءت هذه الآية أراد المشركون أن يشبهوا بها قالوا: عيسى بن مريم يُعبد ومن يعبدُ عيسى؟ النصارى، إذًا يلقى في النار، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

وعيسى بن مريم ممن سبقت له من الله الحسنى؛ لأنه أحد أولي العزم من الرسل، والمهم - يا إخواني - أن تعلموا أن كل ما يُعبد من دون الله فهو باطل سواء كان نجمًا أو وليًّا أو صالحًا أو علمًا أو رئيسًا، كل ما يعبد من دون الله فهو باطل، عبادته باطلة، إذًا فمن الذي يستحق العبادة؟ إنه الله عزَّ وجلَّ، وما سواه فهو باطل، إذًا فانتبهوا لمعنى أشهد أن لا إله إلا الله. فشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن الإخلاص الذي لا تصح العبادة إلا به، والمتابعة: التي تتضمنها شهادة أن محمدًا رسول الله، ولهذا يعد هذا ركنًا واحدًا.

أما الثاني: فهو إقامة الصلاة، والصلاة يعني الصلوات الخمس وما يتبعها من النوافل وما يستقل من النوافل أيضًا، إقام الصلاة من أركان الإسلام والصلوات الواجبة بالإجماع وهي خمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والجمعة تكون في محل الظهر، وما عدا ذلك فمختلف فيه: فالوتر اختلف فيه العلماء: هل هو واجب يأثم الإنسان بتركه أو سنة أو فيه تفصيل: وهو أن من له ورد من الليل يجب عليه أن يوتر، ومن ليس له ورد، وإنما ينام إذا صلى العشاء إلى الفجر فهذا لا

يجب عليه الوتر؟. وأما صلاة الكسوف فمختلف فيها: من العلماء من يقول: واجبة، ومنهم من يقول: ليست بواجبة، والصحيح أنها واجبة؛ لأن النبي ﷺ أمر بها وفزع لما كسفت الشمس وصلاها ﷺ صلاة غريبة، لكنها فرض كفاية إذا قام بها من يكفي من أهل البد سقطت عن الباقين، وكذلك أيضًا اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في تحية المسجد: هل هي واجبة أو لا؟ والقول بالوجوب قول قوي، لكن يمنع القطع به، أحاديث تدل على أنها ـ أي تحبة المسجد ـ ليست بواجبة مثل مجيء الإمام يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ يدخل المسجد يوم الجمعة ويصعد المنبر ويخطب الناس ويجلس بين السجدتين ولا يصلي تحية المسجد، وكذلك ظواهر أخبار أخرى تدل على عدم وجوب تحية المسجد.

وكذلك صلاة العيدين اختلف فيهما العلماء: منهم من يقول: إنها واجبة، ومنهم من يقول: سنة، ومنهم من يقول: فرض كفاية، المهم أن الصلوات المجمع على وجوبها هي: الخمس، والجمعة بدلاً عن الظهر.

ومعنى: «**إقام الصلاة**»: أن يأتي بها الإنسان في أوقاتها متممًا شروطها وأركانها وواجباتها، ومكملاً ذلك بمستحباتها، هذا هو إقام الصلاة.

وأما «**إيتاء الزكاة**»: فهو إعطاء الزكاة لمستحقها، والزكاة هي القسط من مالك الذي أوجبه الله تعالى عليك في الذهب والفضة والنقد وعروض التجارة والخارج من الأرض وسائمة بهيمة الأنعام، فيجب أن تعطي زكاة هذه لمستحقها، والمستحقون لها في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأما حج البيت فهو قصد مكة لأداء المناسك وقد فرضه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على هذه الأمة في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة.

وأما صوم رمضان فهو صوم الشهر الذي بين شعبان وشوال، وفرض في السنة الثانية من الهجرة.

فهذه هي أركان الإسلام، من أتى بها فهو المسلم وقد بنى على أساس متين، ومن لم يأت بها فهو بين فاسق أو كافر، فمن لم يأت بالشهادتين فهو كافر، ومن لم يُصلِّ فهو كافر، ومن منع الزكاة فهو فاسق، ومن لم يحجّ فهو فاسق، ومن لم يصم فهو فاسق، والله الموفق.

* * *

١٠٧٦ ـ وعنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهمْ عَلَى الله[(١)]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة..، رقم(٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

الشرح

قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ في باب المحافظة على الصلوات الخمس فيما نقله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**».

«أمرت»: الآمر له هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ «**أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» فالذي أمره بقتالهم هو الذي خلقهم، وله أن يتصرف في ملكه بما يشاء، له أن يأمر بقتل هؤلاء، وله أن يأمر بقتالهم إلى أن يسلموا، فإذا أسلموا كف عنهم، وهذا الحديث مخصوص بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. وكذلك بحديث بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ كان إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وذكر الحديث وفيه: «**أنهم إذا أرادوا الجزية فاقبل منهم وكُفّ عنهم**[1]» وعلى هذا فيقاتل الكفار إلى غايتين: إما أن يسلموا، وإما أن يعطوا الجزية عن يد ـ وهم صاغرون ـ فإن لم يفعلوا لا هذا ولا هذا وجب على المسلمين قتالهم، وقتال

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته، رقم(٣٢٦١).

المسلمين لهم بأمر الله الذي هو ربهم ورب الكافرين، ليس تعصبًا من المسلمين لدينهم، وحُقَّ لهم أن يتعصبوا له لأنه دين الله عزَّ وجلَّ؛ ودين غير المسلمين دين باطل منسوخ لا يقبله الله عزَّ وجلَّ ـ من أي أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**» سبق الكلام عليه.

«**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**» وفي هذا دليلٌ على أن الكفار إذا قوتلوا فأموالهم حلال لنا، كما أننا نستبيح دماءهم فنستبيح أموالهم من باب أولى، وكذلك أيضًا نستبيح نساءهم وذرياتهم يكونون سبيًا لنا، ويكونون أرقاء للمسلمين، لأننا نأخذهم بكلمات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبأمره، ودينه، وشرعه.

«**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة حتى راجعه الصحابة، وراجعه عمر في ذلك، ولكن أبا بكر أصر على أن يقاتل مانعي الزكاة، وقال: (والله لو منعوني عناقًا ـ أي ماعزًا صغيرة، وفي رواية: عقالاً وهي ما تربط به البعير ـ كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك[1]) يقول: فلما رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال علمت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

أنه الحق.

ففي هذا دليلٌ على أهمية الصلاة، وأن الناس يُقاتَلون على تركها إلى أن يصلوا. والله الموفق.

* * *

١٠٧٧ ـ وعن معاذ رضي الله عنه قال: بَعَثني رسولُ الله ﷺ إلى اليَمَن فقال: «إنَّكَ تَأتِي قَوْمًا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أنْ لا إله إلا الله، وأنِّي رسولُ الله، فَإنْ هم أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ الله تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خمْسَ صَلواتٍ في كلِّ يَومٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هم أطَاعُوا لِذلك، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ الله تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائهم، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ الله حِجَابٌ[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

نقل الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب المحافظة على الصلوات حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن معاذ بن جبل أنه بعثه النبي ﷺ إلى اليمن - واليمن في جنوب الجزيرة العربية - في السنة العاشرة من الهجرة في ربيع الأول، ولما أراد أن يبعثه قال له: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب»**، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى؛ لأن الله أنزل على اليهود التوراة، وعلى النصارى الإنجيل، وإنما أخبره بذلك ليكون مستعدًا لهم؛

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ، رقم(٦٨٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

لأن أهل الكتاب هم أعلم الناس في ذلك الوقت بشرائع الله، فيحتاج الإنسان أن يعرف حالهم حتى يمكن أن يجادلهم بما يفحمهم ويخصمهم فيه «**وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**».

وهذا هو مفتاح الإسلام، «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» وهذا لا يعني أن رسول الله ﷺ مختص بالرسالة، فهناك رسل قبله: موسى، وهود، وعيسى، وغيرهم، ولكن رسول الله هو خاتم النبيين، وقد نسخت شريعته جميع الشرائع، فلا نبي بعده، ولا شريعة سوى شريعته «**فإن هم أطاعوك في ذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**» وهذا هو الشاهد، وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر والجمعة بدل الظهر «**فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»: «**في أموالهم**» هذه إحدى روايات البخاري، «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»: الأغنياء هنا جمع غني، وهم الذين يملكون نصابًا زكويًا، والغني في كل موضع بحسبه، فيفسر في باب وجوب الزكاة بالنصاب الزكوي، ويفسر في باب أهل الزكاة بأنه الذي يجد ما يكفيه وعائلته لمدة سنة فأكثر «**فإن هم أطاعوك لذلك ـ وافقوا ـ فإياك وكرائم أموالهم**» يعني احذر أن تأخذ الطيب من الأموال بل خذ الوسط لا يظلمون ولا يُظلمون، لا تأخذ الردي فتظلم المستحقين للزكاة، ولا الأجود فتظلم الذين تجب عليهم الزكاة، خذ الوسط.

«**واتق دعوة المظلوم**» يعني أنك إن أخذت من كرائم أموالهم فقد ظلمتهم، فيدعو عليك، «**فاتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» تصل إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويستجيبها، ولو كانت من كافر، فالمظلوم ـ إذا دعا الله ولو كان كافرًا ـ، فإن الله ينتقم له ممن ظلمه إما عاجلاً وإما آجلاً، لأن هذا من باب إقامة العدل، والله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، ومن تمام حكمه العدل بين عباده، فيأخذ للمظلوم من الظالم، «**اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، والشاهد من هذا الحديث قوله: «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**». **والله الموفق**.

* * *

١٠٧٨ ـ وعن جابر رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ[١]» رواه مسلم.

١٠٧٩ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةَ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ[٢]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم(١١٦).

(٢) رواه أحمد (٥/٣٤٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم(٢٥٤٥)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم(٤٥٩)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم(١٠٦٩).

١٠٨٠ ـ وعن شقيق بن عبد الله التابعي المُتَّفق عَلَى جَلالتِهِ رَحِمَهُ الله قالَ: كانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيئًا مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ[1]، رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح

هذه الأحاديث في التحذير من إضاعة الصلاة، حديث جابر وحديث بريدة، أما حديث جابر فقد قال النبي ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، وحديث بريدة: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

فهذان الحديثان يدلان على أن تارك الصلاة كافر، وأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، فالذي لا يصلي أشد من اليهود والنصارى، اليهود لو ذبحوا لأكل الإنسان ذبيحتهم، والنصراني لو ذبح لأكل الإنسان ذبيحته. أما تارك الصلاة لو ذبح فإن ذبيحته لا تحل.

تارك الصلاة مثلاً: لو كانت أنثى لا تصلي فإنه لا يحل للمسلم أن يتزوجها، ولو كانت نصرانية جاز أن يتزوجها المسلم، ولو كانت يهودية جاز أن يتزوجها المسلم.

تارك الصلاة لا يُقر على ترك الصلاة، بل يُقال: صل وإلا قتلناك، واليهودي والنصراني يقر على دينه إما بمعاهدة أو استئمان أو ذمة، فدل ذلك على أن ترك الصلاة أعظم من اليهودية والنصرانية، هذا الأمر الذي

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ماجاء في ترك الصلاة، رقم(٢٥٤٦).

يتهاون به الناس اليوم، وليُعلم أن الإنسان إذا ترك الصلاة وعقد له على امرأة فإن النكاح غير صحيح، ولو جامعها فإنه يجامعها بزنى - والعياذ بالله - وكذلك لو عقد له - وهو يصلي - ثم ترك الصلاة انفسخ النكاح، ووجب أن يفرَّق بينه وبين المرأة إلا أن يتوب ويعود للإسلام فيبقى على نكاحه، وليُعلم أيضًا أن تارك الصلاة - إذا مات على ترك الصلاة - فإنه لا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه ولا يُدفن مع المسلمين ولا يُدعى له بالرحمة، ولا تناله شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، ولكن كيف نصنع به؟

هل نبقي جيفته للكلاب تأكلها ونحن نشاهد؟ لا، لأن هذا كسر لقلوب أقاربه، لكن نخرج به برًا - في البر - ونحفر له حفرة - ليس قبرًا بل حفرة - ونرمسه فيها بثيابه بدون تكفين ولا تغسيل ولا صلاة عليه، ولا كرامة له، ولولا أن أهله يتأثرون لقلنا: يبقى على وجه الأرض تأكله الكلاب - والناس ينظرون إليه - لكنه يُرمس اتقاء لنتنه ورائحته وخبثه، وإذا كان يوم القيامة قال النبي ﷺ: «إنه يُحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبيِّ ابن خلف[1]» رؤساء الكفر، والعياذ بالله، لا يحشر مع أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم.

وبهذا نعلم أن ترك الصلاة أمر عظيم وأنه يجب على من مات عنده ميت - وهو لا يصلي - أن يبعده عن مساجد المسلمين، ولا يحل له أن يقدمه للمسلمين ليصلوا عليه، وهو يعلم أنه مات وهو لا يصلي - أبدًا فإن

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٩).

فعل فهو مسيء إلى المسلمين، والمسلمون ليس عليهم جناح؛ لأنهم ما علموا، لأن الله قال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]. والذي لا يصلي كافر بالله ورسوله، حتى لو قال: أومن بأن الله موجود، وأن محمدًا رسوله، فلا يكفي هذا، لأن المنافقين يقولون مثل هذا الكلام. ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

ثم اعلم أنه إذا مات لك ميت ـ وهو لا يصلي ـ فإنه لا يحل لك من ميراثه شيء على قول أكثر أهل العلم، لأن ميراثه ليس لأقاربه المسلمين، كما أنه هو لو مات عنه قريب مسلم فإنه لا يرثه، يعني: مثلاً إنسان مات وله ابن لا يصلي، وله ابن عم بعيد يصلي، من يرثه؟ يرثه ابن العم البعيد، وابنه لا يرث، ولو مات عن أبيه ـ وهو لا يصلي ـ وله عم، والولد غني ومات عن أبيه الذي لا يصلي وعن عمه المسلم الذي يصلي فالمال لمن؟ المال للعم لقول النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم[1]» وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، كما حكاه عنهم عبد الله بن شقيق أو شقيق بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة. وقال

---

(١) رواه البخاري: كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر السملم، رقم(٦٢٦٧)، ومسلم: كتاب الفرائض، رقم(٣٠٢٧).

النووي في هذا الرجل: إنه متفق على جلالته وثقته وعدالته وتحريه، وقد صرح علماؤنا المتأخرون كالشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله - على أنه - أي تارك الصلاة - كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، وأنه مرتد عن دين الإسلام، ومع الأسف أن الناس الآن يتهاونون في هذا الأمر العظيم. نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعًا لما فيه الخير والصلاح.

١٠٨١ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فإنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيئًا، قالَ الرَّبُّ - عزَّ وجلَّ - انظُروا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَيُكَمَّلُ منها ما انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثمَّ تكونُ سَائِرِ أعمالِهِ عَلَى هذا[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا آخر حديث في باب فضل الصلاة المفروضة والوعيد الشديد على من تركها والنهي الأكيد، وفيه أن أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة الصلاة - وهذا بالنسبة لحق الله عزَّ وجلَّ - فأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإلا فعلى العكس خاب وخسر - والعياذ بالله -، أما بالنسبة لحقوق الآدميين فأول ما يقضى بين الناس في الدماء، لأنها أعظم الحقوق، الدماء: يعني القتل، ثم يأتي بقية المحاسبة

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ لا يتمها، رقم(٧٣٣)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، رقم(٣٧٨)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم(٤٦١).

على ما بقي، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا حاسب العبد على الصلاة وصلحت أفلح ونجح، وإلا خاب وخسر، ثم يأمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يُنظر في أعماله: هل له نوافل، فإنها تكمل بها الفرائض، ولهذا كان من فضل الله ورحمته ونعمته وإحسانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات وقبلها وفي كل وقت إلا الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وذلك لأن الإنسان لابد أن يكون في صلاته خلل فتُكمّل، يُكَمّل هذا الخلل بهذه النوافل، فالظهر له أربع ركعات قبلها وركعتان بعدها، والأربع ركعات قبلها بتسليمتين، وصلاة العصر ليس لها راتبة لكن لها سنة مطلقة كما قال النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**[1]» صلاة المغرب لها راتبة بعدها ركعتان وسنة مطلقة قبلها، الراتبة بعدها ركعتان، صلاة العشاء بعدها ركعتان، صلاة الفجر قبلها ركعتان، صلاة الليل، صلاة الوتر، صلاة الضحى، كل هذه النوافل يزداد بها أجر المصلي ويُكمّل بها النقص الذي حصل في الصلوات المفروضة، وهذه من نعمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم(٥٨٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

١٩٤ـ باب فضل الصف الأول
والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

١٠٨٢ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: أَلاَ تَصُفُّون كما تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رسُولَ الله وَكيْف تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّها؟ قال: «يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأولَ، وَيَتَرَاصُّون في الصَّفِّ[١]» رواه مسلم.

١٠٨٣ـ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعلَمُ النَّاس مَا في النِّدَاءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا[٢]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل الصف الأول والتراص في الصفوف وتسويتها وإكمال الأول فالأول.

هذه مسائل متعددة بيّن ـ رحمه الله ـ حكمها بما ساقه من الأحاديث.

الحديث الأول: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**»: الملائكة لهم عبادات متنوعة، وهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة، رقم(٦٥١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم(٥٨٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦١).

يستكبرون عن عبادة الله ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وتأمل قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. ولم يقل: يسبحون في الليل والنهار؛ لأنهم يستوعبون الوقت كله في التسبيح، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن عباداتهم عند ربهم أنهم يصفون عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]. وكيف صفوفهم؟ قال النبيّ ﷺ: «**يكملون الأول** ـ يعني: فالأول ـ **ويتراصون**» إذن فنحن إذا صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة: يكملون الأول فالأول ويتراصون.

«**الأول فالأول**»: كما أنه من سنة الملائكة عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومما رغب فيه النبي ﷺ هو من الأمور التي ينبغي أن يتزاحم الناس عليها؛ لأن النبي ﷺ قال في حديث أبي هريرة: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول**» يعني من الأجر «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» يعني لو لم يجدوا طريقًا يصلون إلى الصف الأول به إلا أن يستهموا عليه ـ يعني يقترعون قرعة، لاستهموا ـ وهذا يدل على فضيلة الصف الأول ويدل على أن الأفضل التراص في الصفوف، ويدل على أنه يكمل الأول فالأول فهذه ثلاث مسائل ينبغي للإنسان أن ينتبه لها:

أولاً: ألا يقف في صف حتى يكمل الصف الذي قبله، يكمل الأول فالأول.

ثانيًا: في الصلاة يتراصون: يلصق بعضهم كعبه بكعب أخيه، ومنكبه بمنكبه حتى تتم المراصة، لأنهم إذا لم يتراصوا أتدرون ما يحصل؟ تدخل

الشياطين بينهم، كالحدث أي كأولاد الغنم الصغار، ثم يشوشون عليهم صلاتهم، فإذا تراصوا لم يبق للشياطين مكان، ولكن يجب التنبُّه لمسائل:

المسألة الأولى: ليس المراد بالمراصَّة المرصَّة التي تشوش على الآخرين، يعني يرصه حتى يتعبه ويؤذيه، فإن هذا لا يجوز، وإنما المراد منها ألا يكون بينك وبينه فرجة، هذه هي المراصة، أما المراصة التي يحصل بها أذية وتشويش على أخيك الذي عندك فليست مطلوبة.

ثانيًا: الصف الأول: «لو لم يجد الناس إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» لا يجوز التقدم إليه بوضع منديل أو وضع كتاب، أو ما أشبه ذلك، أو يتحجر مكانًا، وقد سمعت بعض الناس أنهم كانوا في صلاة الجمعة، فجاء شخص متقدم ووجد مكانًا في الصفوف الأولى خاليًّا، فتقدم إليه وصلى فيه، ثم جاء رجل كان من عادته أن يصلي في هذا المكان، وكأنما اشتراه من كيسه، فلما وجد من سبقه قال له: ماذا تبغي من المكان؟ قال له ما قعدت مكانك، وإنما أنا وجدت مكانًا خاليًّا فجلست فيه، فقال: لا، هذا مكاني، فإنني أجلس هنا ـ عادة ـ، وأنا واضع فيه كذا وكذا من حاجياتي، فسبحان الله من أين له ذلك؟ إن المساجد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ومن جاء أولاً فهو أحق، وليس أحد أحق بمكانه منه، فالإنسان يجب أن يتجنب هذه الأمور، بل قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ أن التحجر حرام، وأنه لا يجوز.

حتى إن بعض الفقهاء قال: يتوجه أن لا تصح صلاته، لأنه شبه مغصوب حيث إنه جلس في مكان لا يستحقه.

فالأحق بالمكان من جاء إلى المسجد أولاً، ولولا أني أخشى الفتنة لأتيت على جميع الذين يضعون شيئًا يتحجرونه، ورميتها في الشارع، ولكني أخشى من فتنة ومن عداوة ومن بغضاء نحن في غنًى عنها.

فقول الرسول ﷺ: «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» يعني: أنهم يتقدمون ويتسابقون، ثم إن التحجر فيه مضرة فالإنسان يقول: أنا مكاني الآن مضمون، فيتأخر فينحرم من الخير بناء على أن مكانه مضمون.

نعم إذا حضر إلى المسجد ولكنه أراد أن يبتعد عن الصف الأول لأجل أن يقرأ أو يصلي أو يراجع أو ينام ـ ولا بأس بالنوم في المسجد ـ فلا بأس، لأنه يستحقه، لكن يجب أن يصل إلى مكانه قبل أن تتصل الصفوف فيحتاج إلى تخطي الرقاب، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى الرقاب فقال: «**اجلس فقد آذيت**»[1].

وفي حديث أبي هريرة الثاني دليلٌ على جواز الاستهام في القرب، يعني يطق القرعة لو تنازع اثنان في الأذان، قال واحد: أنا الذي أؤذن، وقال الآخر: لا بل أنا سأؤذن وليس منهم مؤذن راتب، وكلهم متساؤون في الصفات المطلوبة في الأذان، فحينئذٍ نقرع بينهما، فمن خرجت له القرعة فهو الذي يؤذن، ومع الأسف أنك ترى بعض الناس جماعة في سفر أو نزهة أو ما أشبه ذلك، كل واحد يقول للثاني ـ أَذّن أنت، أذّن أنت، وهو لا يعلم ما في الأذان من خير فلا يسمع صوتك شجر ولا مَدَرٍ، ولا حجر إلا شهد لك يوم القيامة فكيف تترك هذه الغنيمة التي ينبغي أن تبادر

---

(١) المستدرك: (١/ ٤٢٤).

نحوها، فكل من هذين الرجلين ـ من يتنازل عن الأذان لغيره، أو من يتنازل عن الصف الأول ـ كلاهما مخطىء، ولو قدرنا أنه فعل ذلك حتى لا يغضب الآخرون، لماذا؟ لأنه ينبغي له أن يفعل السنة، أما إذا استنكف واستكبر فإنه آثم.

ملحوظة: بعض الإخوة تجده - ويظن أنه من السنة- يباعد بين رجليه في الصف فتطابق رجله رجل الواقف بجواره لكن كتفه بعيد عنه، وهذا خطأ، وليس من السنة، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا وقفوا تراصّوا حتى يكون المنكب يمس المنكب، والكعب يمس الكعب، وكل شيء على طبيعته، فليس معنى التراص أن تلصق قدميك بقدم من بجوارك فهذا فهم للسنة على غير حقيقتها.

نسأل الله أن يهدينا إلى الخير وأن يجعلنا من المتسابقين إليه إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٠٨٤ ـ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «خَيْرُ صُفوفِ الرِّجالِ أوَّلُها، وَشَرُّها آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُها، وَشَرُّها أوَّلُهَا[١]» رواه مسلم.

١٠٨٥ ـ وعن أَبي سَعيد الخُدْرِي رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ رأى في أصْحَابِهِ تَأخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بي. وَلَيأتَمَّ بكم مَنْ بَعْدَكُمْ، لا يَزَالُ قَوْمٌ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٤).

يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرهُمُ الله[١]» رواه مسلم.

١٠٨٦ ـ وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنا في الصَّلاة، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلاَ تختلِفوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهى، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونهمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[٢]» رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاةِ[٣]» متفقٌ عليه.

وفي رواية للبخاري: «فإنَّ تَسْوِيَة الصُّفُوفِ مِنْ إقَامَةِ الصَّلاةِ».

الشـرح

هذه الأحاديث في بيان فضل الصفوف نقلها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**» وذلك أن صفوف النساء تكون خلف الرجال، وهذا هو السنة، فإذا كان أولها فهو قريب من الرجال فيكون شرها، وآخرها بعيد عن الرجال فيكون

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة، رقم(٦٨١)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٦).

خيرها، أما الرجال فكلما تقدموا فهو أفضل كما قال النبي ﷺ محذرًا عن التأخر: «**لا يزال قومٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله**» وهذه خطيرة: أن الإنسان ـ كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني وهو في الثالث أو الثالث وهو في الرابع ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**» فأنت ـ يا أخي ـ تقدّم في الصف الأول فالأول.

وقوله في الحديث: «**خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»: ما لم يكن النساء في مكان خاص لهن، فإن خير صفوفهن أولها، لأنه أقرب من الإمام ولا محذور فيه، لأنهن بعيدات من الرجال فلا محذور في ذلك.

ثم ذكر أن النبي ﷺ كان يسوي مناكب أصحابه عند التسوية، مناكبهم: يعني أكتافهم ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» يعني: أن اختلاف الناس ـ بعضهم متقدم وبعضهم متأخر ـ يوجب اختلاف القلوب، وآخر الآحاديث أن الرسول ﷺ أمر بتسوية الصف وقال: «**إن تسوية الصفِّ من تمام الصلاة**» وهو كذلك، وفي رواية: «**تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**» فالذي ينبغي لنا أن نقيم صفوفنا بالتسوية، وتكميل الأول فالأول، والتراص حتى يكون ذلك من تمام صلاتنا.

ملحوظة: أحب أن أنبه على خصلة بدأ الناس يفعلونها وليست معروفة من قبل، ألا وهي أن الإنسان من حين أن يسلم يتقدّم على إخوانه ويستدبرهم، وهذا مما أخشى أن يكون داخلاً في النهي الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**ولا تدابروا**»، وقد شكى إليّ بعض الناس هذه الحال،

فقال: إنهم يصلون إلى جنبنا ثم يستدبروننا، ويعطوننا ظهورهم، لماذا وليس هناك حاجة؟ فلو كان ذلك في درس وأراد أن يسمع كلام المتكلم، فلا بأس، أما إذا قال: أنا أستضيق مثلاً، فهذا نقول له: قم وابعد عن الصف، حتى لا تكون مستدبرًا لصحبك، اذهب إلى القبلة أو إلى خلف الصفوف حتى لا تستدبر إخوانك المسلمين، إني ـ والعلم عند الله ـ أشعر بأن الإنسان إذا تقدم يشعر بنفسه كأنه متقدم على الناس والناس دونه مرتبةً وما أشبه ذلك، فأخشى أن يلعب الشيطان بهذا الإنسان.

وأنا أرى أن هذا الفعل داخل تحت النهي في الحديث المتقدم، فمن تقدم على إخوانه في الصف بعد السلام، أخشى عليه أن يختلف قلبه من أجل تقدمه هذا، لذا أنصح من يفعل هذا الفعل أن يتركه. والله الموفق.

* * *

١٠٨٨ ـ وعنه رضي الله عنه قال: أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فأقبل عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي[(١)]» رواه البُخاري بِلفْظِهِ، ومُسْلِم بمعناه.

وفي رواية للبُخاري: وكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ منكبه بمنكب صاحبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدمِهِ[(٢)]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف، رقم(٦٧٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم، رقم(٦٨٣).

١٠٨٩ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بن بشر رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وَجُوهِكُمْ[(١)]» متفقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُسوِّي صفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسوي بِهَا القِدَاح حَتَّى رأى أنَّا قد عَقَلنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَاد يُكبر، فَرَأى رَجُلاً بَاديًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فقالَ: «عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وجُوهِكُمْ[(٢)]».

الشرح

هذه الأحاديث في تتمة باب إقامة الصفوف والحث على تسويتها وما يتعلق بذلك. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يسوي الصفوف فيقبل على الناس ويقول: **«أقيموا صفوفكم، فإني أراكم من وراء ظهري»** فأمرهم ﷺ بإقامة الصفوف، وأخبر أنه يراهم من وراء ظهره؟ وهذا من خصائص النبي ﷺ أنه في هذه الحال المعينة يرى الناس من وراء ظهره، أما فيما سوى ذلك فإنه كغيره لا يرى من وراء ظهره شيئًا، وأخبر ﷺ في حديث النعمان بن بشير: أنهم إما أن تسووا الصفوف أو يخالفن الله بين قلوبكم فقال: **«عباد الله لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»**.

واختلف العلماء في قوله: **«بين وجوهكم»**. فقيل المعنى أن الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، رقم(٦٧٦)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٥٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول، رقم(٦٦٠).

يعاقبهم بأن يجعل وجوههم نحو ظهورهم، فتُلوى الأعناق، وقيل المعنى بين وجوهكم: أي بين وجهات نظركم، وهو كالحديث الذي سبق: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» وهذا المعنى أصح وأرجح، ومعلوم أن الاختلاف الظاهر يؤدي إلى اختلاف الباطن، فإذا اختلف الناس فيما بينهم ظاهرًا أدى ذلك إلى اختلاف القلوب، وإذا اختلفت القلوب صار الشر والفساد ـ والعياذ بالله ـ وخلاصة هذا الباب كله: أننا مأمورون بتسوية الصفوف على النحو التالي:

أولاً: تسوية الصف بالمحاذاة: بحيث لا يتقدم أحد على أحد، ولهذا كان الصحابة يلصق أحدهم كعبه بكعب صاحبه، ومنكبه بمنكبه، وفي هذا الوصف دليلٌ على فساد فهم هؤلاء الذين إذا وقفوا في الصف باعدوا بين أرجلهم حتى تكون أقدامهم لاصقة بأقدام الآخرين لكن المناكب متباعدة، وهذا بدعة، والسنة أننا نتراص جميعًا يرص الواحد صاحبه بحيث يلصق كعبه بكعبه ومنكبه بمنكبه بدون مباعدة بين الأرجل بل ندعها مستقيمة على طبيعتها.

ثانيًا: تسوية الصف بإكمال الأول فالأول بحيث لا يصف أحد في الصف الثاني والأول لم يتم، أو في الثالث والثاني لم يتم أو في الرابع والثالث لم يتم وهكذا. . الخ.

ثالثاً: أن الأولى إذا اجتمع رجال ونساء أن تبتعد النساء عن الرجال، فإن خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها.

رابعًا: سد الفرج: ألا ندع للشياطين فرجًا يدخلون من بينها، لأن

الشياطين تسلط على بني آدم ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى، وامتحانًا فإذا وجدوا فرجة في الصف تخللوا المصلين حتى يشوشوا عليهم صلواتهم.

خامسًا: إذا كانوا ثلاثة فإنه يتقدم أحدهم إمامًا ويكون الباقيان خلفه، سواء كان الاثنان بالغَيْن أو صغيرين، أو بالغ وصغير ـ كلهم يكونون خلفه، لأن ذلك ثبت عن النبي ﷺ في صلاة النفل، وصلاة الفرض مثل صلاة النفل إلا إذا قام دليلٌ على الفرق بينهما والله الموفق.

* * *

١٠٩٠ ـ وعن البَرَاءِ بنِ عازِب رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيةٍ إلى ناحية، يَمسَحُ صُدُورَنَا، وَمَنَاكِبنا، ويقولُ: «لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأوُّل[1]» رواه أبوداود بإسناد حَسَنٍ.

١٠٩١ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأَيْدِي إِخْوانِكُمْ، وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشيطانِ، ومَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله[2]» رواه أبوداود بإسناد صحيح.

١٠٩٢ ـ وَعَنْ أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «رُصُّوا صُفُوفكُمْ،

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٦٨).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٩٧)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٧٠)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب من وصل صفًا، رقم(٨١٠).

وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا الأعناقِ فَو الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأرى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ[١]» حديثٌ صحيحٌ رواه أبوداود بإسناد على شرط مسلم، «الحذَفُ» بحاءٍ مهملةٍ وذالٍ معجمةٍ، مفتوحتين، ثم فاءٌ وهي: غَنَمٌ سُودٌ صغارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ.

الشرح

هذه الأحاديث في تكملة هذا الباب الذي فيه بيان فضيلة الصف الأول وتكميل الأول فالأول من الصفوف، فإن في هذه الأحاديث دليلاً على مسائل:

أولاً: أن النبي ﷺ كان يمسح صدور أصحابه ومناكبهم، ليسوي صفوفهم، ويقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**».

ثانيًا: وكان النبي ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يسوي بيده الكريمة، وكان هذا عادته.

ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي زمن عثمان، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة، يسوون الصفوف، فإذا جاءوا إلى الإمام وقالوا: إن الصفوف قد تمت، وكملت، كَبّروا للصلاة، وهذا دليلٌ على عناية النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بالصفوف، والتراص فيها، والتسوية، وعدم فرجات الشيطان، حتى تكون الصلاة تامةً مستوية، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة، ومن إقامة الصلاة. والله الموفق.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٥٧١).

١٠٩٣ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَتِمُّوا الصَّفَّ المقدَّم، ثُمَّ الَّذي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ في الصَّفِّ المُؤَخَّرِ[1]» رواه أبوداود بإسنادٍ حسن.

١٠٩٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصفوفِ[2]» رواه أبوداود بإسناد عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وفيه رجلٌ مُخْتَلَفٌ في تَوْثيقِهِ.

١٠٩٥ ـ وَعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قالَ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رسولِ الله ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يقول: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ ـ أَوْ تَجمَعُ ـ عِبَادَكَ[3]» رواه مسلم.

١٠٩٦ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَسِّطُوا الإِمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ[4]» رواه أبوداود.

الشرح

هذه بقية الأحاديث في بيان فضل الصفوف الأُوَل، وقد سبق أن النبي ﷺ أمر بأن يُكمل الصفُّ الأول فالأول، وأخبر أن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول، وفي حديث أنس بن مالك الذي نقله المؤلف في

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٢)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم(٦٧٤)، والنسائي: كتاب الإمامة، باب الصف المؤخر، رقم(٨٠٩).

(٢) رواه أبو داود: كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف، رقم (٦٧٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب يمين الإمام، رقم(١١٥٩).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب مقام الإمام من الصف، رقم(٦٨٣).

هذا الباب: أن النبيّ ﷺ أمر أن نبدأ بالصف المُقَدّم فالمقدم وما كان من نقص فليكن في المؤخَّر، يعني أمرهم أن يُتموا الصفوف الأول فالأول، وما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر، وهذا يدل على أن من صف في الصف الثاني قبل تمام الأول ـ ولو كان معه غيره ـ فإنه لم يُصِب السنة، بل السنةُ ألا يكون أحد في الصف الثاني حتى يتم الأول ولا في الثالث حتى يتم الثاني.. ولا في الرابع حتى يتم الثالث وهُلم جَرّا.

وفي الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هنا أن النبي ﷺ قال: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**[1]» لكن هذا الحديث فيه رجلٌ مختلف في توثيقه، وعلى هذا فيكون ضعيفًا ـ وإن كان على شرط مسلم من حيث الإسناد ـ لكن إذا كان فيه رجلٌ مُختلفٌ بتوثيقه فليكن ضعيفًا.

أما الحديث الأخير فإن النبي ﷺ أمر أن يُوسّط الإمام فقال: «**وسّطوا الإمام**» يعني: اجعلوه وسطًا، وهذا هو العدل أن يكون الإمام ليس مائلاً إلى اليمين ولا إلى الشمال، بل يكون في الوسط، ولهذا لما كان في أول الإسلام أو في الهجرة وكان الناس يصفّون إذا كانوا ثلاثة صفًّا واحدًا كان المشروع أن الإمام يكون بينهم ـ لا يكون متطرفًا من حيث اليسار، بل يكون بينهم فدل ذلك على أن توسيط الإمام له أهمية، وبه نعرف أن ما

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر، رقم(٥٧٨)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل ميمنة الصف، رقم(٩٩٥).

يفعله بعض الناس الآن: تجدهم يُكملون الصف الأيمن والصفُ الأيسر ليس فيه إلا القليل هذا خلاف السنة، والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين، فإذا تساويا فهنا نقول: الأيمن أفضل فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس، أما أن يكون الصف الأيمن تامًّا والأيسر ليس فيه إلا قليل فهذا خلاف السنة، لأن ذلك ليس فيه توسيط الإمام، وقد تقدم أن الحديث الذي فيه: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**» فيه رجلٌ قد اختُلف في توثيقه.. والله أعلم.

* * *

١٩٥ـ باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

١٠٩٧ ـ عَنْ أُمِّ المُؤمِنينَ أمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بنت أبي سُفيان رضي الله عنهما قَالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى في كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً تَطَوَّعًا غَيْرَ الفَرِيضَةِ، إلاَّ بَنى اللهُ لهُ بَيْتًا في الجنَّةِ! أَوْ: إلاَّ بُنِيَ له بَيْتٌ في الجَنَّةِ[(١)]» رواه مسلم.

١٠٩٨ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ[(٢)]. متفقٌ عليه.

١٠٩٩ ـ وعَنْ عبدِ الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بيْنَ كلِّ أذانينِ صَلاةٌ» وقال في الثالثة: «لِمَنْ شَاءَ[(٣)]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل

---

(١) رواه البخاري: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، رقم(١١٩٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها، رقم(١٢٠٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء، رقم(٥٩١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

النوافل والسنن الراتبة التابعة للمكتوبات، واعلم أن من نعمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن شرع لعباده نوافل زائدة على الفريضة لتكمل بها الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص، فشرع الله لعباده نوافل تكمل بها الفرائض، ولولا أن الله شرّعها لكانت بدعة، لكن من نعمة الله أن شرع هذه النوافل حتى تكمل نقص الفرائض، والنوافل أنواع متعددة وأجناس: منها الرواتب التابعة للمكتوبات وهي: اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر يسلم من كل ركعتين، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، هذه اثنتا عشرة ركعة، من صلاّهن في كل يوم وليلة «**بنى الله له بيتاً في الجنة**» كما في حديث أم حبيبة رضي الله عنها.

والأفضل أن تُصلَّى هذه الرواتب في البيت، لا في حق المأموم ولا في حق الإمام، لأن النبي ﷺ قال: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**[1]» حتى لو كنت في مكة أو في المدينة، فالأفضل أن تُصلّي هذه السنن الراتبة في بيتك؛ لأن النبي ﷺ كان يُصلّيها في بيته ويقول: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

وهناك نوافل تابعة للمكتوبات لكنها ليست كهذه الرواتب وهو ما رواه عبد الله بن مُغَفّل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بين كل أذانين صلاة بين**

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم(٦٧٤٦).

كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة» وقال في الثالثة «لمن شاء» لئلا يتخذها الناس سنة راتبة، وعلى هذا فيكون بين كل أذانين - يعني بين الأذان والإقامة - الفجر بين الأذان والإقامة سنة راتبة، الظهر بين الأذان والإقامة سنة راتبة، العصر ليس لها راتبة قبلها ولا بَعدها لكن تدخل في هذا الحديث أن الإنسان إذا أُذِّن لصلاة العصر فليُصلِّ ركعتين قبل الإقامة، المغرب كذلك ليس لها سنة راتبة قبلها لكن يُسنّ أن يُصلي ركعتين بعد أذان المغرب، وقد ورد فيها حديث بخصوصها قال: «صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب[1]» ثلاثًا وقال في الثالثة: «لمن شاء»، العشاء كذلك ليس لها راتبة قبلها لكن تدخل في الحديث أن يُصلي بعد الأذان وقبل الإقامة ركعتين، وإذا فاتت الرواتب التي قبل الصلاة، بأن جاء والإمام يصلي الفريضة فإنه يقضيها بعد ذلك.

وإذا كان للصلاة سنَّتان قبلها وبعدها، وفاتته الأولى فإنه يبدأ أولاً بالبعدية ثم ما بالقضاء. مثال ذلك: دخل والإمام يُصلي الظهر - وهو لم يُصلِّ راتبة الظهر - فإذا انتهت الصلاة يُصلي أولاً الركعتين اللتين بعد الصلاة ثم يقضي الأربع التي قبلها.

الجمعة قال ابن عمر رضي الله عنهما: إن النبي ﷺ كان يصلي بعدها ركعتين، وثبت عنه ﷺ أنه أمر أن يُصلي الإنسان بعدها أربع ركعات فقال:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٥٥)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل المغرب، رقم(١٠٨٩).

«**إذا صلى أحدكم الجمعة فليُصلّ بعدها أربعًا**[١]» فقال بعض العلماء: يقدم القول وتكون راتبة الجمعة أربع ركعات، وقال بعضهم: يجمع بين القول والفعل فتكون راتبة الجمعة ست ركعات، وقال بعضهم: إن صليت راتبة الجمعة في المسجد فأربع، وإن صليتها في البيت فركعتان، لأن الرسول ﷺ يصليها في البيت ركعتين، وقال: «**صلوا بعد الجمعة أربعًا**» فإن صلى في المسجد فأربع، وإن صلى في البيت فركعتان والأمر في هذا واسع ـ إن شاء الله ـ لكن ينبغي للإنسان أن يحرص على هذه السنن الرواتب لما فيها من الخير وتكميل ناقص الفرائض.

وإذا فاتت سنة الفجر فأنت بالخيار إن شئت فاقضها إذا صليت الفجر، وإن شئت أخرها، لكن الغالب أن الإنسان إذا أَخَّرها ينسى أو ينشغل والأمر ما دام أنه ليس فيه نهي لأنها ذات سبب وتابعة للصلاة فصلّها بعد أن تصلي الفجر. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٥٧).

١٩٦- باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

١١٠٠ - عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْر، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ[(١)]. رواه البخاري.

١١٠١ - وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: لمْ يَكن النَّبيُّ ﷺ على شيءٍ مِنَ النَّوافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتي الفجر[(٢)]. متفق عليه.

١١٠٢ - وَعَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «رَكْعَتَا الفَجْرِ خيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيها[(٣)]» رواه مسلم.

وفي رواية: «لَهُمَا أَحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيَا جَميعًا[(٤)]».

١١٠٣ - وَعَنْ أَبِي عبدِ الله بلال بن رَبَاحٍ رضي الله عنه مُؤَذِّنِ رسول الله ﷺ أنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ لِيُؤْذنه بِصَلاةِ الغدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْر سَأَلَتْه عَنْهُ، حَتَّى أصبَحَ جدًّا، فَقَامَ بِلالٌ فآذنه بالصَّلاة، وتَابَاعَ أَذَانَهُ، فَلَمْ يَخرُجْ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَخبَرَهُ أَنَّ عائشةَ شَغَلَتْهُ بِأَمْرٍ سَأَلَتْه عَنْهُ حتى أصبَحَ جِدًّا وأنَّهُ أبطَأَ عَلَيْهِ بالخُروجِ، فَقَالَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ: «إِنِّي كُنتُ رَكعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ» فقالَ: يا رسول الله إنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا! فَقَالَ: «لوْ أصبَحتُ أكْثَرَ مِمَّا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الركعتين قبل الظهر، رقم(١١١٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا، رقم(١٠٩٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩١).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩٣).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي السنة الفجر والحث عليهما، رقم(١١٩٤).

أصبَحتُ، لرَكعْتُهُما، وأحْسَنْتُهُمَا، وأَجَملْتُهُمَا[١]» رواه أبو داود بإسناد حسن.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب تأكيد ركعتي الصبح : يعني سنة الفجر .

وتمتاز سنة الفجر وهي ركعتان قبل الصلاة بأمور :

أولاً : أنه يسن تخفيفهما ، فلو أطالهما الإنسان لكان مخالفًا للسنة ، بل يخفف حتى كانت عائشة رضي الله عنها تقول : «إنه يخفف فيهما حتى أقول : أقرأ بأم القرآن أم لا» من شدة التخفيف .

ثانيًا : أنه يسن فيهما قراءة معينة : إما : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ في الركعة الأولى ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الثانية ، وإما ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا . . .﴾ [البقرة: ١٣٦]. و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا . . .﴾ [آل عمران: ٦٤]. يعني مرة هذا ومرة هذا .

ثالثًا : أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل ـ يعني رواتب الصلوات ـ لم يكن أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر . يتعاهدهما عليه الصلاة والسلام .

رابعًا : أن النبي ﷺ أخبر : **«أنهما خير من الدنيا وما فيها»** و**«أحب إليه من الدنيا وما فيها»** .

خامسًا : أن النبي ﷺ لم يكن يدعهما حضرًا ولا سفرًا . كل هذه تتميز

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما، رقم(١٠٦٦).

بها سنة الفجر، فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها وأن يحرص عليها حضرًا وسفرًا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلِّهما بعد الصلاة إما في نفس الوقت وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح.

وذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، لكنهما بتسليمتين، لأن الظهر راتبتها ست ركعات: أربع قبلها وركعتان بعدها فينبغي لنا أن نحرص على ما كان النبي ﷺ يحرص عليه وأن نقتدي بسنته ﷺ ما استطعنا، فإن الله يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. والله الموفق.

* * *

باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تهجد بالليل أم لا

١١١٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَاصلَّى رَكْعَتَي الفَجْرِ، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ[١]. رواه البخاري.

١١١١ ـ وعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاةِ العِشَاءِ إلى الفَجرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّم بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوترُ بواحِدَةٍ، فَإذَا سَكَتَ المُؤَذنُ مِنْ صَلاةِ الْفَجْرِ، وتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفتيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّه الأَيْمن، هكذا حَتَّى يأتِيهُ المُؤَذِّنُ للإقَامَةِ[٢]. رواه مسلمُ.

قولها: «يُسَلِّم بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ» هكذا هو في مسلم ومعناه: بَعْدَ كُلِّ ركعتين.

١١١٢ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ «إذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكعتَي الفَجْرِ، فَلْيضْطجعْ عَلَى يَمينِهِ[٣]».

رواه أبوداود والترمذي بأسانيد صحيحة. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر، رقم(١٠٩٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢١٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤١٥)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الاضطجاع بعدها، رقم(١٠٧٠)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ماجاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، رقم(٣٨٥).

الشرح

سبق لنا أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتي الفجر، وسبق أن هاتين الركعتين تتميزان عن بقية الرواتب بمميزات سبق ذكرها، ومن مميزاتهما: أنه إذا صلَّى هاتين الركعتين اضطجع على شقه الأيمن كما كان النبي ﷺ يفعل، ثبت ذلك عن عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: «**أنه كان إذا صلى سنة الفجر اضطجع بعدها على الجنب الأيمن**»، وفي حديث عائشة الثاني الذي رواه مسلم: «**أنه كان ﷺ يُصلي إحدى عشرة ركعة ويسلم بين كل ركعتين**»، وفي هذا دليلٌ على وهم من توهّم أنه إذ صلى إحدى عشرة ركعة يُصلي أربعًا جميعًا ثم أربعًا جميعًا ثم ثلاثًا بناءً على حديثها رضي الله عنها أنها قالت: «**كان النبي ﷺ لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا**[1]» فظن بعض الناس أنه يصلي أربعًا جميعًا ثم أربعًا جميعًا ثم ثلاثًا، وهذا وهم، فقد أخذهم ظاهر الحديث، فيحمل هذا على «أنه يصلي أربعًا» على ركعتين ركعتين، ثم يستريح ثم يصلي أربعًا على ركعتين ركعتين ثم يستريح، ثم يصلي ثلاثًا، هكذا يجب أن يُحمل، لأن الراوي عن النبي ﷺ في ذلك واحد وهي عائشة، والفعل واحد، فيجب حمل بعضها على بعض لتتفق السنة، لا يُقال: إنه يفعل هذا مرة وهذا مرة؛ لأن كلمة «كان» تدل على دوام الفعل

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٩).

غالبًا.

وأما حديث أبي هُريرة في أمر النبي ﷺ: «**إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن**» فهذا ـ وإن كان الترمذي وأبوداود قد روياه، وقال المؤلف - رحمه الله -: إنه بأسانيد صحيحة فقد قال حبر الأمة وبحر العلوم العقلية والنقلية شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذا حديث منكرٌ، وإنه لم يصح الأمر به عن النبي ﷺ أي أمر هذه الضجعة بعد السجدتين ـ بعد الركعتين ـ في سنة الفجر، وما قاله الشيخ هو الصحيح لأنه حديث منكر لا عبرة به، لأن الرسول ﷺ لم يأمر بأن يضطجع الرجل إذا صلى سنة الفجر على جنبه الأيمن.

وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ في الترجمة (لا فرق بين المتهجد وغيره) إشارة إلى خلاف في ذلك، وهو: أن بعض العلماء قال: يُسنّ الاضطجاع بعد ركعتي الفجر مطلقًا، وبعضهم قال: لا يسن مطلقًا، وبعضهم قال بالتفصيل: إن كان له تهجد فإنه يسن له أن يضطجع بعدهما من أجل الراحة بعد التعب، وإن لم يكن له تهجد فلا يضطجع، ومن أعجب الأقوال وأغربها أن بعض العلماء قال: إن الاضطجاع بعد سنة الفجر شرطٌ لصحة صلاة الفجر، وأن من لم يضطجع فصلاته باطلة؟؟ وهذه من غرائب العلم، وغرائب الأقوال؟ فما الربط بين هذا الاضطجاع وبين الصلاة؟؟ الاضطجاع منفصل عن الصلاة ولا علاقة له بها؟ لكن ذكرناه لأجل الإحاطة بآراء بعض أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ والصحيح هو ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله: أنه إذا كان الإنسان متعبًا من تهجدٍ فإنه يستريح،

يضطجع على الجنب الأيمن، وهذا بشرط ألا يخشى أن يغلبه النوم فتفوته الصلاة، فإن خشي من ذلك فلا يضطجع.

* * *

١٩٩- باب سنة الظهر

١١١٣ - عَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسول الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْل الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا[١]. متفقٌ عليه.

١١١٤ - وَعَنْ عَائشة رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ كانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ[٢]، رَواه البخاري.

١١١٥ - وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاس المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ بَيتي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّ بِالنَّاسِ العِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ[٣]. رواه مسلم.

١١١٦ - وعن أُمِّ حَبيبة رضي الله عنها قَالَتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدها، حرَّمَهُ الله على النَّارِ[٤]».

رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١١٧ - وَعَنْ عبدِ الله بن السائب رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُصلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أن تَزولَ الشَّمسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقالَ: «إنَّها سَاعَةٌ تُفْتَحُ فيها أبوابِ السَّمَاءِ،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٩)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب التطوع بعد المكتوبة، رقم(١١٠٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الركعتين قبل الظهر، رقم(١١١٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا وفعل بعض الركعة، رقم(١٢٠١).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الأربع قبل الظهر وبعدها، رقم(١٠٧٧)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب منه آخر، رقم(٣٩٣)، والنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الاختلاف على إسماعيل بن أبي خالد، رقم(١٧٩٣).

فَأُحِبُّ أَنْ يَصعَدَ لي فيها عَملٌ صالِحٌ[١]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١١٨ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، صلاَّهُنَّ بعْدَهَا[٢]. رواه الترمذي. وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب سنة الظهر، وذكر أحاديث متعددة كلها تدل على أن الظهر لها ست ركعات: أربع قبلها بسلامين، وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع التي قبل الظهر فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تُقضى كما تُقضى الفرائض، ولكن قد ورد في حديث أخرجه ابن ماجه: «**أنه يبدأ أولاً بالسنة البعدية، ثم بالسنة القبلية**» فمثلاً جئت لصلاة الظهر والإمام يصلي ولم تتمكن من الراتبة قبل الصلاة، نقول: صَلِّ، فإذا انتهيت من الصلاة وأذكارها فصلِّ الركعتين اللتين بعد الصلاة، ثم صل ركعتين وركعتين للذي قبل الصلاة، هذا هو السنة.

وفي هذه الأحاديث دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له أن يحافظ على الرواتب، لقول عائشة: كان النبي ﷺ: لا يدع أربع ركعات قبل الظهر ـ يعني لا يتركها ـ.

إلا أنه في السفر لا يصلي سنة الظهر لا الأولى ولا التي بعدها؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يصلي راتبة الظهر إذا كان مسافرًا. والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند الزوال، رقم(٤٤٠).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب منه آخر، رقم(٣٩١).

٢٠٠- باب سنة العصر

١١١٩ - عَنْ عَليِّ بْنِ أبي طَالب رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَع رَكَعَات، يَفْصِل بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْليم عَلَى المَلائِكَةِ المقرَّبين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمين وَالمؤمنين[١]. رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١١٢٠ - وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «رَحِمَ الله امْرَأً صَلَّى قبل العَصْرِ أَرْبَعًا[٢]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١٢١ - وعَنْ عليِّ بن أَبِي طالبٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصرِ رَكْعَتَيْنِ[٣]. رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

* * *

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢/١١٧)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، رقم(١٠٧٩)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٥).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، رقم(١٠٨٠)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم(٣٩٤).

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تَقَدَّمَ في هذه الأبواب حديثُ ابنِ عُمَرَ، وحَدِيثُ عائِشَةَ، وهما صَحيحانِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي بعْدَ المغربِ رَكعتَيْنِ.

رواه أبو داود بإسناد صحيحٍ.

١١٢٢ - وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «صَلُّوا قَبلَ المغرب» قالَ في الثَّالِثَة: «لِمَنْ شَاء[1]» رواه البخاري.

١١٢٣ - وعن أَنس رضي الله عنه قالَ: لَقد رَأيتُ كِبارَ أصحابِ رسول الله ﷺ يَبْتَدِرونَ السَّوارِيَ عند المغربِ[2]. رواه البخاري.

١١٢٤ - وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهدِ رسولِ الله ﷺ رَكْعَتينِ بعدَ غُروبِ الشَّمس قَبلَ المغربِ، فقيلَ: أكانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهُمَا؟ قالَ: كانَ يَرانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنا[3]. رواه مسلم.

١١٢٥ - وعنه قالَ: كُنَّا بالمدينة فَإذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصلاةِ المغربِ، ابْتَدَرُوا السَّوارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ ليدخُلَ المَسجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيت من كثرةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا[4]. رواه مسلم.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الصلاة قبل المغرب، رقم(١١١١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانية، رقم(٤٧٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم(١٣٨٢).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم(١٣٨٣).

٢٠٢ـ باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فيه حديثُ ابن عُمَرَ السَّابِقُ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديثُ عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ[1]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأبواب في بيان سنة العصر والمغرب والعشاء وقد سبق بيان سنة الفجر وسنة الظهر، فأما العصر فمن السنن قبلها أن يصلي الإنسان أربع ركعات استئناسًا بهذا الحديث: «**رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا**» وهذه الجملة دُعائية: يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند أهل العلم، لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلى هذه الأربع، وأما المغرب فلها سنة قبلها وبعدها، لكن السنة التي قبلها ليست راتبة، والتي بعدها راتبة، السنة التي قبلها فيها الحديث أن النبي ﷺ قال: «**صلوا قبل المغرب**» ثلاثًا وقال في الثالثة: «**لمن شاء**» لئلا تتخذ سنة راتبة، فإذا أذن المغرب فصلِّ ركعتين سنة لكن ليست كالسنة التي بعدها راتبة مؤكدة، بل هي سنة إن تركها الإنسان فلا حرج، وإن فعلها فلا حرج، ولهذا قال أنس: «كان النبي ﷺ يرانا نصلي فلم يأمرنا ولم ينهنا».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة، ومن ينتظر الإقامة، رقم(٥٨٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، رقم(١٣٨٤).

وأما العشاء فلها سنة قبلها وبعدها، لكن السنة قبلها ليست راتبة بل هي داخلة في عموم قول النبي ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**». أما بعدها فيسن بعدها ركعتان.

فتبيَّن بهذا أن الصلوات الخمس: الفجر لها سنة قبلها، وليس لها سنة بعدها، الظهر لها سنة قبلها وبعدها، العصر ليس لها سنة قبلها ولا بعدها - يعني راتبة - لكن لها سنة غير راتبة قبلها وأما بعدها فهو وقت نهي، المغرب لها سنة بعدها. أي: راتبة وقبلها غير راتبة، العشاء لها سنة بعدها يعني راتبة، وقبلها وليست براتبة، هذه هي السنن التابعة للمكتوبات.

ومن فوائدها: أنه إذا حصل نقص في الفرائض فإن هذه النوافل تكملها. والله أعلم.

* * *

٢٠٣- باب سنة الجمعة

فيه حديثُ ابنِ عمرَ السَّابق أنَّه صلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكعتين بَعد الجُمعة[١]. متفقٌ عليه.

١١٢٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا[٢]» رواه مسلم.

١١٢٧ - وَعَنْ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ لا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ في بَيْتِهِ[٣]، رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين، باب سنة الجمعة، الجمعة: صلاة مستقلة ليست هي الظهر؟ ولهذا لا تجمع العصر إليها، يعني إذا كنت مسافرًا، ومررت ببلد، وصليت معهم الجمعة فإنك لا تجمع العصر إليها، لأنها مستقلة، والسنة إنما جاءت بالجمع بين الظهر والعصر لا بين الجمعة والعصر. ولأنها أي: ـ الجمعة ـ تختلف عن سائر الصلوات بما يشرع قبلها وما يشرع بعدها وما يشرع في يومها ـ، فلا سنة قبلها ـ يعني ليس لها راتبة ـ إذا جاء الإنسان إلى المسجد يصلي ما شاء ـ إلى أن يحضر الإمام ـ من غير عدد معين، يصلي أحيانًا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة وقيامها، رقم(٨٨٥)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم (١٤٥٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم (١٤٦١).

ويقرأ أحيانًا حتى يأتي الإمام[١] سواء صلى ركعتين، أو صلى أربع ركعات، أو ست ركعات، أو ثماني ركعات، على حسب نشاطه، وأما بعدها فلها سنة راتبة، والسنة الراتبة التي بعدها: ركعتان في البيت لقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا صلى الجمعة لا يصلي بعدها شيئًا حتى ينصرف إلى بيته فيصلِّي ركعتين» وفي حديث أبي هريرة الذي ذكره المؤلف: أن النبي ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا**» فاختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل سنة الجمعة أربع ركعات يعني بسلامين أم ركعتان؟ فمنهم من قال: إنها أربع ركعات، لأن هذا هو الذي أمر به النبي ﷺ وأما الركعتان فهما فعله، وأمره مقدم على فعله فتكون أربع ركعات.

ومنهم من قال: هي ركعتان فقط؛ لأن هذا هو الذي ذكره ابن عمر رضي الله عنهما وأما الأربع فليست براتبة.

ومنهم من فصل فقال: إن صلى سنة الجمعة في المسجد صلّى أربعًا، وإن صلي في البيت صلى ركعتين. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ، ومنهم من قال: يجمع بين هذا وهذا: فيصلي أربعًا بأمر النبي ﷺ ويصلي ركعتين بفعله، فتكون السنة بعد الجمعة ست ركعات، والسنة في الجمعة في البيت أفضل، يعني على اختيار شيخ الإسلام ـ ولكن إن صليت في المسجد فإنك تزيدها أربع ركعات، والله أعلم. وهو الموفق.

---

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٢ / ٩٠)، وما بعدها.

٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها، والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

عَنْ زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «صَلُّوا أيها النَّاسُ في بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ المرءِ في بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ[(١)]» متفقٌ عليه.

١١٢٩ - وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجعلُوا مِنْ صَلاتِكُمْ في بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوها قُبُورًا[(٢)]» متفقٌ عليه.

١١٣٠ - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ في المسجد، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصيبًا مِنْ صَلاتِهِ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْرًا[(٣)]» رواه مسلم.

الشرح

لمّا ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - الرواتب التابعة للمكتوبات، بيّن في هذا الباب أن الأفضل للإنسان أن يصلي في بيته، وذكر في ذلك أحاديث منها:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة الليل، رقم(٦٨٩) ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٣٠١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، رقم(٤١٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٨).

أن النبي ﷺ قال: «**صلوا في بيوتكم، صلوا في بيوتكم**» فأمر أن يُصلّى في البيوت، فإن صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة، فدل ذلك على أن الإنسان ينبغي له أن تكون جميع نوافله في بيته سواء الرواتب أو صلاة الضحى أو التهجد أو غير ذلك، حتى في مكة والمدينة الأفضل أن تكون النوافل فبي البيت، أفضل من كونها في المسجد، في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، لأن النبي ﷺ قال هذا وهو في المدينة والصلاة في مسجده خيرٌ من ألف صلاة إلا في المسجد الحرام. وكثيرٌ من الناس الآن يفضل أن يصلي النافلة في المسجد الحرام دون البيت، وهذا نوع من الجهل، فمثلاً إذا كنت في مكة وأُذّن لصلاة الفجر وسألك سائل: هل الأفضل أن أصلِّي الراتبة في البيت أو أذهب إلى المسجد الحرام؟ قلنا: الأفضل في البيت، صلاة الضحى أفضل في المسجد الحرام أو في البيت؟ قلنا: في البيت، التهجد أفضل في المسجد الحرام أو في البيت؟ قلنا: في البيت، وهلمَّ جرًّا. إلا الفرائض فالفرائض لابد أن تكون في المساجد، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الأخير: «**فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا**» يعني أن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، جعل الله في صلاتك فيه خيرًا. من هذا الخير أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك وألفوا الصلاة وأحبوها، ولا سيما الصغار منهم، ومنها أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء، فإن الإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء. ومنها أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه راحة، راحة قلبية وطمأنينة وهذا لا شك

أنها تزيد في إيمان العبد، فالمهم أن الرسول ﷺ أمرنا أن نصلي في بيوتنا إلا الفرائض.

كذلك أيضًا يستثنى من ذلك من النوافل قيام رمضان فإن الأفضل في قيام رمضان أن يكون جماعة في المساجد مع أنه سنة وليس بواجب، لكن دلت السنة على أنَّ قيام رمضان في المسجد أفضل، فإن الرسول ﷺ صلى بأصحابه ثلاث ليالٍ أو ليلتين ثم تخلّف وقال: «**إني خشيت أن تُفرض عليكم**». والله الموفق.

* * *

١١٣١ - وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيرٍ أَرْسَلَهُ إلى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيءٍ رآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ في الصَّلاةِ فَقَالَ: نَعَمْ صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ في المقصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمامُ، قُمتُ في مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إليَّ فقال: لا تَعُدْ لِمَا فَعَلت. إذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ، فَلاَ تَصِلْها بِصَلاةٍ حتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، أَنْ لا نُوصِل صَلاةً بِصَلاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ[١]. رواه مسلم.

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره - رحمه الله - في استحباب الفصل بين الفرض والسنة حديث معاوية رضي الله عنه أنه رأى رجلاً صلى الجمعة ثم قام فصلى يعني سُنَّةً، فدعاه معاوية وأخبره أن النبي ﷺ أمر ألا تُوصل صلاةٌ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، رقم(١٤٦٣).

بصلاةٍ حتى نخرج أو نتكلم، فمثلاً إذا صليت الظهر، والظهر لها راتبة بعدها، وأردت أن تصلي الراتبة لا تصلِّ في مكانك، قم في محل آخر أو اخرج إلى بيتك وهو أفضل، أو على الأقل تكلّم، لأن النبي ﷺ نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يخرج الإنسان أو يتكلم، ولهذا قال العلماء: يُسنّ الفصل بين الفرض وسنته بكلام أو انتقال من موضعه.

والحكمة من ذلك ألا يُوصل الفرض بالنفل، فليكن النفل وحده، والفرض وحده حتى لا يختلط. هكذا قال أهل العلم رحمهم الله. والله الموفق.

* * *

٢٠٥ ـ باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

١١٣٢ ـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: الوِترُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاةِ المَكْتُوبَةِ، ولكن سَنَّ رسولُ الله ﷺ قالَ: «إنَّ الله وِترٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرآنِ[١]».

رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١١٣٣ ـ وَعَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قد أَوْتَرَ رسولُ الله ﷺ مِنْ أَوَّل اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إلى السَّحَرِ[٢]» متفقٌ عليه.

١١٣٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا[٣]». متفقٌ عليه.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان فضيلة الوتر والحث عليه ووقته وكذلك عدده:

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٤٣)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب استحباب الوتر، رقم(١٢٠٧)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، رقم(٤١٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ساعات الوتر، رقم(٩٤١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٣٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ليجعل آخر صلاته وتراء، رقم(٩٤٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٤٥).

واعلم أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله وتر يحب الوتر**»، «**إن الله وتر**» يعني: ليس معه إله ثان، وهو سبحانه وتعالى يحب الوتر، وقد ظهرت آثار هذه المحبة في مخلوقاته وشرائعه الشرائع التي شرعها سبحانه وتعالى نجد أن أكثرها وتر ينقطع بوتر، الصلوات الخمس عددها سبعة عشر ركعة، وهي وتر، صلاة الليل إحدى عشرة ركعة، وهي وتر، كذلك المخلوقات أعظم ما نعلم من المخلوقات العرش وهو واحد. ثم السموات وهي سبع، ثم الأرضون وهن سبع، فتجد أن الوترية ظهرت في مشروعات الله، وفي مخلوقات الله عزَّ وجلَّ، لأنه تبارك وتعالى وترٌ يحب الوتر.

واعلم أيضًا أن الوتر وتران: وتر فريضة، ووتر سنة:

أما وتر الفريضة: فهو صلاة المغرب كما ثبت في الحديث الصحيح أنها وتر النهار، يعني تختم بها صلاة النهار وهي وتر، وإن كانت في أول الليل.

وأما وتر النافلة: فهو الوتر الذي يختم به صلاة الليل، قال النبي ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**».

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في وتر صلاة الليل، فمنهم من قال: إنه واجب، وأن الذي يترك الوتر آثم، ولكنه ليس كالفريضة، فليس ركنًا من أركان الإسلام، لكنه واجب، يأثم الإنسان بتركه.

ومنهم من قال: إنه سنة لا يأثم الإنسان بتركه، ولكل منهم حجة، لكن حجة من يقول: إنه ليس بواجب أقوى، لأن رجلاً سأل النبي ﷺ عما يجب عليه من الصلوات، فَعَدَّ عليه الصلوات الخمس، فقال: هل عليّ

غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطوَّعَ».

وفصل بعض العلماء فقال: من كان له ورد من آخر الليل وجب عليه أن يوتر، ومن لم يكن كذلك، يعني: أنه يصلي العشاء ثم ينام ـ فهذا لا يلزمه الوتر، لقول النبي ﷺ: «**أوتروا، يا أهل القرآن**[١]» وهذا خاص بهم، أمر خاص بهم، لأن الأمر العام يشملهم وغيرهم، لكن هذا أمرٌ خاص.

وعلى كل حال فإن ترك الوتر أمر لا ينبغي، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ إمام أهل السنة، وقامع البدعة: «**من ترك الوتر، فهو رجل سوء، لا ينبغي أن تُقبل له شهادة**»، إلى هذا الحد وصفه بأنه رجل سوء، وأنه لا ينبغي أن تقبل له شهادة لأن أدنى الوتر ركعة، ركعة لا تشتد على أحد، ولا تكلف أحدًا، ولا تأخذ من وقتك وقتًا كثيرًا. فالذي يتركها مع تأكُّدها وفضلها وأمر النبي ﷺ بها، رجل سوء ما فيه خير! قال: ولا ينبغي أن تقبل له شهادة، فإذا جاء إلى القاضي وشهد، وقد علمنا أنه لا يوتر، رددنا شهادته، هذا قول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وهذا يدل على تأكد هذا الوتر، فلا ينبغي للإنسان أن يدعه.

أما وقته: فهو من صلاة العشاء وسنتها، إلى طلوع الفجر. من صلاة العشاء ولو جمعت جمع تقديم إلى المغرب. يعني: لو أن الإنسان كان مسافرًا، أو كان مطرٌ، أو ما أشبه ذلك، وجمعت صلاة العشاء إلى المغرب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أركان الإسلام، رقم(١٢).

تقديمًا، فإن الوتر يدخل وقته، يصلي العشاء، ثم راتبة العشاء، ثم الوتر، سواء في أول الليل، أو وسطه، أو آخره، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**من كل الليل أوتر النبي ﷺ من أول الليل ووسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر، هذا وقته**». أما عدده: فسيأتي - إن شاء الله - والله الموفق.

ولنعلم أن الذي يسرع في الصلاة إسراعًا مخلاً بالطمأنينة، ليس له صلاة سواء الفريضة والنافلة، لأن رجلاً جاء إلى المسجد وصلى بغير طمأنينة، فقال له النبي ﷺ: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصل**[1]» ثلاث مرات، فلابد من الطمأنينة. وعجبًا لبني آدم، وعجلة بني آدم، وجهل بني آدم، وظلم بني آدم، كيف يسرع هذه السرعة وهو يخاطب الله ويناجيه؟!

لو أن إنسانًا وقف مع صديق له يحادثه لبقي الساعة والساعتين، وهو واقف لا يملّ، فكيف وهو بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - يناجيه ويخاطبه: يا رب اغفر لي، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم، يناجيه بكلامه، كيف يسرع هذه السرعة، هل وراءه جيش؟! أبدًا، لكن الشيطان عدو لنا، والله لا يحب منا إلا ما يسوؤنا، يُحبّ أن يصدنا عن ذكر الله وعن الصلاة، يقول لنا: عَجِّل عَجِّل! كأننا على جمر. وأقول: يا أخي جرب، اطمئن في الصلاة، واستحضر وكأنك تخاطب الله، وتناجيه، حتى تذوق طعمها، وحتى تكون قرة عينك كما كانت قرة عين الرسول ﷺ، أما أن نسرقها

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، رقم(٧١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٦٠٢).

سرقًا، هذه سرقة من الشيطان. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اللهم أعذنا جميعًا من الشيطان الرجيم.

* * *

١١٣٥ ـ وعن أَبي سَعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا[١]» رواه مسلم.

١١٣٦ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يُصَلِّي صَلاتَهُ بِاللَّيْلِ، وَهِيَ مُعتَرِضَةٌ، بينَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقيَ الوِتْرُ، أَيقَظَهَا فَأَوْترت[٢]. رواه مسلم.

وفي رواية له: فإذا بقي الوتر قال: «قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ[٣]».

١١٣٧ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال: «بَادِرُوا الصُّبْحَ بالوِتْرِ[٤]».

رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١٣٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَليوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فإنَّ

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٥٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة، رقم(١٢٢٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٢٨).

(٤) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعتة، رقم(١٢٤٣).

صَلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذلِكَ أفضلُ[1]» رواه مسلم.

الشـــرح

هذه الأحاديث في بقية ما يتعلق بالوتر ذكرها المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصالحين، منها:

أن النبي ﷺ قال: «**أوتروا قبل أن تصبحوا**»، لأن الوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر، فلا وتر، حتى ولو بين أذان الفجر والإقامة، لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر، فإنه يصلي في النهار شفعًا، إن كان يوتر بثلاث، صلى أربعًا، إن كان يوتر بخمس، صلى ستًا، إن كان يوتر بسبع، صلى ثمانية، لقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا غلبه نوم، أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

واعلم أن الوتر له صفات:

الصفة الأولى: أن يوتر بواحدة فقط، وهذا جائز، ولا يُكره الوتر بها.

الثانية: أن يوتر بثلاث، وله الخيار إن شاء سلّم من الركعتين، ثم أتى بالثالثة، وإن شاء سردهما سردًا، بتشهد واحد.

الثالثة: أن يوتر بخمس، فيسردها سردًا، لا يتشهد إلا في آخرها.

الرابعة: أن يوتر بسبع، فيسردها سردًا لا يتشهد إلا في آخرها.

الخامسة: أن يوتر بتسع، فيسردها سردًا لكن يتشهد بعد الثامنة، ولا

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر، رقم(١٢٥٥).

يسلم، ثم يصلي التاسعة، ويسلم.

السادسة: أن يُوتر بإحدى عشرة فيُسلّم من كل ركعتين ويوتر بواحدة.

هذه صفة الوتر، وقد سبق أنه سنة مؤكدة، وأن من العلماء من أوجبه، فلا تُضيّع الوتر. ثم إن كُنتَ ترجو أن تستيقظ من آخر الليل، فاجعل الوتر في آخر الليل، وإن كنت تخاف ألا تقوم، فاجعل الوتر من أول الليل، لا تنم إلا مُوترًا. ولهذا أوصى النبي ﷺ أبا هُريرة أن يُوتر قبل أن ينام، لأن أبا هريرة كان يقرأ أحاديث الرسول ﷺ في أول الليل، وينام في آخره، فأمره النبي ﷺ أن يُوتر قبل أن ينام.

واعلم أن الوتر سنة في الحضر والسفر، حتى في السفر لا تتركه، ومن ذلك ليلة المزدلفة فإن الإنسان إذا صلى العشاء، فإنه يُصلي المغرب والعشاء جمعًا ثم يوتر، وإن كان جابر رضي الله عنه لم يذكره في حديثه، لكن الأصل بقاء ما كان على ما كان، وأن الرسول ﷺ لا يدع الوتر حضرًا ولا سفرًا، والله الموفق.

* * *

٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى
وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها

١١٣٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ، وَرَكْعَتي الضُّحى، وَأَنْ أُوْتِرَ قَبلَ أَنْ أَرْقُدَ[(١)]» متفقٌ عليه.

وَالإِيثَارُ قَبلَ النَّومِ، إِنَّمَا يُستَحبُّ لِمَنْ لا يَثِقُ بِالاستِيقَاظِ آخِرَ اللَّيل، فإنْ وَثقَ، فآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

١١٤٠ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «يُصْبِح عَلَى كُلِّ سُلامى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تسبيحةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تحميدةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهليلةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبيرة صَدَقَةٌ، وَأَمَرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَن المُنكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىء مِنْ ذلك رَكْعَتَانِ يَركَعُهُما مِنَ الضُّحَى[(٢)]» رواه مسلم.

١١٤١ - وَعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ[(٣)]. رواه مسلم.

١١٤٢ - وعنْ أُمِّ هانىء فاختةَ بنت أبي طالبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: ذَهَبْتُ إلى رسولِ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام أيام البيض، رقم(١٨٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٨٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٨١).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النبي ﷺ وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٧٦).

رَكعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحَى[١]» متفقٌ عليه. وهذا مختصر لفظ إحدى روايات مسلم.

الشرح

(باب فضل صلاة الضحى، وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها).

صلاة الضحى هي: ركعتان، أو أكثر، تُفعلان من ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى قبيل الزوال. وارتفاع الشمس قدر رمح يكون بمقدار ربع ساعة، أو نحوها بعد طلوع الشمس، فمن ثم يدخل وقت صلاة الضحى، إلى أن يبقى على الزوال عشر دقائق، أو قريب منها.

كل هذا وقت لها، لكن فعلها في آخر الوقت أفضل، لقول النبي ﷺ: «**صلاة الأوابين حين ترمض الفصال**[٢]». والفصال: أولاد النوق، وترمض يعني تشتد عليها الرمضاء، وهذا في آخر الوقت.

وهذه من الصلوات التي يُسنّ تأخيرها، ونظيرها في الفرائض صلاة العشاء، فإن صلاة العشاء الأفضل أن تؤخر في آخر وقتها إلا إذا شق على الناس.

وصلاة الضحى مما عهد به النبي ﷺ إلى بعض أصحابه، عهد بها إلى أبي هريرة، وأبي الدرداء، وأبي ذر، قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، رقم(٢٩٣٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، رقم(١١٧٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض العضال، رقم(١٢٣٧).

عنه حين أوصاه، قال: «أوصاني بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر»، ولم يعين وقتها من الشهر، ولهذا قالت عائشة: «كان النبي ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، لا يُبالي أصامها من أول الشهر، أو وسطه أو آخره[(١)]».

ولا فرق بين أن تكون متوالية، يعني: متتابعة، أو متفرقة، كلها يحصل بها الأجر، لكن أفضل هذه الأيام الثلاثة، أيام البيض، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وأوصاه ﷺ بركعتي الضحى، ركعتان يركعهما ما بين ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى قبيل الزوال.

والثالث: «أن أوتر قبل أن أنام» وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ، فلا ينام إلا متأخرًا، ويخشى ألا يقوم من آخر الليل، فلهذا أوصاه أَنْ يُوتر قبل أن ينام. الشاهد من هذا قوله: «وركعتي الضحى».

ثم يذكر حديث أبي ذر: أنه يُصبح على كل سلامى من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس.

«السلامى» هي: الأعضاء، أو العظام، والمفاصل، وقد ذكر العلماء السابقون ـ رحمهم الله ـ: أن في كل إنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً، كل مفصل يطالبك كل يوم بصدقة؛ لأن الذي أحياه عزَّ وجلَّ وأمده، وعافاه له

---

(١) رواه أحمد (٢/١٢٩)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(٦٩٤)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٦٩٩).

عليك مِنَّة وفضل، فكلَّ يوم كلُّ عضو يطالبك بصدقة، لكنها ليست صدقة مال، بل هي كل ما يقرب إلى الله من قول، أو عمل، أو بذل مال، أو غير ذلك.. فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، فكل ما يُقرّب إلى الله فهو صدقة، ومثل هذا يسير على المرء أن يؤدي ثلاثمائة وستين صدقة في كل يوم.

قال: «ويجزىء من ذلك»، يعني: بدلاً عن ذلك، يجزىء ركعتان يركعهما في الضحى. الحمد لله هذه نعمة كبيرة بدلاً من أن تطالب عن كل عضو من أعضائك بصدقة، يكفيك أن تصلي ركعتين من الضحى.

وهذا يدل على أنه ينبغي على الإنسان أن يواظب عليهما، أي: على ركعتي الضحى، حضرًا، وسفرًا، ولكن هل لها عدد معين؟

نقول: أَمّا أقلها فركعتان، وأما أكثرها فما شاء الله، لو تبقى تصلي كل الضحى، فأنت على خير، ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يصلي من الضحى أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله»، ولم تُحدّد، وأما قول من قال: إن أكثرها ثمان، ففيه نظر، لأن حديث أم هانىء في فتح مكة: أن الرسول ﷺ صلى ثمان ركعات، لا يدل على أن هذا هو أعلاه، فإن هذا وقع اتفاقًا، وما يقع اتفاقًا ليس فيه دليلٌ على الحصر.

وعلى هذا فنقول: أقلها ركعتان، ولا حد لأكثرها، صلِّ ما شئت، لكن كان النبي ﷺ يصلي أربعًا، وربما صَلّى ثمانية، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت، إن أمضى

ساعة من دهره لا يتقرب بها إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، كلُّ ساعة تمضي عليك وأنت لا تتقرب إلى الله بها، فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها. فانتهز الفرصة بالصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، والتعلق بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، اجعل قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، ربك في السماء وأنت في الأرض، لا تغفل عن ذكر الله بلسانك وفي أفعالك وبجنانك بالقلب، فإن الدنيا ذاهبة لم تبق لأحد.

انظر من سَلَفك من الأمم السابقة والماضية البعيدة المدى، وانظر من سلفك من أصحابك، بالأمس كانوا معك يتمتعون، ويأكلون كما تأكل، ويشربون كما تشرب، والآن هم بأعمالهم مرتهنون، وأنت سيجري عليك هذا، طالت الدنيا أم قصرت، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الإنشقاق: ٦]. فانتهز الفرصة يا أخي، انتهز فرصة العمر، لا ينفعك يوم القيامة لا مال ولا بنون ولا أهل، لا ينفعك إلا أن تأتي الله بقلب سليم.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يأتي ربه بقلب سليم، وأن يتوفانا على الإيمان والتوحيد، إنه على كل شيء قدير.

* * *

٢٠٨- باب الحث على صلاة تحية المسجد وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها

١١٤٤ - عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتِيْنِ[1]» متفقٌ عليه.

١١٤٥ - وعن جابر رضي الله عنه قالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهُوَ في المَسْجِدِ فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ[2]» متفقٌ عليه.

* * *

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم(١٠٩٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، رقم(١١٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إذا قدم من سفر، رقم(٤٢٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، رقم(١١٦٨).

٢٠٩ـ باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

١١٤٦ ـ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لبلال: «يا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ»، قالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لم أَتَطَهَّرْ طُهُورًا في سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ[١]. متفقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

«الدَّفُّ» بالفاء: صَوْتُ النَّعْل وَحركته على الأرض، والله أعلم.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بابين :

الباب الأول: في تحية المسجد وأنها سنة مؤكدة، إذا دخل المسجد في أي وقت كان، وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتين، وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان تحية المسجد، أو سنة راتبة، أو فريضة، أو صلاة استخارة، أو غير ذلك، المهم ألا يجلس حتى يصلي ركعتين.

سنتكلم أولاً عن سنة دخول المسجد، وهي مؤكدة جدًّا، حتى إن بعض العلماء قال: إنها واجبة. ويدل على تأكدها جدًّا أن رجلاً دخل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: «أصلّيت؟» قال: لا، قال: «قم فصل ركعتين، وتجوز فيهما[٢]» يعني: خففهما، لأجل أن يستمع

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة، رقم(١٠٨١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل بلال رضي الله عنه، رقم(٤٤٩٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره، =

لخطبة. وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يُصلي حال الخطبة، مع أن استماع الخطبة واجب، كان ذلك إيذانًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلت على عدم الوجوب، لقلنا إنها واجبة، لكنها سنة مؤكدة في أي وقت، إن دخلت بعد صلاة الفجر صَلِّ ركعتين، بعد صلاة العصر صَلِّ ركعتين، عند غروبِ الشمس صلِّ ركعتين، عند طلوع الشمس صلِّ ركعتين، لا تجلس، دخلتَ والإمام يخطب صلِّ ركعتين، دخلت والناس في درسٍ لتستمع الدرس صلِّ ركعتين في أي حال، وفي أي وقت، لابد أن تُصلّيَ ركعتين، لكن يُستثنى من ذلك أمران:

أولاً: إذا دخل الخطيب فإنه لا يُسنّ له أن يُصلّي ركعتين، بل يعمد إلى المنبر، ويُسلّم على الناس، ويخطب.

الثاني: إذا دخل المسجد الحرام للطواف، فإنه يجزئه الطواف عن صلاة الركعتين، وأما من دخل المسجد الحرام للصلاة فإنه كغيره من المساجد يصلي تحية المسجد.

وما اشتهر بين العامة من أن تحية المسجد الحرام الطواف، هذا لا أصل له، بل يُقال: من دخل المسجد الحرام ليطوف أجزأه الطواف عن تحية المسجد، ومن دخل لاستماع درس أو لانتظار فريضة أو ما أشبه ذلك، فهو كغيره من المساجد لا يجلس حتى يُصلّي ركعتين. وينبغي إذا دخل المسجد، والإمام يخطب يوم الجمعة أن يصلي ركعتين خفيفتين،

= رقم(٨٧٨)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، رقم(١٤٤٥).

وإذا دخله والمؤذن يؤذن، فإن كان في غير جمعة، فإنه ينتظر قائمًا حتى يتابع المؤذن، ويدعو بالدعاء الذي بعد الأذان، ثم يُصلّي ركعتين، وإن كان في يوم الجمعة، والأذان هو الثاني، فإنه يُصلّي تحية المسجد، حتى يتفرغ لاستماع الخطبة، هكذا قال أهل العلم ـ رحمهم الله ـ.

أما الباب الثاني: فهو عن سنة الوضوء، وأنه ينبغي للإنسان إذا توضأ أن يُصلّي ركعتين في أي وقت كان، حتى لو بعد العصر، بعد الفجر، في أي وقت ينبغي لك إذا توضّأتْ أن تُصلّي ركعتين؛ لأن بلال بن رباح رضي الله عنه سأله النبي ﷺ عن أرجى عمل عمله في الإسلام، فقال: «إنّي ما توضّأت من ليل أو نهار إلا صليت ركعتين»، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وينبغي في هاتين الركعتين أن تحرص غاية الحرص على ألا توسوس فيهما، يعني لا تحدث نفسك بأمور خارج الصلاة، بل اجعل قلبك وقالبك «من أَحْسَنَ الوضوءَ ثم صلى ركعتين لا يُحدّث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه[١]». ويُصلّي ركعتين سواء في بيته إن توضأ في بيته، أو في المسجد إن توضأ في حمام المسجد أو في أي مكان. والله الموفق.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، رقم(١٥٥)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، رقم(٣٣١).

٢١٠ـ باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها
والتطيب والتبكير إليها
والدعاء يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ فيه
وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد الجمعة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل الجمعة.

وذكر أشياء من خصائص يوم الجمعة، ويوم الجمعة هو اليوم الذي بين الخميس والسبت، وهو اليوم الذي خُصّت به هذه الأمة، وأضلّ الله عنه اليهود والنصارى، اليهود كان لهم السبت، والنصارى كان لهم الأحد، فكانوا تبعًا لنا مع أنهم قبلنا في الزمن، وهذا من فضائل هذه الأمة ولله الحمد، وهذا اليوم هو يوم الخصائص، ويوم السبت والأحد ليس فيهما خصائص، لكن ضل اليهود والنصارى عن يوم الجمعة، فصار لنا ولله الحمد والمنة.

ويوم الجمعة له خصائص متعددة، ومِن أحسن مَنْ ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (زاد المعاد)، فليرجع إليه فإنه واف كاف.

ثم صَدّر المؤلف ـ رحمه الله ـ هذا الباب بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وكان هذا آخر آية سبقت وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١٠]. فخاطب الله المؤمنين أن يتركوا البيع إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة، والمراد به النداء الثاني الذي يكون إذا حضر الإمام، أما النداء الأول فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كَثُر الناس في المدينة أمر أن يُؤذَّن أذانٌ سابق ليستعد الناس للحضور، فكان هذا من سنة الخليفة الراشد عثمان الذي أُمِرْنا باتباع سنته، كما قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**[1]»، ولقد ضلّ من قال: إنه بدعة؟! وسفّه الصحابةَ رضي الله عنهم وسفّه الخليفة الراشد، ونحن نقول له: أنت المبتدع في هذا القول الذي ادّعيت أن هذا بدعة، وكيف يكون بدعةً، وقد سماه الرسول ﷺ سنة؟!، «**سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**». لكن هؤلاء سفهاء الأحلام، وإن كانوا كبار السن، كيف تضلل الصحابةَ رضي الله عنهم بقائدهم عثمان بن عفان، وتدّعي أنك أنت صاحب السنة؟!. بل أنت صاحب البدعة في هذا القول.

يقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

---

(١) رواه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(٢٦٠٠)، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم(٤٢).

ٱللَّهِ﴾. والمراد بذكر الله: الخطبة والصلاة، أما الخطبة فيُذكر الله فيها بالتشهد وذكر الأحكام والموعظة وغير ذلك، وأما ذكر الله في الصلاة فهذا ظاهر. ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ اتركوا البيع، ولهذا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة حرُم البيع إلا على من لا تجب عليه كالنساء مثلاً، وأما من تجب عليه الجمعة فإنه يحرم عليه البيع، ولو باع لم يصحّ، حتى لو كان في طريقه إلى المسجد، وسمع أذان الجمعة ومعه زميل له فتبايعا فإن البيع باطل لا ينتقل به المبيع إلى المشتري، ولا الثمن إلى البائع، لأنه باطل وكل شيء نَهَى الله عنه فهو باطل لقول النبي ﷺ: «**كُلّ شرطٍ ليس في كتاب الله فهو باطل**[١]».

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾. يشمل، المسافر الذي في البلد إذا سمع أذان الجمعة يجب أن يحضر الجمعة؛ لأنه مؤمن، فمن الذي أخرجه، فإذا قال أنا مسافر قلنا: ألست مؤمنًا، فيقول: بلى، قلنا اسمع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾. يعني خير لكم من البيع؛ لأن فيه إقامة شعيرة من شعائر الإسلام، وقيام بواجب، فهو خير من البيع ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾. يعني إن كنتم من ذوي العلم فاعلموا أنه خير، والمراد بهذه الجملة الشرطية: الحث على ترك البيع والتوجه إلى الجمعة.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢١٣)، وابن ماجه: كتاب الأحكام، باب المكاتب، رقم(٢٥١٢).

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني لكم الرخصة : انتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله بالبيع والشراء ، لكن لا يلهكم ذلك عن ذكر الله .

ولهذا قال : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . يعني : لا تظنوا أنكم إذا فرغتم من ذكر الله في الخطبة والصلاة أنكم انتهيتم من ذكر الله ، لا ، ذكر الله في كل حال ، وفي كل وقت وفي كل مكان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. مَنْ ذووا الألباب؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالحاصل أنه إذا قضيت الصلاة فلا جلوس بعدها ملزم، بل اخرج، واطلب الرزق، وابتغ من فضل الله ، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا قدّم الصلاة على البيع والشراء، ثم اشترى وباع بعد ذلك فإنه يرزق، لأنه قال : ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]. وفي هذا إشارة إلى أنه لا خطبة بعد صلاة الجمعة ، لأن الله قال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . فليس بعدها خطبة ولا كلام ولا موعظة، تكفي المواعظ التي في الخطبة التي قبل الصلاة ، والتي كانت مشروعة في هدي النبي ﷺ، ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: إذا تكلم أحد بعد الصلاة فلا تستمع له، إلا أن يكون كتابًا من السلطان، لأن الكتابات الموجهة من السلطان لابد أن تستمعها الرعية؛ لأن السلطان له حق على

الرعية يوجهها ويدلها على الخير، أما غير ذلك من النصائح فإن في الخطبتين كفاية، وخير الهدي هدي من؟ محمد ﷺ ولم يكن يخطب بعد الصلاة، ولم يُرَو عنه ذلك في حديث صحيح ولا ضعيف.

يوجد بعض الناس يتخذها سنة راتبة، كلما انتهت صلاة الجمعة قام يتكلم، فتكون الجمعة فيها كم خطبة؟ ثلاث خطب، من أين هذا؟! أما لو طرأ أمر لابد منه، أو جاء كتاب من السلطان، أو من نائب السلطان، من أحد الوزراء أو غيرهم ممن لنا أن نتكلم، فهذا نعم! يقرأ على الناس ويُسمع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. لعل هنا للتعليل، وليست للترجي، وكل ما جاءتك «لعل» في كتاب الله فهي للتعليل؛ لأن الرجاء إنما يكون من شأن مَنْ يتعسّر عليه الأمر، وأما الرب عزَّ وجلَّ فكل شيء يسير عليه، فإذا وجدت «لعل» في القرآن فهي للتعليل، مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وما أشبه ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. يعني: لأجل أن تتقوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. يعني لأجل أن تفلحوا، رزقنا الله وإياكم الفلاح والصلاح، والإصلاح والهداية، نسأل الله أن يهدينا، وأن يهدي لنا وأن يهدي بنا، إنه على كل شيء قدير.

تنبيه: وأنبه على أن تحريم البيع بعد نداء الجمعة الثاني عام حتى أعواد الأراك التي تعرض للبيع - أحيانًا - حول المساجد، فلا يجوز بيعها

ولا شراؤها والله أعلم.

* * *

١١٤٧ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجمعةِ: فيهِ خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِل الجَنَّةَ، وَفِيه أُخْرِجَ مِنْهَا[١]» رواه مسلم.

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل الجمعة، وما يتعلّق بها، فيما نقله عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة**»، والمراد بذلك خير يوم من أيام الأسبوع، وإنما قلنا هذا لئلا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة**[٢]» فإن يوم عرفة أفضل باعتبار العام، وهذا أفضل باعتبار الأسبوع، فيه خلق آدم، وآدم هو أبو البشر، خلقه الله عزَّ وجلَّ بيده، خلقه من تراب ثم قال له: كُنْ فيكون، خلقه يوم الجمعة وفيه أدخل الجنة، وهي جنة المأوى التي يأوي إليها البشر، أدخله الله الجنة هو وزوجه وقال: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]. فأذن الله لهما أن يأكلا من جميع أشجار الجنة مما شاءا ونهاهما عن شجرة معينة اختبارًا وابتلاء

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم(١٤١٠).

(٢) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج، رقم(٣٢٦٢).

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ٢٠]. ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وأقسم لهما أن يأكلا من هذه الشجرة، وأنه بذلك يحصل لهم الخلد والملك الذي لا يبلى، وما زال بهما حتى أكلا من الشجرة، وكان الله تعالى قد وضع على عورتيهما هيبة فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما، وصار كل إنسان ينظر إلى عورته، آدم ينظر إلى عورة حواء، وحواء تنظر إلى عورته، انكشفا لأنهما هتكا حرمة الله عزَّ وجلَّ بأكلهما من الشجرة، وقال الله تعالى عن ذلك: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١].

لما أكلا منها أمرهما الله عزَّ وجلَّ أن يهبطا إلى الأرض، أخرجهما من الجنة فهبطا إلى الأرض، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه لولا ذلك ما وجدت هذه البشرية، وهذه الخليقة وحصل هذا الامتحان، ولكن الله تعالى بحكمته قدر لكل شيء سببًا، فانظر كيف نزل من الجنة العالية إلى الأرض الهابطة بمعصية واحدة.

فما بالك بنا نحن؟ معاصٍ كثيرة، الليل والنهار، نسأل الله أن يعاملنا وإياكم بعفوه، ومع ذلك نُؤمِّل أملاً ما هو إلا تخييل في الواقع وأوهام، نؤمل أننا في الدرجات العليا مع أننا هابطون بكثرة المعاصي والتهاون بالواجبات وما في القلوب من الحقد والبغضاء والكراهية، فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم، وأن يصحح قلوبنا وقلوبكم.

وهذه الجنة التي أهبط منها آدم، اختلف فيها هل هي جنة المأوى أو أنها جنة بستان عظيم على ربوة طيبة الهواء كثيرة الماء؟ والصواب أنها جنة الخلد، وفي هذا يقول ابن القيم:

فحـــي علـــى جنـــات عـــدن فـــإنهـــا
منـــازلـــك الأولـــى وفيهـــا المخيـــم

والله على كل شيء قدير.

فهذا فضل يوم الجمعة أنه فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها؛ وكلاهما حكمة، خلق آدم حكمة، وإدخاله الجنة حكمة، وإنزاله إلى الأرض بسبب المعصية حكمة، ولكن اعلموا أن آدم تاب إلى الله هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. فكان بعد التوبة خيرًا منه قبل التوبة، والله الموفق.

* * *

١١٤٨ ـ وعنهُ قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوضوءَ ثمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فاسْتَمَع وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لهُ ما بَيْنَه وبينَ الجُمُعَةِ وزِيادَة ثَلاثَة أَيَّام، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا[١]» رواه مسلم.

١١٤٩ ـ وعنه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «الصَّلواتُ الخَمْسُ وَالجُمُعة إلى الجُمُعَةِ، وَرَمضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ[٢]» رواه مسلم.

١١٥٠ ـ وَعَنْهُ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، رقم(١٤١٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم(٣٤٤).

عَلَى أعْوَادِ مِنْبرِهِ: «لَيَنْتَهينَّ أَقْوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ ليَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ[(١)]» رواه مسلم.

١١٥١ ـ وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجمُعَةَ، فَلَيَغْتَسِلْ[(٢)]» متفقٌ عليه.

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ على كلِّ مُحْتَلِمٍ[(٣)]» متفقٌ عليه.

المراد بالمُحتلم: البالغُ. والمُراد بِالوُجُوبِ: وُجُوب اختيار، كقول الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: حَقُّكَ وَاجِبٌ عليَّ. والله أعلم.

١١٥٣ ـ وَعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ، وَإِن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ[(٤)]» رواه أبوداود، والترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم(١٤٣٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، رقم(٨٢٨)، ومسلم: كتاب الجمعة، رقم(١٣٩٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، رقم(٨٣٠)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، رقم(١٣٩٧).

(٤) رواه أحمد (١٦/٥)، وأبوداود: كتاب الطهارة، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، رقم(٣٠٠)، والترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة، والنسائي: كتاب الجمعة، باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، رقم(١٣٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، رقم(١٠٨١).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان ما يتعلق بصلاة الجمعة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين .

منها : أن الإنسان إذا توضّأ في بيته ثم أتى المسجد وأنصت حتى يفرغ الإمام من تمام الخطبة فإنه يغفر له ما بين الجمعتين ، ومن مسَّ الحصى فقد لغا ، واللغو معناه : أن يُحرَم من فضل يوم الجمعة ، وتكون الجمعة في حقه باعتبار الثواب كأنها صلاة ظهر لا كأنها صلاة جمعة ، والحصى هو أن مسجد الرسول ﷺ كان مفروشًا بالحصى يعني بالحجارة الصغيرة ، لأنه ليس هناك فرش ولا رمال ، وإنما يفرش فيها الحصى كالجمارة التي يُرمى بها الجمرات ، فمن مسه يعني : عبث فيه بلمس أو شبهه فقد لغا ، ووجه ذلك أنه إذا فعل هذا اشتغل عن سماع الخطبة ، وسماع الخطبة واجب ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «الذي يتكلم والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أسفارًا[١] » ، يعني مثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها ، والذي يقول له : أنصت ، ليست له جمعة ويُحرم أجرها .

وفي هذا الحديث الذي رواه مسلم ، يقول : «من توضّأ يوم الجمعة» ، لكن في حديث أبي سعيد الخدري : «غسل الجمعة واجبٌ على كل محتلم» ، والأخذ بحديث أبي سعيد أولى من عدة وجوه .

الوجه الأول : أن حديث أبي سعيد فيه زيادة وهو الوجوب ، وجوب

---

(١) أمثال الحديث (١/ ٨٩) .

الاغتسال، وحديث أبي هريرة فيه التوضؤ، والأخذ بالزيادة واجب.

ثانيًا: أن حديث أبي سعيد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي وأبوداود وابن ماجة، اتفق عليه السبعة، وحديث أبي هُرَيرة انفرد به مسلم، ومعلوم أن ما اتفق عليه السبعة أولى بالأخذ مما انفرد به مسلم.

ومنها: أن في حديث أبي سعيد علّق النبي ﷺ الوجوب بوصف يقتضي التكليف، وهو قوله: «على كل محتلم»، والمحتلم هو البالغ، والبلوغ مَناط التكليف، ولهذا نقول: القول الراجح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة، أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان شتاءً، وصيفًا، سواء أكان به وسخ أم لم يكن به وسخ؛ لأن كلام النبي ﷺ في ذلك واضح ولأن هذا هو الذي يظهر من فهم الصحابة رضي الله عنهم فإن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه دخل، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يخطب، فأنكر عليه، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت أن توضأتُ، ثم أتيتُ، فقال: والوضوء أيضًا، وقد قال النبي ﷺ: «إذا أتى أحدكم الجمعة فليغتسل» يعني: كيف تقتصرُ على الوضوء، فأنكر عليه في مشهد من الصحابة.

الحاصل أن القول الراجح وجوب غسل الجمعة، لكن لو لم يغتسل، فهل تبطل الجمعة؟ لا، لا تبطل، لأن هذا ليس غسل الحدث، حتى نقول: إنه صلى بغير طهارة، بل هو غسل واجب عن غير حدث، ولهذا لا يغني عن غسل الجنابة، لو أن الإنسان اغتسل للجمعة وهو عليه غسل جنابة وما نوى غسل الجنابة لم يجزئه، لأن غسل الجمعة ليس عن حدث بخلاف غسل الجنابة. والله الموفق.

١١٥٤ ـ وَعَنْ سَلمَانَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْر، وَيَدَّهنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَو يَمسُّ من طيب بَيتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنينِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعة الأُخْرَى[(١)]» رواه البخاري.

١١٥٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُولى فَكأَنَّمَا قرَّبَ بَدنَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعةِ الثَّالِثَةِ، فَكأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ راحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فكأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإذَا خَرَجَ الإمامُ، حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكَر[(٢)]» متفقٌ عليه.

قوله: «غُسْلَ الجَنَابَةِ» أي: غُسلاً كَغُسلِ الجَنَابَةِ في الصِّفَةِ.

الشـــرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بيوم الجمعة وفي صلاتها، فالحديث الأول حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر أشياء إذا فعلها الإنسان فإنه يُغفر له ما بين الجمعة والجمعة.

منها الاغتسال، أن يغتسل كما يغتسل للجنابة، كما في حديث أبي هريرة التالي، وهذا الاغتسال سبق أن القول الراجح وجوبه، وأنه يجب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة، رقم(٨٣٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، رقم(٨٣٢)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، رقم(١٤٠٣).

على الإنسان أن يغتسل ليوم الجمعة إذا كان يُصلّي الجمعة، أما النساء فلا يجب عليهن، ولكن هذا الوجوب ليس عن حدث، فلو تركه الإنسان وصلى الجمعة أَثِم وصحّت جُمُعته، لأنه ليس عن حدث.

ومنها **أن يدّهن بالطيب**: يعني: يتطيب بدُهن عود أو ورد، أو ريحان أو غير ذلك، المهم أن يتطيب، ويختار أطيب ما يجد.

ومنها **أن لا يفرق بين اثنين**: لأنه إذا فرّق بين اثنين آذاهما، وهذا يدل على أن المراد إذا وجد الصف مُشتبكًا فلا يفرّقه، أما لو وجد فرجة فله أن يدخل فيها؛ لأن الاثنين هما اللذان افترقا.

ومنها **أن يصلي ما كتب له**: ولم يُحدّد النبي ﷺ صلاة، فدل هذا على أن الجمعة ليس لها راتبة قبلها، بل يصلي الإنسان ما شاء، قليلاً كان أو كثيرًا إلى أن يحضر الإمام.

ومنها **أن ينصت**: يعني ينصت للخطبة (فلا يتكلم إلى أن يفرغ الخطيب من الخطبة.

فإذا فعل هذه الأشياء الخمسة فإنه يغفر له ما بين الجمعتين، وهذا فضل عظيمٌ من الله عزَّ وجلَّ.

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «**من اغتسل غسل الجنابة**» يعني: يوم الجمعة، كغسل الجنابة وهو معروف، (ثم راح) يعني في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، يعني: كأنما ذبح بدنة ووزعها على الفقراء، ومن راح في الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الثالثة فكأنما قرّب كبشًا أقرن، وخصّ الكبش بالأقرن لأنه أقوى وأكبر حجمًا،

ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا حضر الإمام طُويت الصحف ولم يُكتب للحاضر شيء من الأجر إلا أجر الصلاة العادية، فإذا دخل الإنسان بعد أن دخل الإمام فإنه لا يُكتب له أجر التقدّم، ولكن يُكتب له أجر الخطا من بيته إلى المسجد.

ففي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان يوم الجمعة أن يُبكّر، وأكثر الناس اليوم، ولله الحمد قد مَنَّ الله عليهم بالصحة والفراغ، لكن يُكسّلهم الشيطان ويُخذّلهم ويُثبّطهم عن الخير، حتى إن الإنسان ليذهب إلى السوق ليس له شغل ولكن ليقطع الوقت، إلى أن يحضر الإمام فيحرم من هذا الخير.

هذه الساعات تختلف في طولها وقصرها بحسب اختلاف الأيام، ففي أيام الصيف يطول النهار فتطول الساعات، وفي أيام الشتاء يقصر النهار فتقصر الساعات، والمهم أن تُقَسّم ما بين طلوع الشمس إلى حضور الإمام إلى خمسة أقسام، قد تكون ساعة عُرفية كالساعات التي معنا، وقد تكون أطول أو أقصر، فالساعة الأولى هي الخُمس الأول، والثانية هي الخُمس الثاني، وهلمَّ جرا. والله الموفق.

* * *

١١٥٦ ـ وعنه رضي الله عنه أنَّ رَسُول الله ﷺ ذكرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فيه سَاعَةٌ لا يُوَافِقها عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قائمٌ يصلي يَسأَلُ الله شيئًا، إلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاه»

وأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[١]. متفقٌ عليه.

١١٥٧ ـ وَعَنْ أبي بُرِدَةَ بنِ أبي مُوسَى الأشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في شَأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قلتُ: نعمْ، سَمِعْتُهُ يَقُول: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «هي مَا بَيْنَ أنْ يَجلِسَ الإمامُ إلى أن تُقضَى الصَّلاةُ[٢]» رواه مسلم.

١١٥٨ ـ وَعَنْ أَوس بنِ أوس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَفضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأكثِروا عليَّ مِنَ الصَّلاةِ فيهِ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ[٣]» رواه أبوداود بإسناد صحيح.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بالجمعة.

فأما الحديث الأول: حديث أبي هريرة.

والحديث الثاني: حديث أبي موسى.

ففيهما بيان أن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه. وهذا من خصائص يوم الجمعة، فيه ساعة إذا سألت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، رقم(٨٨٣)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم(١٤٠٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي يوم الجمعة، رقم(١٤٠٩).

(٣) رواه أحمد (٨/٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم(٨٨٣)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، رقم(١٣٥٧)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم(١٠٧٥).

الله فيها شيئًا ـ أي شيء يكون ـ ما لم يكن إثمًا أو قطيعة رحم، فإن الله تعالى يجيبه، لكن في الحديث، وهو قائم يصلي.

وأشار النبي ﷺ يقلل هذه الساعة، يعني ساعة ليست طويلة، وقد اختلف العلماء في تعيين هذه الساعة متى؟ من أول النهار، من وسط النهار، من آخر النهار، اختلفوا فيها على أكثر من أربعين قولاً، كما اختلفوا في تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولاً. ولكن قد تكون بعض هذه الأقوال متداخلة، ويمكن اختصارها.

وأرجى زمن تكون فيه هذه الساعة ما دل عليه حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة، يعني إذا دخل الإمام يوم الجمعة وسلم على الناس وجلس، من هذا الحين تبتدىء ساعة الإجابة، ومن المعلوم أنه إذا قام يخطب فإن الناس منصتون لكن يمكن أن يدعو بين الخطبتين وأن يدعو في صلاة الفريضة، والدعاء في صلاة الفريضة أقرب إلى الإجابة، لأن الإنسان يكون فيها ساجدًا لله، و «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**[1]» لهذا نرى أن أقرب ساعة تكون ساعة إجابة في الجمعة في هذه الساعة من حين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة.

فألِحّ يا أخي على ربك بالدعاء في هذا الوقت لعل الله عزَّ وجلَّ أن يجيبك ولا تستبطىء الإجابة ولا تستعظم الطلب فإن الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٤).

أعظم من أن يتعاظمه شيء، فكل شيء هيّن على الله عزَّ وجلَّ، فادعُ الله سبحانه وتعالى واحرص على الدعاء في هذا الوقت.

الوقت الثاني: من صلاة العصر إلى غروب الشمس، هذا أيضًا تُرجى فيه الإجابة ولكن يشكل على هذا قوله: «**وهو قائم يصلي**» فإن العصر لا صلاة فيه، ولكن قد يُقال يحتاج الإنسان أن يتوضأ في هذا الوقت، فيتوضأ ثم يصلي ركعتين للوضوء، أو يُقال إن الإنسان إذا كان في انتظار الصلاة فهو في صلاة، ولهذا نرى أن الأرجى ما دل عليه حديث أبي موسى، ثم ما دل عليه حديث أبي هريرة، وباقي الأقوال ليس عليها دليل بيّن.

ومما يختص بالجمعة كثرة الصلاة على النبي ﷺ، ولا شكَّ أن النبي ﷺ أعظم الخلق حقوقًا علينا، حقوقه علينا أعظم من حقوق أنفسنا على أنفسنا، ولهذا يجب أن تقدم محبته على محبة نفسك وابنك وأبيك وأمك وزوجك وكل الناس، ولا يمكن أن يتم إيمانك إلا بأن تقدم محبة الرسول ﷺ على محبة كل أحد.

من حقه عليك أن تكثر من الصلاة والسلام عليه، وهو ليس بحاجة إلى صلاتك وسلامك، لكنك أنت بحاجة إلى أجر هذه الصلاة والسلام، لأنك إذا صليت على الرسول ﷺ مرة واحدة صلى الله عليك بها عشرا، فإذا قلت: «**اللهم صلِّ على محمد**» صلى الله عليك عشر مرات، مع أنك في حاجة إلى ذلك والرسول ﷺ ليس في حاجة.

ولكن ما معنى الصلاة على الرسول، كلنا يقول اللهم صلِّ على محمد، لكن كثيرًا منا لا يعرف معنى هذه الكلمة، ما معنى قولك: «اللهم

صلِّ على محمدًا؟ قال أبو العالية ـ رحمه الله ـ: صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، عند الملائكة المقربين، يُثني عليه، يقول: عبدي فلان فيه كذا وكذا ويذكر من صفاته الحميدة، فأنت إذا صليت على النبي ﷺ أثنى الله عليك عشر مرات، فعليك بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وفي كل وقت. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني وإياكم القيام بحقه وحق رسوله وحق عباده المؤمنين.

* * *

٢١١ـ باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

١١٥٩ ـ عَنْ سَعْد بنِ أبِي وَقَّاص رضي الله عنه قالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِن مَكَّة نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِن عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَويلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ ساجِدًا ـ فَعَلَهُ ثَلاثًا ـ وَقَالَ: إنِّي سَألتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَألْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَألْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُث الأخرَ، فَخَرَرتُ ساجِدًا لِرَبِّي[1]» رواه أبو داود.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم.

من المعلوم أن نعمة الله سبحانه وتعالى لا تحصى، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وأضرب مثلاً بالنَّفَس الذي يتكرر في الدقيقة الواحدة إلى ستين مرة، هذا النفس لو حُبِس لهلك الإنسان، فهو نعمة كبرى ولا يمكن عدها، وكذلك الصحة والعافية، الأكل والشرب، البراز والبول، كلها نعم عظيمة، لكنها نعم مستمرة، ولو كُلّف الإنسان أن يسجد عند كل نعمة منها لبقي ساجدًا مدى

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، رقم(٢٣٩٤).

الدهر، لكنْ هناك نعم تتجدد للإنسان، كإنسان وُلد له، أو تسهّل له الزواج، أو قدم له غائب ميئوس منه، أو حصل على مال أو ما أشبه ذلك من النعم التي تتجدد أو بُشّر بنصر المسلمين، أو ما أشبه ذلك، فهذا يُستحب للإنسان أن يسجد لله تبارك وتعالى شكرًا له.

فمثلاً إذا بُشّر بولد قيل له: أبشر بولد، هذه نعمة متجددة، فيسجد لله كما يسجد في الصلاة ويقول: «**سبحان ربي الأعلى**»، **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي**»، ثم يشكر الله على النعمة المعينة التي حصلت، فيقول: «أشكرك يا ربي على هذه النعمة» ويثني على الله تعالى في ذلك.

هكذا أيضًا في اندفاع النقم، الإنسان في سلامة دائمة، دائمًا في سلامة، ودائمًا هو معرض للآفات وللنقم، لكن أحيانًا تنعقد أسباب النقمة ويشاهدها فيرفعها الله عنه، ولنضرب لذلك مثلاً بحادث، إنسان مثلاً يمشي في الطريق فانقلبت السيارة فنجا، هذه اندفاع نقمة، فيسجد لله تعالى شكرًا على اندفاع هذه النقمة، أو إنسان مثلاً يمشي فبينما هو كذلك انخسفت به حفرة في الأرض فنجا، فهذه اندفاع نقمة، يحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك.

واندفاع النقم كثير، فإذا دفع الله عنك نقمة فاسجد لله تعالى شكرًا على اندفاع هذه النقمة. وقُلْ مثلاً في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**» ثلاث مرات، و«**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، اللهم إني أشكرك على أن نجوتني من هذه المصيبة**» ويذكرها، هذا سجود الشكر.

واختلف العلماء - رحمهم الله - هل تشترط له الطهارة أو لا؟

والصحيح أنها لا تشترط، وذلك لأن هذا يأتي بغتة والإنسان غير متأهب، فلو ذهب يتوضأ لطال الفصل بين السبب ومسببه، فإذا كان على غير طهارة فليسجد، والله الموفق.

* * *

٢١٢ـ باب فضل قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين باب فضل قيام الليل، قيامُ الليل يعني: الصلاة فيه، وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة، كما سيأتي إن شاء الله في الأحاديث.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الثناء على القائمين في الليل، فأمر نبيه ﷺ أن يتهجد فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. فأمر الله نبيه أن يتهجد من الليل لا يعني كل الليل، لأن قيام كل الليل ليس من السنة إلا أحيانًا، كقيام عشر رمضان، وأما البقية فالسنة أن ينام ويقوم.

قوله: ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، فقيل: المعنى أن هذا خاص بك يعني الوجوب، وجوب التهجد، لأن غير النبي ﷺ لا يجب عليه التهجد إلا أن ينذره، إن نذر أن يتهجد لزمه الوفاء بالنذر وإلا فلا.

أما النبي ﷺ فإنه يجب عليه أن يتهجد من الليل، وقيل: المعنى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، يعني أنه نافلة أي زيادة وفضل، وهذا له ولغيره عليه الصلاة

والسلام.

ثم قال تعالى مبينًا ما يكون من ثمرات التهجد، قال: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾. قال العلماء: إذا قال الله تعالى في القرآن «عسى» فهو واجب يعني: أن الله سيبعثك مقامًا محمودًا، أي يبعثك يوم القيامة مقامًا تحمد عليه من كل الخلائق.

فلرسول الله ﷺ المقام المحمود يوم القيامة، ومنه الشفاعة العظمى، يعني من المقام المحمود للرسول ﷺ الشفاعة العظمى، وهي أن الناس يوم القيامة يُبعثون في صعيد واحد ليس هناك جبال ولا أشجار ولا أنهار ولا بناء، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، لا يحول بينهم وبين الداعي شيء ولا بينهم وبين الرائي شيء في صعيد واحد.

وتدنو الشمس، منهم حتى تكون على قدر ميل، ويطول هذا اليوم حتى يكون مقداره خمسين ألف سنة، سبحان الله العظيم، الإنسان لا يستطيع أن يقف ولا أربع وعشرين ساعة، لكن هذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، فيلحق الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون، فيطلب بعضهم إلى بعض النظر في الأمر لعل أحدًا يشفع لهم عند الله عزَّ وجلَّ يريحهم من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم، يلهمهم الله عزَّ وجلَّ أن يذهبوا إلى آدم، آدم أبو البشر، كل البشر أبوهم واحد وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وكما هو العادة أن الإنسان يفر إلى أقرب من يراه أنه أنفع، فذهبوا إلى أبيهم، قالوا: اشفع لنا ألا ترى ما نحن فيه، إن الله خلقك بيده، وعلمك أسماء كل شيء وأسجد لك الملائكة، يعني أعطاك خيرًا كثيرًا، فاشفع لنا إلى

الله، فيعتذر، يعتذر بماذا؟ يقول: إن الله نهاه عن الأكل من الشجرة فأكل منها، وهذه معصية، فهو خجلان من الله عزَّ وجلَّ، فكيف يشفع لكم عند الله، فيذهبون إلى نوح وهو أول الرسل من البشر، أول رسول أرسله ﷺ لأهل الأرض هو نوح ﷺ، فيذكرونه بنعمة الله عليه، أنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، ولكنه يعتذر، يعتذر بماذا؟ بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود: ٤٥]. لأن الله وعده أن ينجيه وأهله وكان أحد أبنائه كافرًا لم يَنْجُ مِنَ الماءِ حتى قال له نوح: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]. يعني ولا أركب معكم؛ لأن المياه عظيمة، تدرون كيف كانت؟ السماء فتحها الله، في قراءة ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [القمر: ١١]. وفي قراءة: ﴿ففتَّحْنا﴾ وهي أعظم؛ فتح الله أبواب السماء بماء منهمر غزير، أشد من القرب، ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢]، حتى إن التنور الذي هو محل النار وهو أشد الأرض يبوسة وأبعدها من الماء بدأ يفور ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ كل الأرض. وإذا كان السماء فُتّحت بماء منهمر، والأرض فجّرت بالعيون، كيف يكون منسوب المياه؟ يكون عظيمًا عظيمًا عظيمًا حتى صعد الماء إلى قمم الجبال.

وكانت امرأة من الكفار الذين كفروا بنوح معها صبي، كلما ارتفع الماء في الجبل صعدت عليه، حتى وصل الماء إلى قمة الجبل فارتفع المنسوب ووصل إلى كعبيها ثم إلى ركبتيها ثم ألجمها الماء فرفعت صَبيّها إلى أعلى من أجل أن ينجو من الغرق، تغرق هي والولدُ ترجو أن ينجو من

الغرق، قال النبي ﷺ: «**لو نجّا الله أحدًا لنجّا أمَّ الصبي**[١]» لكن والعياذ بالله قضى الله على أهل الأرض أن يغرقوا كلهم إلا من ركب في هذه السفينة، ابن نوح الذي كفر بأبيه أبى أن يركب، قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ قال له أبوه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]. لكن نوح عليه الصلاة والسلام قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]. وسبحان الله، إنه كلام الرب عزَّ وجلَّ لنبيّ من الأنبياء، من أولي العزم يقول له: ﴿أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ فيأتون إلى نوح في ذلك اليوم ـ نسأل الله أن ينجينا وإياكم من عذابه ـ يأتون إلى نوح ويقولون: اشفع لنا، فيذكر ذنبه أنه سأل ما ليس له به علم، والمذنب ليس له وجه يشفع، المذنب لا يمكن أن يشفع عند من عصاه، لأنه ليس له وجه فيعتذر.

فيذهبون إلى إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء الذي أُمِرْنا أن نتبع ملّته، ويُذكّرونه بنعمة الله عليه، ولكنه يعتذر بأشياء ما تضره، ولكنه عليه الصلاة والسلام لكمال إيمانه جعلها من الأشياء الضارة، فيذكر ما يذكر من العذر، فيقول: «**اذهبوا إلى موسى**».

يأتون إلى موسى ويُذكّرونه بنعمة الله عليه، ولكنه يعتذر، بماذا

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٧٢).

يعتذر؟ يقول إنه قتل نفسًا لم يُؤذن له بقتلها من بني إسرائيل حين قتل القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيليُّ، إسرائيليٌّ من بني إسرائيل كان مع قبطي يتنازعان، وكان موسى عليه الصلاة والسلام من أشد الناس صرامة، فهو قويٌّ شديد، وهذا من حكمة الله؛ لأن بني إسرائيل لا ينفع فيهم إلا الأقوياء الأشداء، بعثه الله إلى بني إسرائيل، فلما رأى هذا القبطي قد استغاثه الإسرائيلي عليه وَكَزه موسى يعني أعطاه وَكْزةً بيده، فقضى عليه.

فقال يعتذر بأنه قتل نفسًا لم يُؤمر بقتلها، اذهبوا إلى عيسى، فيذهبون إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، الذي هو آخر الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ليس بينه وبينه نبي ولا رسول، ولكنه يعتذر بدون أن يذكر شيئًا، لكنه يدلهم على من هو أكمل منه، وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأسأل الله تعالى أن يُدخلني وإياكم في شفاعته؛ يأتون إلى محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**[1]» ويذهب ويسجد تحت العرش بعد إذن الله عزَّ وجلَّ، ثم يُؤذن له بالشفاعة فيشفع، فينزل الرب عزَّ وجلَّ للقضاء بين عباده، فيقضي بينهم ويستريحون من هذا الموقف.

هذا المقام يا إخواني هل يُحمد عليه الرسول؟! نعم وبلا شك، كل الأنبياء الكرام والرسل، أولو العزم كلهم يعتذرون حتى تصل إلى الرسول ﷺ، وانظر كيف كانت هذه السلسلة، يعني لو شاء الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء، رقم(٦٩٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(٢٨٦).

لدلّهم على محمد من أَوّل الأمر، لكن ليظهر فضل هذا النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، ويتحقق قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وَنِعْمَ هذا المقام مقامًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وسيأتي إن شاء الله بقية الكلام عن الآيات.

❊ ❊ ❊

٢١٢- باب فضل قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الذاريات: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

الشرح

قال الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين، باب فضل قيام الليل، ثم ذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ . وقد سبق الكلام على هذه الآية.

ثم ذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، هذا في سياق قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [السجدة: ١٥].

وصفهم الله عزَّ وجلَّ بهذه الأوصاف الجليلة: إذا ذُكّروا بآيات الله خَرّوا سُجّدًا أي: خَرّوا سجدًا فيما يتطلّب السجود فلا يستكبرون على أن يضعوا جباههم وأنوفهم على الأرض، بل يتذلّلون لله إذا أمر بالسجود سجدوا، ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ . أي أن المراد بذلك كمال التذلل لله بالعبادة، سواء كان سجدة أو غيرها: ﴿ وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ .

أي: سبحوا الله سبحانه وتعالى، وتسبيح الله يعني: تنزيهه عن كل نقص وعيب، هذا هو التسبيح، سبّحت الله يعني نزّهته وبرّأته من كل نقص وعيب لأنه جلّ وعلا كامل الصفات، منتفٍ عنه جميع النقائص، وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الباء للمصاحبة، أي سبّحوا الله تسبيحًا مقرونًا بالحمد مصاحبًا به.

والحمد هو: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

هذا معنى الحمد، حمدت الله يعني: اعتقدت أن له أوصافًا كاملة، وذكرت بلساني ذلك، فإن كرر المدح صاء ثناء، كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي**[1]».

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾. يعني: لا يستكبرون عن عبادة الله، إذا أمرهم الله امتثلوا الأمر بُذلٍّ وخضوع، وشعور بالعبودية، وشعور بكمال الألوهية والربوبية لله عزَّ وجلَّ.

﴿تَتَجَافَى﴾ أي: تتباعد جنوبهم عن المضاجع، أي: عن المراقد فهم يحيون الليل بالصلاة وذكر الله عزَّ وجلَّ، وإذا أتموا صلاتهم ختموا ذلك بالاستغفار كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

قال بعض السلف: هذا يدل على كمال معرفتهم بأنفسهم، يقومون

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم(٥٩٨).

الليل، ثم يستغفرون في آخر الليل خوفًا من أن يكونوا قصّروا مع الله عزَّ وجلَّ.

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾. يدعون الله دعاء المسألة ودعاء العبادة، دعاء المسألة أن يقولوا: يا ربنا اغفر لنا، يا ربنا اغفر لنا، يا ربنا ارحمنا، يا ربنا يسّر أمورنا، يا ربنا اشرح صدورنا؛ هذا دعاء مسألة، أما دعاء العبادة أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان ويحجّوا البيت، ويبرّوا الوالدين، ويصلوا الأرحام، إلى غير ذلك من العبادات.

وكانت العبادة دعاء لأنك لو سألت العابد: لأي شيء تعبد الله؟ لقال: لنيل رضوانه والجنة، فهو داعٍ بلسان الحال وقد يصحبه دعاء بلسان المقال، فالصلاة مثلاً فيها دعاء، يدعو الإنسان فيها دعاء ركن في الصلاة، إذا لم تدع في الصلاة في هذا الدعاء بطلت صلاتك، في أي موضع؟! في الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. هذا دعاء ركن في العبادة، لو تركته ما صحّت صلاتك، فالصلاة دعاء بلسان الحال ودعاء بلسان المقال، ولهذا قال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: يعبدونه ويسألونه. ﴿ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه، لأنهم إن فعلوا المحرم عُوقبوا، وإن تركوا المُحرّم وقاموا بالواجب أُثيبوا، فهم خائفون طامعون، وقيل: خوفًا من ذنوبهم وطمعًا في فضل الله، فالإنسان إذا نظر إلى نفسه وإلى ذنوبه خاف؛ لأنها ذنوب أثقل من الجبال، وأكثر من الرمال، نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه.

وإن نظر إلى سعة رحمة الله وسعة عفوه، وأن العفو أحب إليه من

العقوبة وأنه يفرح بتوبة عبده المؤمن، أشد من أي فرح في الدنيا كلها، قال النبي ﷺ: «**لله أشد فرحًا**» اللام هذه للابتداء، وهي للتوكيد «**بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ**» ليس حوله أحد، «**فانفلتت منه**» ضاعت، «**وعليها طعامه وشرابه فأيس منها**[١]» طلبها فلم يجدها، فيأس منها ومن الحياة، «**فأتي شجرة فاضطجع في ظلها**» فاضطجع في ظل الشجرة ينتظر الموت، إذ لم يبق له إلا الموت «**قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها**» خطام يعني: زمام، فقام وأخذه، «**ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»، هو يريد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، لكن من شدة الفرح قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فالله جل وعلا أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا الرجل براحلته.

إذا نحن نطمع في فضل الله، ذنوبنا كثيرة عظيمة، لكن فضل الله أوسع، ورحمته أوسع، إذا كانت الصلوات الخمس تُكفّر ما بينها إذا لم ترتكب الكبائر فهذا فضل عظيم؛ فعلى كل حال، هم يدعون الله خوفًا وطمعًا، خوفًا من عذابه، وطمعًا في ثوابه، خوفًا من ذنوبهم، وطمعًا في فضله، كل الأوجه صحيحة.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؛ من: للتبعيض، يعني: ينفقون بعض ما رزقناهم لا كل ما رُزقوا؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يتصدّق بكل ماله، ولهذا لما قال أبو لبابة يا رسول الله: إني أتصدّق بكل مالي. قال: «**يكفيك**

---

(١) رواه مسلم: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم(٢٧٤٧).

الثلث، يكفيك الثلث، تصدّق بالثلث[١]». حتى إن العلماء قالوا: إذا نذر الصدقة بماله كله أجزأه ثلثه، لأن هذا هو المشروع، فعلى هذا تكون «مِنْ» للتبعيض، يعني: ينفقون شيئًا مما رزقناهم. وقيل: إن «من» للبيان، لبيان الجنس، فينفقون حسب الحال، قد ينفقون قليلاً أو كثيرًا، الثلث، أو النصف، أو الكل، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه عندما حثَّ النبي ﷺ يومًا على الصدقة، فتصدّق أبو بكر بكل ماله، وتصدّق عمر رضي الله عنه بشطر ماله ـ بالنصف ـ وقال: «الآن أسبقُ أبا بكر[٢]»، لأن الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون، ليس حسدًا ولكن تسابقًا في الخيرات، فلما جاء بنصف ماله وإذا أبو بكر قد تصدّق بكل ماله، قال النبي ﷺ لأبي بكر: «**ماذا تركتَ لأهلك؟**» قال: تركتُ لهم الله ورسوله. قال لعمر: «**ماذا تركت؟!**» قال: تركت النصف، ثم قال عمر: «**والله لا أسابقه على شيء أبدًا بعد اليوم**». لأن أبا بكر رضي الله عنه له سوابق وفضائل لا يلحقه أحد، لا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا مَنْ دونهم.

المهم أنهم يُنفقون مما رزقهم الله، فما هو الجزاء وما هي الثمرة؟! ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. اللهم اجعلنا منهم يا رب.

---

(١) الحديث رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا، رقم(٢٥٣٧)، ومسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم(٣٠٧٦).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، رقم(١٤٢٩)، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، رقم(٣٦٠٨).

لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين، وذلك في جنات النعيم، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أتظنون أن قول الله تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨]. أتظنّون أن النخل والرمان والفاكهة كالذي في الدنيا؟ لا والله، ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء، اسم الرمان لكن رمان لا يمكن أن يطرأ على بالك، اسم النخل لكن لا يطرأ على بالك، اسم الفاكهة لكن لا تطرأ على بالك ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء الأبرار الكرام البررة، إنه على كل شيء قدير.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

١١٦٠ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تصنَعُ هَذَا، يَا رسُولَ اللهِ، وَقد غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عبدًا شَكُورًا[1]». متفقٌ عليه.

الشـرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل قيام الليل، وذكر آياتٍ ثلاثًا تكلّمنا على اثنتين منها، وهذه هي الثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. هذه من

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ، رقم(١٠٦٢)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم(٥٠٤٤).

أوصاف المتقين الذين أعد الله لهم الجنات والعيون، من أوصافهم أنهم كانوا لا يهجعون من الليل إلا قليلاً، وذلك أنهم يشتغلون بالقيام والتهجد وقراءة القرآن وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠]. فكانوا يقومون من الليل، ثم إذا فرغوا من القيام رأوا أنهم مُقصّرون، فجعلوا يستغفرون الله عزَّ وجلَّ، ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]، أي في آخر الليل.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل ويطيل القيام حتى تتفطر قدماه، لأن الدم ينزل فيها، فتتفطر، فقيل له في ذلك: كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**» فجعل النبي ﷺ هذه الأعمال من شكر نعمة الله سبحانه وتعالى، فدلّ ذلك على أن الشكر هو القيام بطاعة المُنْعم، وليس الإنسان إذا قال: «أشكر الله»، هذا شكر باللسان ولكن لا يكفي، لابد من الشكر بالجوارح والقيام بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وفي هذا دليلٌ على تحمّل النبي ﷺ للعبادة ومحبته لها؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك إلا لمحبة شديدة، ولهذا قال: «**جُعلتْ قرة عيني في الصلاة**[1]» فالصلاة أحب الأعمال إلى الرسول ﷺ، وقد قام معه من الليل مِنْ أصحابه عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه، قام معه ذات ليلة فأطال

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٤٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم(٣٨٧٩).

النبي ﷺ القيام، قال عبد الله: حتى هممتُ بأمر سوءٍ[1]، قالوا: بِمَ هممت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه، وهو شابٌّ أصغر سنًّا من الرسول عليه الصلاة والسلام ومع ذلك عجز أن يكون كالنبي ﷺ.

ولكن لو قال قائل: هل الأفضل في صلاة الليل أن أُطيل القيام، أو أن أطيل السجود والركوع؟ قلنا: انظر ما هو أصلح لقلبك، قد يكون الإنسان في حال السجود أخشع وأحضر قلبًا، وقد يكون في حال القيام يقرأ القرآن ويتدبره، ويحصل له من لطائف كتاب الله عزَّ وجلَّ ما لا يحصل له في حال السجود، ولكن الأفضل أن يجعل صلاته متناسبة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا قصر القيام قصر الركوع والسجود، حتى تكون متناسبة كصلاة النبي ﷺ والله أعلم.

* * *

١١٦٤ ـ وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ! قال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ ـ أو قال: في أُذنِهِ[2]».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم(١٠٦٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم(١٢٩٣).

متفقٌ عليه.

١١٦٥ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ، إذا هُو نَامَ، ثَلاثَ عُقدٍ، يَضربُ عَلَى كلِّ عُقدَةٍ: عَلَيْكَ ليْلٌ طَويلٌ فَارقُد، فإنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ الله تَعَالَىٰ انْحَلَّت عُقْدَةٌ، فإنْ تَوضَّأ انْحَلَّت عُقدةٌ، فإن صلَّى انْحَلَّت عُقْدُهُ كلُّها، فأصبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفسِ، وَإلاَّ أصبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذان الحديثان فيما يتعلق بقيام الليل .

الحديث الأول : أنه ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجلٌ نام حتى أصبح ، وقوله : «**حتى أصبح**» يعني : حتى طلع الصبح ، ولم يتهجّد . ويحتمل حتى أصبح يعني فاتته صلاة الفجر ، فقال النبي ﷺ : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ـ أو قال : في أذنه ـ**» فلما بالَ في أذنيه حالَ بينَه وبينَ سماعِ النداء فلم يقُم . وهذا يدل على أن الشيطان يبول ، لأن النبي ﷺ قال : «**بال الشيطان في أذنه**» .

وأنه يأكل ويشرب ، وقد ثبت هذا أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا يأكلن أحد منكم بشماله ، ولا يشربن ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**[١]» كما ثبت أيضًا عن النبي ﷺ أن الشيطان يتقيأ فإن رجلاً أكل طعامًا ولم يُسمّ ، فشاركه الشيطان فيه ـ لأنك إذا بدأت في الطعام ولم تسم

(١) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، رقم(٣٧٦٥).

الله شاركك الشيطان ـ، فلما سمى الرجل قال النبي ﷺ: «**تقيأ الشيطان ما أكله**[١]» تقيّأه يعني: أخرجه من جوفه.

فهذه أربعة أشياء: البول، والأكل، والشرب، والتقيؤ، أربعة أشياء يجب علينا أن نؤمن بها، كما أخبر النبي ﷺ، وأن نؤمن بأنها حقٌّ على حقيقتها:

أولاً: لأن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق في أمور الغيب.

ثانيًا: هو أنصح الخلق للأمة، فلا يمكن أن يأتي بكلام يلبس عليها.

ثالثًا: أنه أصدق الخلق عليه الصلاة والسلام، لا يمكن أن ينطق بكلام وهو يريد خلاف ظاهره أبدًا، فالشيطان يأكل ويشرب ويتقيأ ويبول، ولكن هل بوله وقيؤه وأكله وشربه، شيء محسوس يشاهد؟ لا، لا يشاهد نؤمن بذلك، ونقول هذه أمور غيبية لا نعرف عن كيفيتها، ولا نعرف عنها من واقع الأمر المحسوس.

وفي الحديث هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على القيام، على قيام الليل حتى لا يكون للشيطان عليه سبيلٌ.

أما حديث أبي هُريرة أن النبي ﷺ أخبر بأن الشيطان يعقد على قافية أحدنا إذا نام ثلاث عقد، يعقدها ويحكمها، يقول: «**عليك ليل طويل**» يريد أن يثبطه عن الخير، لكن إذا قام الإنسان وذكر اللهَ انحلّت عقدة، فإذا توضأ انحلت العقدة الثانية، فإذا صلّى انحلّت العقدة الثالثة، فأصبح طيب

---

(١) انظر الإقناع للشربيني (١/ ٤٧).

النفس نشيطًا، والحمد لله هذا الدواء سهلٌ، اذكر الله، قل لا إله إلا الله، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، واقرأ عشر آيات في آخر سورة آل عمران، توضّأ، تنحلّ عقدتان، صلّ تنحل العقد الثلاثة، ولهذا يُستحب أن الإنسان يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين، لأن النبي ﷺ أمر بذلك، ولأنه هو نفسه ﷺ يفعل ذلك، يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، ولأن ذلك أسرع في حل عقد الشيطان، فبمجرد أن يصلّي ركعتين تنحل العقد، وهذه من أمور الغيب التي لا ندركها نحن بحواسّنا، لا ندركها إلا عن طريق الوحي، ويجب علينا أن نقول: آمنا وصدقنا بما أخبر الله به ورسوله، لأن هذا هو حقيقة الإيمان، أما الذي لا يؤمن إلا إذا شاهد فليس بمؤمن، ولهذا إذا شاهد الكفار العذاب، أو شاهدوا الموت يؤمنون، فرعونُ لما غَرق ورأى أنه هالك قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

وبعد أن كان يتسلط على بني إسرائيل صار الآن تبعًا لهم أراد أن يؤمن بما آمنوا به، أذلّ نفسه وهو حي قبل أن يموت، فقيل له: ﴿الآنَ﴾. يعني: الآن تؤمن، لا ينفع ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]. لأن بني إسرائيل قد أرعبهم فرعون، لو قيل لهم إنه مات كان في قلوبهم شك، لكن إذا رأوا جثته طافية على الماء آمنوا ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

فالحاصل: يا إخواني أن هذه الأمور التي قد تستبعدها عقولكم يجب أن تصدّقوا بها، قالها المعصوم، قل: «آمنا وصدقنا»، لا تقل: أنا ألمس يدي وأذني فلا أجد فيهما رطوبة، فهل بول الشيطان مثل بول الإنسان؟ هذا أمر علمُه عند الله، فنؤمن بأنه يبول في أذن الإنسان إذا تأخر عن الصلاة سواء وجدنا رطوبة أم لا، وأنه يأكل ويشرب ويتقيأ فالواجب في مثل هذه الأمور أن يُصدّق الإنسان ويؤمن، وما أكثر ما خفي علينا.

لما جاءوا يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عن الروح، ما هي الروح التي إذا كانت في البدن صار حيًّا يتحرك ويذهب ويجيء، وإذا خرجت منه صار جثة ما هي الروح؟! قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. يعني لا يبدي لكم من العلم ما تعرفون به ما الروح.

ولما جاء عصفور ونقر في البحر، قال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام: «**ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**[1]» يعني: ما نقصه شيئًا.

فنحن لا نعلم إلا ما علمنا الله، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً. والله الموفق.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟، رقم(١١٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم(٤٣٨٥).

١١٦٦ ـ وَعَن عَبْدِ الله بن سلام رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أيُّها النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِموا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجنَّةَ بِسَلامٍ[1]».

رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشــرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل قيام الليل عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس أفشوا السلام**».

اعلم أن خطاب الشرع إذا صدر بالنداء، دلّ ذلك على أهمية هذا الخطاب؛ لأن النداء يوجب تنبُّه المخاطب، فإنه فرق بين أن تقول الكلام مرسلاً وبين أن تنادي مَنْ تُخاطب، فالثاني يكون أبلغ في التنبيه والانتباه.

يقول: «**يا أيها الناس أفشوا السلام**» أفشوا: يعني: أظهروا وأعلنوا وأكثروا من السلام، والسلام يخاطب به المسلِّم والمسلَّم عليه، فإن المسلم ينبغي له أن يُسلّم على كل من لاقاه ممن يستحق أن يُسلّم عليه، سواء عرفه أو لم يعرفه.

والذي يستحق أن يسلم عليه هو المسلم الذي لا يحل هجره، أما الكافر فلا تبدأه بالسلام سواء كان كافرًا لا ينتسب للإسلام، أو كان كافرًا

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٥١) وزاد: «وصلوا الأرحام»، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٤٠٩).

ينتسب للإسلام لكنه على بدعة مكفرة، فهذا لا تُسلّمْ عليه لأنه لا يستحق، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام**[1]».

وينبغي للمُسَلِّم أن يرفع صوته حتى يُسمع، وألا يسلم بأنفه، لأن بعض الناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ يكون عنده كبرياء أو عنده جفاء، فإذا لاقاك سلّم عليك بأنفه، لا تكاد تسمعه، هذا خلاف إفشاء السلام، إفشاء السلام أن ترفع صوتك وتجهر به، السلام عليك، قال العلماء: إلا إذا سلّم على قوم أيقاظ بينهم نيام، فلا ينبغي أن يرفع صوته رفعًا يستيقظ به النيام، لأن هذا يؤذي النائمين.

ثم إن الصيغة المستحبة أن تقول: «السلام عليك» إن كان المسلَّم عليه واحدًا، وإن كانوا جماعة رجال تقول: «السلام عليكم»، وإن كان جماعة نساء تقول: «السلام عليكن»، حسب المخاطب، ثم إنك إذا قلت: «السلام عليك، أو عليكم، أو عليكن»؛ فإنك تشعر بأنك تدعو لهم بالسلامة، «السلام عليكم» لا مجرد تحية بل دعاء بالسلامة، بأن الله يُسلّم من كل الآفات، من آفات الذنوب وآفات القلوب وآفات الأجسام وآفات الأعراض ومن كل آفة، ولهذا لو قلت: «أهلاً ومرحبًا»، بدل «السلام عليك»، ما أجزأك، لأن أهلاً ومرحبًا ليس فيها دعاء، وإنما فيها تحية، وتهنئة، ولكنها ليست فيها دعاء. فالسلام المشروع أن تقول: «السلام عليكم».

---

(١) رواه مسلم: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم(٤٠٣٠).

أمَّا المسلَّم عليه فالواجب عليه أن يرد كما سُلّم عليه، هذا أمرٌ واجبٌ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]. فإذا قال: «السلام عليك»، فقلت: «أهلاً ومرحبًا بأبي فلان، حياك الله وبيّاك سُررنا بمجيئك.. تفضل.. «كل هذه الكلمات لا تجزىء عن كلمة واحدة وهي؟! «عليك السلام»، لابد أن تقول: «عليك السلام»، فإن لم تفعل فأنت آثم وعليك وزر، لأنك تركت واجبًا ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وأنت لم تردها ولا حيَّيت بأحسن منها».

كذلك أيضًا إذا سُلّم عليك بصوت مرتفع بيِّن واضح، لا ترد عليه السلام بأنفك، قد يسمع وقد لا يسمع، هذا لا يجوز لأنك لم ترد بمثلها ولا بأحسن منها، وكثير من الناس يقول: السلام عليكم بصوت واضح، فيرد الثاني: «عليكم السلام» بصوت منخفض لا يُسمع، وبأنفةٍ وغطرسة وجفاء، هذا لا يجوز لأن قوله تعالى: ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾. يشمل الصيغة، وصفة الأداء.

ولو أنك سلمت على إنسان، وقال: أهلا ومرحبًا، قل: يا أخي هذا لا يكفي، وأنت ما رددت السلام الواجب في ذمتك حتى الآن، نبِّهه لأن الله عزَّ وجلَّ أمر بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

كذلك أيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «أطعموا الطعام» لمن يُطْعَمُ الطعامُ؟ لِمَنْ يحتاج إليه، إطعامك أهلك من الزوجات والأولاد بنين أو بنات، ومن في بيتك أفضل ما يكون، أفضل من أن تتصدّق على مسكين، لأن إطعامك أهلك قيام بواجب، والقيام بالواجب أفضل من القيام

بالتطوع، لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**[1]». فإطعام الطعام لأهلك أفضل من إطعامه لمسكين عند الباب، لأن الأول واجب وذاك تطوع، فمن أطعم الطعام أهله ولم يقصر عليهم بشيء وقام بالواجب فقد أطعم الطعام، وما فَضُل فتصدّق به فهو خير.

قوله: «**وصلوا بالليل والناس نيام**» اللهم اجعلنا من هؤلاء. «**صلوا بالليل والناس نيام**»، ربما يكون أحسن وألذ النوم ما كان من بعد منتصف الليل إلى الفجر، فإذا قام الإنسان في هذا الوقت لله عزَّ وجلَّ يتهجد، يتقرب إليه بكلامه وبدعائه خاشعًا بين يديه، والناس نائمون فهذا من أفضل الأعمال.

«**صلوا بالليل والناس نيام**» وهذا محل الشاهد من هذا الحديث، أن الرسول ﷺ جعل الصلاة بالليل من أسباب دخول الجنة، والجواب قال: «**تدخلوا الجنة بسلام**» تسلم عليكم الملائكة ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. يهنئونهم بما صبروا وبهذا الثواب العظيم.

«**وتدخلوا الجنة بسلام**»: ظاهره أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عُذِّب لم يَسْلَمْ.

فهذه الأمور الثلاثة في هذا الحديث من أسباب دخول الجنة بسلام،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقائق، باب التواضع، رقم(٦٠٢١).

نسأل الله تعالى أن يعينني وإياكم عليها، وأن يجعلنا ممن يدخلون الجنة بسلام، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١١٦٧ - وعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضانَ شَهْرُ الله المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفريضة صَلاةُ اللَّيْلِ(١)» رواه مسلم.

١١٦٨ - وَعَنْ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ(٢)» متفقٌ عليه.

١١٦٩ - وَعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكعَةٍ(٣). متفقٌ عليه.

١١٧٠ - وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُفطرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يَصومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يُفْطر مِنْهُ شَيئًا، وَكَانَ لا تشَاءُ أَنْ تَراهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إلا رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائمًا إلا رَأَيْتَهُ(٤). رواهُ البخاري.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم(١٩٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب كيف كان صلاة النبي ﷺ، رقم(١٠٦٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة واحدة، رقم(١٢٤١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ساعات الوتر، رقم(٩٤٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل مثنى مثنى، رقم(١٢٥١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٣).

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل صلاة الليل.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**» صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام، وهو واجب بالإجماع، وشهر المحرم أفضل الشهور التي يتطوع بها بالصوم، وعلى هذا فيكون صوم شهر المحرم من الصيام المستحب؛ لأنه أفضل الصيام بعد الفريضة، وأما الشاهد من هذا الحديث «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» هذا هو الشاهد، صلاة الليل **أفضل** من صلاة النهار، ما عدا الرواتب التابعة للمكتوبات فإنها أفضل من النفل المطلق في الليل، فمثلاً راتبة الظهر أربع ركعات بسلامين قبلها وركعتان بعدها، أفضل من ست في الليل، لأنه راتبة مؤكدة، تابعة للفريضة، وأما النفل المطلق ففي الليل أفضل من النهار، ولهذا قال: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**».

أما حديث ابن عمر الأول والثاني، ففيه دليلٌ على أن صلاة الليل تكون مثنى مثنى، قال الإمام أحمد رحمه الله: فإن قام إلى الثالثة ناسيًا فهو كما لو قام إلى ثالثة في الفجر، يعني: فيجب عليه أن يرجع، فإن لم يفعل بطلت صلاته يعني لو كنت تصلي في الليل على ركعتين ركعتين، فقمت إلى الثالثة ناسيًا، وجب عليك أن ترجع حتى لو بدأت في قراءة الفاتحة، فإن لم تفعل بطلت صلاتك، لأن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الليل مثنى مثنى**» يعني على ثنتين ثنتين، إلا أنه استثنى من ذلك الوتر، إذا أوتر بثلاث

أو خمس أو سبع أو تسع، فإذا أوتر بثلاث فإن شاء سلّم من الركعتين الأوليين وأتى بالثالثة وحدها، وإن شاء جمع الثلاثة جميعًا بسلام واحد. وإن أوتر بخمس سردها كلها بسلام واحد وتشهد واحد، وإن أوتر بسبع فكذلك يسردها، كلها بسلام واحد، وإن أوتر بتسع كذلك يسردها بسلام واحد، إلا أنه في الثامنة يجلس ويتشهد ولا يسلم، ثم يأتي بالتاسعة ويُسلّم. وإن أوتر بإحدى عشرة، سلم من كل ركعتين، كما فعل النبي ﷺ.

وفي حديث ابن عمر الأول والثاني دليلٌ على أن الوتر لا يكون بعد طلوع الفجر، إذا طلع الفجر انتهى وقت الوتر، فإن غلبه النوم ولم يوتر قبل طلوع الفجر صلى من النهار، ولكن يصلي شفعًا، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث صلى أربعًا، وإن كان من عادته أن يوتر بخمس صلى ستًّا.. وهلم جرّا.

فهذه الأحاديث في فضل صلاة الليل وفي كيفية صلاة الليل، وأنها مثنى مثنى.

أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ففيه دليلٌ على أن رسول الله ﷺ كان أحيانًا يُديم العمل الصالح، حتى لا تراه إلا على هذا العمل، فكان لا تشاء تراه قائمًا إلا رأيته، ولا تراه نائمًا إلا رأيته، وكذلك في الصوم لا تشاء تراه صائمًا إلا رأيته، ولا تراه مفطرًا إلا رأيته. يعني أنه عليه الصلاة والسلام يتبع ما هو أصلح وأنفع، فأحيانًا يُديم الصوم، وأحيانًا يديم القيام، وأحيانًا يديم الفطر، وأحيانًا يديم النوم، لأنه عليه الصلاة والسلام يتبع ما

هو الأفضل والأرضى لله وما هو الأريح لبدنه، لأن الإنسان له حق على نفسه كما قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «إن لنفسك عليك حقًّا[(١)]». والله الموفق.

* * *

١١٧١ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشَرَةَ رَكْعَةً ـ تَعْنِي في اللَّيل ـ يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِيْنَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قبلَ صَلاةِ الفَجْرِ، ثمَّ يَضْطَجِعُ على شِقِّه الأيْمَنِ حَتَّى يأتِيهُ المُنَادي للصَّلاةِ[(٢)]». رواه البخاري.

١١٧٢ ـ وعَنْهَا قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ـ يزيدُ في رَمضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ ـ عَلَى إِحْدَى عَشَرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعًا فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطولِهِنَّ! ثمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطولِهِنَّ! ثمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلْتُ: يا رسولَ الله أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ!؟ فقال: «يَا عائشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلبي[(٣)]» متفقٌ عليه.

١١٧٣ ـ وعنها رضي الله تعالى عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقومُ آخِرَهُ فَيُصلِّي[(٤)]». متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، رقم(٥٦٧٤).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب ما جاء في الوتر، رقم(٩٣٩).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ بالليل، رقم(١٠٧٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢١٩).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من نام أول الليل وأحيا آخره، رقم(١٠٧٨)، =

١١٧٤ ـ وَعَن ابن مسعود رضي الله عنه قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزلْ قائمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ. قيل: مَا هَمَمْتَ؟ قالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعهُ[١]. متفقٌ عليه.

١١٧٥ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذات لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فقلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المائة، ثمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأها، ثُمَّ افْتَتَح آلَ عِمْرَان، فَقَرَأها، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إذا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ، سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ، تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي العظيم، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثمَّ قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ، ثُمَّ قامَ طَويلاً قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[٢]. رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان صلاة النبي ﷺ في الليل، منها:

حديث عائشة الأول أن النبي ﷺ **«كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة»** وقد بيّن ذلك مفصلاً في أحاديث أخرى، أنه يُسلّم من ركعتين، ثم

= ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم(١٢٢٣).

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم(١٠٦٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم(١٢٩١).

ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعة، يعني: يصلي إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة.

ثم كان ﷺ يصلي ركعتين قبل الغداة، يعني إذا أذّن الفجر صلى ركعتين، وكان يخفف هاتين الركعتين حتى تقول عائشة أَقَرَأ بأمّ القرآن؟ لشدة تخفيفه لهما، ثم يضطجع على جنبه الأيمن حتى يأتيه المؤذن يُؤذنه بالصلاة ﷺ، ففي هذا دليلٌ على أن قيام الليل إحدى عشرة ركعة يوتر بواحدة، ودليلٌ على أنه ينبغي أن يصلي الإنسان الراتبةَ في بيته أفضل من المسجد، لا سيما الإمام، وفيه أيضًا أن الإمام لا يخرج من بيته إلا للإقامة، يبقى في بيته حتى يأتي وقت الإقامة، فيخرج إلى المسجد ويصلي، هذا هو الأفضل، أفضل من أن يتقدّم الإمام ويُصلّي بالمسجد، أما غير الإمام فينتظر الإمام، والإمام ينتظره غيره، فلذلك كان الأفضل في حقّه أن يتأخّر إلى قرب إقامة الصلاة، إن لم يكن لهذا سبب أو يكون في تقدمه مصلحة، مثل أن يكون تقدّمه يشجع المصلين فيتقدمون، ولو تأخّر لكسلوا، فهذا يُنظر للمصلحة.

وفي حديثها الآخر أن النبي ﷺ كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، لأنها سُئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ قالت: «كان لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا» هذه أربع وأربع وثلاث: إحدى عشرة، هذا هو السنة وهو الأفضل ألا يزيد في صلاة الليل على إحدى عشرة

ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة.

كما صح فيه الحديث وقولها رضي الله عنها: «يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن». قد ظن بعض الناس أنها أربع مجموعة بسلام واحد، وهذا خطأ؛ لأنه قد جاء مُفَصّلاً مبينًا أنها أربع ركعات، يسلم من كل ركعتين، وأربع ركعات يسلم من كل ركعتين، وثلاث ركعات، فيكون قولها: «يصلي أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي» يكون فيه دليلٌ على أنه إذا صلّى الأربع بسلامين استراح قليلاً، لقولها: «ثم يصلي» وثُمّ للترتيب في المهلة ثم يصلي الأربع على ركعتين ثم السلام.

وفي هذا أشير إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعجّل في فهم النصوص، بل يجمع شواردها حتى يضم بعضها إلى بعض ويتبين له الأمر، حتى أن بعض الإخوان الذين بدءوا يتعلّمون ولا سيما علم الحديث، صاروا يُصلّون بالناس في رمضان أربع ركعات جميعًا، وهذا غلط، غلط على السنة، وفهم خاطىء لأن النبي ﷺ سئل عن صلاة الليل فقال: «مثنى مثنى» وهذا حصل في أنها ركعتان ركعتان، ولا يمكن أن يُصلي أربعًا في الليل إلا في بعض صور الوتر، يصلي خمسًا جميعًا، وسبعًا جميعًا، وتسعًا جميعًا، إلا أنه يتشهد في الثامنة.

أما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة لأن النبي ﷺ بابه مفتوح، بيته بيتٌ لأصحابه وللأمة، يأتي الواحد في الليل يُحبّ أن يصلي مع النبي ﷺ، فلا يقول له لا تُصَلِّ معي، صلِّ في بيتك، لا بل يشرح له صدره، ويدخل البيت ويصلي معه. وكان ابن

مسعود رضي الله عنه من الذين يخدمون الرسول ﷺ، صاحبُ السواك، ينظف سواك الرسول ﷺ، وصاحب الوساد ـ وساده ـ وصاحب النعل، فكان يدخل على الرسول ﷺ ويصلي معه، فدخل فصلى معه ذات ليلة، فلما دخل في الصلاة أطال النبي ﷺ القيام، يقول: «حتى هممتُ بأمر سوء، قيل: بماذا هممت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه»، وهو شاب، والرسول ﷺ أسنُّ منه، ومع ذلك كان يقف ويطيل حتى يعجز الشباب عن قيامه عليه الصلاة والسلام. وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه يصلي ﷺ شكرًا لله عزَّ وجلَّ، كما قال: **«أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا[١]»**.

والمرة الثانية صلى معه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ذات ليلة فبدأ بسورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، يعني إذا أتم مائة آية ركع، ولكنه مضى، فقلت يركع بها، ولكنه أتمها ثم بدأ بسورة النساء، فأتمّها، ثم بدأ بسورة آل عمران فأتمها، يُرتّل عليه الصلاة والسلام، يرتل القرآن وهذه السور الثلاث تُمثّل خمسة أجزاء وربع جزء، وبالترتيل تستوعب ساعتين ونصف تقريبًا، ساعتان ونصف وهو ﷺ واقف لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا آية تسبيح إلا سبّح، ولا آية وعيد إلا تعوّذ فيجمع بين القراءة والذكر والدعاء ﷺ ـ مع هذا الطول العظيم ـ ثم ركع، فكيف كان ركوعه؟! كان ركوعه نحوًا من قيامه، أطال الركوع ثم رفع قائلاً: **«سمع الله لمن حمده»**،

---

(١) سبق تخريجه.

وكان قيامه نحوا من ركوعه، ثم سجد، فكان سجوده نحوا من قيامه، وهكذا صلاته كانت متناسبة، وإذا أطال في القراءة أطال في الركوع والسجود، يقول في الركوع: «**سبحان ربي العظيم**»، ويقول في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**»، ويقول أيضًا إضافة إلى ذلك: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»، ويقول أيضًا: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**[1]»

فالصلاة روضة من رياض العبادات، روضة فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير وتعوّذ، ولهذا كانت هي أفضل العبادات البدنية، أفضل من الصيام، وأفضل من الزكاة، وأفضل من الحج، وأفضل من كل العبادات، إلا التوحيد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ لأن هذا فهو مفتاح الإسلام.

فالحاصل أن هذه صفة صلاة النبي ﷺ من الليل، فاحرص عليها أخي المسلم، أسأل الله أن يعينني وإياك على اتباعه ظاهرًا وباطنًا، وأن يتوفانا على ملته ويحشرنا في زمرته، ويدخلنا معه جنات النعيم.

* * *

١١٧٦ ـ وَعَن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طولُ القُنُوتِ[2]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٥٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم(١٢٥٨).

المرادُ بِالقُنوتِ: القِيَامُ.

١١٧٧ ـ وَعَنْ عبدِ الله بنِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى الله صَلاةُ دَاوُدَ، وأَحَبُّ الصيام إلى الله صِيَامُ دَاوُدَ، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، ويَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيصومُ يَومًا وَيُفطِرَ يَومًا[1]» متفقٌ عليه.

١١٧٨ ـ وَعَنْ جَابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ في اللَّيْلِ لسَاعَةً، لا يُوافقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسألُ اللهَ تَعَالى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ إلا أعْطَاهُ إيَّاه، وَذَلِكَ كلَّ لَيلةٍ[2]». رواه مسلم.

الشــرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل صلاة الليل، منها أن النبي ﷺ سُئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**» والمراد بطول القنوت: أي طول الخشوع لله عزَّ وجلَّ والقيام والركوع والسجود.

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ أيهما أفضل: طول القراءة مع تخفيف الركوع والسجود، أم الأفضل تقصير القراءة والركوع والسجود؟ بمعنى هل الأفضل أن تُعدّد الركعات مع كثرة العدد، أو أن تُطيل

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر، رقم(١٠٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم(١٩٦٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة وقصرها، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، رقم(١٢٥٩).

الركعات مع قلة العدد؟ والصواب أن الأفضل في ذلك أن تكون الصلاة متناسبة، وقد سبق معنا أن النبي ﷺ كان يجعل ركوعه نحوًا من قيامه، وسجوده كذلك نحوًا من قيامه - أي قريبًا منه -

ذكر - رحمه الله - من ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود**» أما صلاته، - يعني النافلة - صلاة الليل، فإنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، فيقسم الليل ثلاثة أقسام، النصف الأول للنوم، ثم الثلث للقيام، ثم السدس للنوم، لأن هذا فيه راحة البدن، فإن الإنسان إذا نام نصف الليل أخذ حظًّا كبيرًا من النوم، فإذا قام الثلث ثم ناس السدس فإن التعب الذي حصل له في القيام ينتقض بالنوم الذي في آخر الليل، ولكن مع هذا، إذا قام الإنسان في أي ساعة من الليل فإنه يُرجى له أن ينال الثواب، وهذا الذي ذكره النبي ﷺ هو الأحب إلى الله والأفضل، لكن يكفي أن تقوم الثلث الأخير أو الثلث الأوسط أو النصف الأول، حسب ما تيسّر لك. قالت عائشة رضي الله عنها: «من كل الليل أَوترَ النبي ﷺ من أول الليل ووسطه وآخره». فالأمر في هذا - ولله الحمد - واسع.

ثم ذكر الحديث الثالث «**إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله تعالى بخير إلا أعطاه إياه**».

وهذه الساعة غير معلومة بعينها، يعني: الله أعلم. لكن الرسول ﷺ أخبرنا بهذا من أجل أن نجتهد، وأن نتحرّى قدر الله عزَّ وجلَّ ونعمته بقبول

الدعاء، وهذه الساعة كساعة يوم الجمعة مبهمة، وإن كانت ساعة يوم الجمعة أرجى ما يكون إذا حضر الإمام - يعني الخطيب - إلى أن تُقضى الصلاة. والله الموفق.

* * *

١١٨١ - وعن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: كانَ رَسُول الله ﷺ إذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ من اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أوْ غَيْرِهِ، صَلَّى من النَّهارِ ثنتي عَشَرَةَ رَكْعَةً[١]. رواه مسلم.

١١٨٢ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهرِ، كُتِبَ لَهَ كَأنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ[٢]» رواه مسلم.

١١٨٣ - وَعَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإنْ أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا المَاءَ، ورَحِمَ الله امرَأَةً قَامَت مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإن أَبَى نَضَحَتْ في وَجْهِهِ الماءَ[٣]» رواه أبوداود بإسناد صحيحٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مَرِض، رقم(١٢٣٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، رقم(١٢٣٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الحث على قيام الليل، رقم(١٢٣٨)، والنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل، رقم(١٥٩٢)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن =

١١٨٤ ـ وعنه وعن أبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجلُ أهلَهث مِنَ الليْلِ، فصلَّيَا ـ أو صَلَّى ـ ركْعَتَيْن جميعًا، كُتِب في الذاكرين والذاكرات[١]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١١٨٥ ـ وَعَنْ عائِشَة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ في الصَّلاةِ، فلْيَرْقُدْ حتى يَذهبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحدكُمْ إذا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يذهَبُ يَسْتغفرُ فَيَسُبَّ نَفسَهُ[٢]» متفقٌ عليه.

١١٨٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاستعجَمَ القُرآنُ على لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدرِ ما يَقُولُ: فَلْيَضْطَجِعْ[٣]» رواه مسلم.

الشرح

هذه بقية الأحاديث التي نقلها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل صلاة الليل، وتدل على أمور:

الأمر الأول: أن الإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، لأن الوتر تختم به صلاة الليل، وقد انتهت كما دل على

= أيقظ أهله من الليل، رقم(١٣٢٦).

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب قيام الليل، رقم(١١١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة والنعستين، رقم(٢٠٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم(١٣٠٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم(١٣١٠).

ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا غلبه وجع أو غيره، ـ يعني كالنوم ـ فلم يصلِّ في الليل، صلى في النهار ثنتي عشرة ركعة، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، يقضي ثنتي عشرة ركعة، وعلى هذا فإذا كان من عادة الإنسان أنه يوتر بثلاث ولم يقم، فإنه يقضي بالنهار أربعًا، ولا يقضي ثلاثًا، وإذا كان من عادته أن يُوتر بخمس يقضي ستًّا وهلم جرّا، ولكن متى يقضي؟ يقضيه فيما بين طلوع الشمس وارتفاعها إلى زوال الشمس، كما يدلّ على ذلك حديث عمر رضي الله عنه فيمن فاته ورده أو حزبه في الليل، أو شيء منه، أنه يقضيه في النهار في الضحى، فيقضي ذلك في الضحى، فإن نسي ولم يتذكّر إلا بعد الظهر قضاه بعد الظهر، لعموم قول النبي ﷺ: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها**[1]».

ومما دلت عليه هذه الأحاديث أن الإنسان إذا غلبه النوم وجاءه النعاس وهو يصلي فلا يصلِّ، وذلك لأنه ربما يذهب يستغفر لنفسه فيسبَّ نفسه لأنه ينعس، وأيضًا ربما يستعجم القرآن على لسانه، فيتكلم بالكلمة من القرآن على غير وجهها فيُحرّف القرآن، فأنت إذا كان من عادتك أن تصلي بالليل وجاءك النوم، فلا تجهد نفسك، نم حتى يزول عنك النعاس

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم(١١٠٤).

ثم استأنف القيام، فإن طلع الفجر - فعلى ما سبق - فاقض الوتر في الضحى ولكن شفعًا.

ومما تدل عليه هذه الأحاديث أنه ينبغي للإنسان إذا كان له أهل وقام من الليل أن يوقظ أهله، لكن حسب نشاط الأهل، ولهذا كان الرسول ﷺ يصلي من الليل فإذا لم يبق إلا الوتر أيقظ عائشة فأوترتْ، يعني ليس من اللازم أن توقظ أهلك معك، لأنه قد يكون أهلك ليسوا مثلك في النشاط البدني أو في النشاط النفسي، فلا توقظهم معك، فليس بلازم إلا إذا رأيت أنهم يرغبون، ولكن لا تنسَهم من آخر الليل، يقومون ولو للوتر، كما كان رسول الله ﷺ يفعل. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يقوم الليل ويصوم النهار ويعبد ربه حق عبادته.

❊ ❊ ❊

٢١٣ـ باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

١١٨٧ ـ عَنْ أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[(١)]» متفقٌ عليه.

١١٨٨ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يُرَغِّبُ في قيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَأمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمةٍ، فيقولُ: «مَنْ قَامَ رَمضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[(٢)]» رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح.

سُمّيت «تراويح» لأن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يقومون رمضان ويطيلون القيام والركوع والسجود، فإذا صلوا أربع ركعات ـ يعني تسليمتين ـ استراحوا، وإذا صلوا أربعًا استراحوا، ثم يُصلّون ثلاثًا، وهذا يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها السابق، أن رسول الله ﷺ «كان يُصلّي أربعًا فلا تسألْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم(٣٦)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٧).

فكان النبي ﷺ يُرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، يعني ما يُلزِم لكن يُرغِّب، فيقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقام النبي ﷺ بأصحابه ثلاث ليال في رمضان، يُصلّي بهم جماعة، ثم تأخر وقال: «**إني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها**[١]» فتركه، وبقي الناس يأتون إلى المسجد يُصلّون، الرجلين والثلاثة أوزاعًا كلٌّ يُصلي مع صاحبه، فخرج عمر ذات ليلة فوجدهم يُصلّون أوزاعًا، فرأى رضي الله عنه بثاقب رأيه أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبيَّ بن كعب رضي الله عنه وآخر معه أن يُصلّيا بالناس إحدى عشرة ركعة، فاجتمع الناس على إمام واحد في التراويح، وبقي المسلمون على هذا إلى يومنا هذا، لكن اختلف العلماء في عدد ركعات التراويح، فمنهم من قال: إحدى عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث وعشرون ركعة، ومنهم من قال: أكثر من ذلك، والأمر في هذا واسع؛ لأن السلف الذين اختلفوا في هذا لم يُنكر بعضهم على بعض، فالأمر في هذا واسع، يعني نحن لا نُنكر على من زاد على إحدى عشرة ركعة، ولا على من زاد على ثلاث وعشرين ركعة، ونقول: صلِّ ما شئتَ ما دامتِ الجماعة - جماعة المسجد - قد رضوا بذلك، ولم ينكر أحد.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم(٨٧٢)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٧٠).

أما إذا اختلف الناس فالرجوع إلى السنة أولى، والسنة أن لا يزيد على ثلاث عشرة ركعة لأن عائشة سُئلت كيف كان النبي ﷺ يصلي في رمضان؟ فقالت: كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة.

فأما مع عدم الخلاف فإنه يصلي ثلاثًا وعشرين أو أكثر، ما دام الناس لم يقولوا: خفِّفْ، فإذا قالوا: خفّف فلا يزيد على إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة. والله الموفق.

* * *

٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. إلى آخر السورة وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

١١٨٩ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[1]» متفقٌ عليه.

١١٩٠ - وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رِجَالاً مِنْ أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأواخِرِ، فَمَنْ كَانَ مَتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ[2]» متفقٌ عليه.

١١٩١ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمضَانَ، وَيقُول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَان[3]» متفقٌ عليه.

١١٩٢ - وَعَنْهَا رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، رقم(١٧٦٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل من تعار من الليل فصلى، رقم(١٠٨٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، رقم(١٩٨٥).

(٣) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم(١٨٨٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، رقم(١٩٩٨).

الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأواخِرِ مِنْ رَمَضَانَ[١]» رواه البخاري.

١١٩٣ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا دَخَلَ العَشْرُ الأوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ كلَّه وأيقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وشَدَّ المِئزَرَ[٢]» متفقٌ عليه.

١١٩٤ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قالتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَجتهِدُ في رَمضانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ، وفي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْه، مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ[٣]» رواه مسلم.

١١٩٥ ـ وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يا رسول الله أَرَأَيْتَ إن عَلِمْتُ أيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فيها؟ قَالَ: «قولي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي[٤]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب فضل ليلة القدر، وليلة القدر سُمّيت بذلك لوجهين:

---

(١) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم(١٨٧٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، رقم(١٨٨٤)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٩).

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٧١)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٤٣٥)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم(٣٨٤٠).

الوجه الأول: أنه يُقدّر فيها ما يكون في السنة من أعمال بني آدم وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤]. يعني: يفصل ويبين.

والوجه الثاني: أن ذلك الشرف ـ يعني ليلة القدر ـ أي: ليلة ذات شرف؛ لأن قدرها عظيم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣].

هذه الليلة خُصّت بفضلها هذه الأمةُ فكانت لها، ويُذكر أن النبي ﷺ عُرضت عليه أعمار أمته فتقاصرها، فأُعطي ليلة القدر وُجعلت هذه الليلة خيرًا من ألف شهر، فإذا كان الإنسان له عشرون سنة، صار له عشرون ألف حسنة في ليلة القدر، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة.

والله تعالى خَصّ هذه الأمة وخص نبيها ﷺ بخصائص لم تكن لمن سبقهم، فالحمد لله رب العالمين.

ثم ذكر المؤلف أحاديث وردت في ذلك، وأنها ـ أي ليلة القدر في رمضان ـ وأنها في العشر الأواخر منه، وأنها في أوتاره آكد، وأنها في ليلة سبع وعشرين آكد، لكنها تتنقل في العشر، يعني قد تكون هذه السنة ليلة إحدى وعشرين، والسنة الثانية ليلة ثلاث وعشرين، والثالثة ليلة خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو أربع وعشرين أو ست وعشرين، أو اثنتين وعشرين، تتنقل لأنها ليست ليلة معينة دائمًا، لكن أرجى ما تكون ليلة سبع وعشرين ثم الأوتار، وأرجى العشر الأواخر السبع منها، لأن جماعة من الصحابة أُرُوا ليلة القدر في السبع الأواخر، فقال

النبي ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأتْ في السبع الأواخر، فمن كان متحرِّيها فليتحرَّها في السبع الأواخر**». وهذا يحتمل أنه كل عام أو أنه تلك السنة فقط، وعلى كل حال فهي في العشر الأواخر من رمضان، ولا تكون في الأوسط ولا في الأول منه، بل في العشر الأواخر.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث عن عائشة رضي الله عنها، عدة أحاديث مما يدل على فضل هذه المرأة، وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظْه امرأة أخرى من النساء، فهي رضي الله عنها أكثر النساء حديثاً عن رسول الله ﷺ. حفظت من شريعة الله وسنة رسوله ما لم تحفظه امرأة سواها فجزاها الله عن أمة محمدٍ خيرًا.

تقول عائشة للرسول ﷺ: «أرأيتَ إن وافقتُ أو علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**». «**والعَفُوُّ**»: هو المتجاوز عن سيئات عباده، وهو سبحانه وتعالى عفوٌّ قدير، يعني يعفو مع المقدرة، ليس كبني آدم إذا عجز عن الشيء فإنه يسامح، إنما يعفو مع القدرة جلَّ وعلا، وهذا هو كمال العفو، وهو سبحانه وتعالى يُحبّ العافين عن الناس، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وهو سبحانه يحب الذين يأخذون من الناس العفو، بل أمر بذلك فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال العلماء: معنى العفو يعني خُذْ ما عُفي من الناس، يعني ما سَهُل منه، خذه ولا تشره عليهم ولا تشدّ الحبل، فخذ العفو واترك ما وراء ذلك، وهذا من آداب القرآن أن الإنسان يكون واسع الصدر لبني آدم يأخذ العفو، فالشاهد أنه أفضل ما تدعو به في

ليلة القدر أن تقول: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني**». والله الموفق.

* * *

٢١٥ـ باب فضل السواك وخصال الفطرة

١١٩٦ ـ عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ـ أَوْ عَلَى النَّاسِ ـ لأمرْتُهُمْ بِالسِّواكِ مَعَ كلِّ صلاةٍ[(١)]» متفقٌ عليه.

١١٩٧ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بالسِّوَاكِ[(٢)]. متفقٌ عليه.

«الشَّوْصُ»: الدَّلكُ.

١١٩٨ ـ وَعَنْ عَائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لرَسُولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ الله ما شَاءَ أَنْ يَبعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي[(٣)]» رواه مسلم.

١١٩٩ ـ وَعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ في السِّوَاكِ[(٤)]» رواه البخاري.

١٢٠٠ ـ وَعَنْ شُرَيْح بنِ هانِىء قَالَ: قُلْتُ لِعَائشَةَ رضي الله عنها: بِأَيِّ شيءٍ كانَ يَبْدَأُ النَّبيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ. قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ[(٥)]. رواه مسلم.

١٢٠١ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم(٨٣٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب السواك، رقم(٢٣٨)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٥).

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، رقم(١٢٣٣).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم(١٨٣٩).

(٥) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧١).

وَطَرَفُ السِّوَاكِ على لِسَانِهِ[١]. متفقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

١٢٠٢ ـ وَعَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «السواكُ مَطْهَرةٌ للفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ[٢]» رواه النسائي، وابن خُزيمة في صحيحه بأسانيد صحيحة.

الشرح

وذكر البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه هذا الحديث تعليقًا بصيغة الجزم فقال: قالت عائشة رضي الله عنها.

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب فضل السواك، وسنن الفطرة:

السواك هو: التسوّك وهو دلك الأسنان واللثة واللسان بعود الأراك وهذا السواك المعروف هو عود الأراك، ويحصل الفضل بعود الأراك أو بغيره من كل عود يشابهه، والصحيح أنه يحصل أيضًا بالخرقة أو بالإصبع لكنّ العود أفضل، والسواك ذكر النبي ﷺ فيه فائدتين عظيمتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«السواك مطهرة للفم مرضاة للربِّ»** مطهرة للفم يعني: يُطهّر الفم من الأوساخ والأنتان وغير ذلك مما يضرّ، وقوله: للفم يشمل كل الفم، الأسنان واللثة واللسان، كما في حديث أبي موسى أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه.

الفائدة الثانية: مرضاة للرب يعني أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم(٣٧٣).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٦٢)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، رقم(٥)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، رقم(٢٨٥)، وابن خزيمة (١/ ٧٠).

وللسواك مواضع يتأكد فيها، وإلا فهو مسنون كل وقت، لكن يتأكد في مواضع معينة منها: إذا قام من النوم، فإنه يُسنّ له أن يستاك لحديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، يعني يتسوك، وكذلك يؤيده حديث عائشة **أنهم كانوا يُعدّون له سواكه ووضوءه، فإذا قام تسوّك وتوضّأ وصلّى** ما شاء الله، ويُسنّ عند القيام من النوم بالليل أو بالنهار لأن الفم يتغير **فيُسنّ أن يتسوّك، كذلك يُسنّ** إذا دخل الإنسان بيته أوّل ما يدخل يتسوّك، لأن عائشة سُئلت: أي شيء يبدأ به الرسول ﷺ إذا دخل بيته قالت: «**السواك**».

ثالثًا: يتسوك عند الصلاة، إذا أراد أن يصلي فريضة أو نافلة صلاة ذات ركوع وسجود، أو صلاة جنازة فإنه يُسنّ أن يتسوك، لأن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» كذلك أيضًا يُسنّ السواك بتأكّد عند الوضوء، ومحله عند المضمضة أو قبل أو بعد، لكنه عند الوضوء كما جاء ذلك عن النبي ﷺ.

وألحق العلماء رحمهم الله ما إذا تغير فمه بأكل أو شرب لبن أو نحوه مما له دسم، فإنه **يُسنّ أن يتسوّك لأنه يُطهّر الفم**. وعلى كل حال فالسواك سنة ويتأكد في مواضع، ولكنه من حيث السنية مشروع كل وقت حتى للصائم بعد الزوال فإنه كغيره يُسنّ له أن يتسوك، وأما من كره ذلك من أهل العلم فقوله لا دليل عليه، والصحيح أن الصائم يتسوّك أول النهار، وآخر النهار، والله الموفق.

* * *

١٢٠٣ - وَعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «الفِطرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطرَةِ: الخِتَان، والاسْتِحْدَادُ، وتَقليمُ الأظفار، ونَتف الإبط، وَقَصُّ الشَّارِبِ[١]» متفقٌ عليه.

الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج.

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - أحاديث خصال الفطرة في باب فضل السواك، وخصال الفطرة.

والفطرة: يعني التي فطر الخلق على استحسانها وأنها من الخير، والمراد بذلك الفطر السليمة لأن الفطر المنحرفة لا عبرة بها لقول النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجّسانه[٢]**».

وذكر منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الفطرة خمس**». وفي لفظ «**خمس من الفطرة**» فعلى اللفظ الأول يكون المعنى أن الفطرة هي هذه الخمس، وعلى الثاني يكون المعنى أن هذه الخمس من الفطرة وهناك أشياء أخرى غيرها من الفطرة، وهذا اللفظ أقرب إلى الواقع لأن الخمس التي ذُكرت في حديث أبي هريرة يوجد من الفطرة غيرها

---

(١) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم(٥٤٣٩)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٧٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم(١٢٩٦)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم(٤٨٠٣).

فيكون الأقرب أن لفظ الحديث: خمس من الفطرة.

أما على اللفظ الأول ـ الحصر ـ فقد يُراد بذلك الفطرة تامة، وأما الأخرى فتكون من الفطرة التي هي من مكملات الفطرة:

أولاً: الختان: الذي يُسمّى عن الناس الطهارة، وهو للرجال والنساء، أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهنّ سنة، وليس بواجب، وذلك أن الرجل إذا لم يُختن وبقيت الجلدة التي فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول، وتكون سببًا في النجاسة لأنه إذا احتقن بها البول ثم حصل ضغط عليها، خرج البول الذي صار بينها وبين الحشفة فتلوثت الثياب وتنجست، ثم هي أيضًا عند الكبر، وعندما يصل الإنسان إلى حد الزواج يكون هناك مشقة شديدة عند الجماع، فلذلك كان من الفطرة أن تُقصّ هذه الجلدة، ولهذا كان كثير من الكفار الآن يختتنون لا لأجل الطهارة والنظافة لأنهم نجس، لكنهم يختتنون من أجل التلذذ عند الجماع وعدم المشقة.

ومتى يكون الختان؟ يكون الختان من اليوم السابع فما بعده، وكلما كان في الصغر فهو أفضل لأن ختان الصغير لا يكون فيه إلا الألم الجسمي دون الألم القلبي، أما الكبير، لو ختنا مَنْ له عشر سنوات مثلاً، فإنه يكون فيه ألم قلبي وجسمي، ثم إن نمو اللحم ونبات اللحم وسرعة البرء في الصغار أكثر، ولهذا قال العلماء: إن الختان في زمن الصغر أفضل، وهو كذلك.

الثاني: الاستحداد: الاستحداد يعني حلق العانة، والعانة هي الشعر

الخشن الذي ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ، فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر؛ لأنه إذا طال فربما يتلوث بالنجاسة من أسفل أو من القبل ويحصل في ذلك وسخ وقذر، ولأنه مضر وإن كان بعض الناس مثل البهائم يُبقي العانة ويجعلها تزداد وتطول، نسأل الله السلامة.

الثالث: قص الشارب وهو الشعر النابت فوق الشفة العليا، وحَدُّه: الشِّفة، كل ما دار على الشفة العليا فهو شارب، فهذا يُحفّ لأن بقاءه يكون فيه تلويث بما يخرج من الأنف من الأذى، ثم عند الشرب أيضًا يباشر الشعر المتلوث الماءَ فيقذره، وربما يحمل ميكروبات مضرة، وعلى كل حال فهو من السنة، أهم شيء أنه من السنة والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ إذا حففته.

الرابع: قص الأظافر: يعني تقليمها، والمراد بذلك أظفار اليدين والرجلين، ولا ينبغي أن تقصّ حتى تصل إلى اللحم لأن هذا يضر الإنسان، وربما يحصل فيه خُرّاج أو ما أشبه ذلك، لكن نَقُصّها قصًا معتدلاً.

الخامس: نتف الإبط: إذا كان فيها شعر فإنها تُنتف ولا تُقصّ ولا تُحلق، بل نتفها أولى لأن النتف يُزيلها بالكلية، ويضعف أصولها حتى لا تنبت فيما بعد، وهذا أمر مطلوب شرعًا.

هذه **خمسة أشياء**: الختان، الاستحداد، قص الشارب، تقليم الأظفار، نتف الآباط، أما الختان فيُفعل مرة واحدة وينتهي أمره، وهنا أنبّه على مسألة، وهي أن بعض الناس قد يُولد مختونًا، ليس له كلفة. تجدُ

الحشفة بارزة ظاهرة من حين أن يولد، وشاهدنا ذلك بأعيننا، فهذا لا يُختن، ما بقي شيء يختن من أجله.

أما الأربع الباقية: الاستحداد، قص الشارب، تقليم الأظفار، نتف الإبط فإنها لا تترك فوق أربعين يومًا لأن النبي ﷺ وَقَّتَ لأمته أن لا تترك هذه الأشياء فوق أربعين يومًا، فلها مدة محدودة لا تتجاوزها. وأحسن ما يكون في ضبط الأربعين أن تجعل لك وقتًا معينًا، مثلاً تقول: أول جمعة من كل شهر أقوم بعملي هذا، حتى لا تنسى لأنه أحيانًا ينسى الإنسان وربما يمضي أربعون يومًا، أو خمسون يومًا ولا يذكر، فإذا جعلت شيئًا معينًا بأن تقول مثلاً: أول جمعة من كل شهر أزيل هذه الأشياء الأربعة، انضبط الوقت، ولكن هذا ليس بسنة، إنما هو من أجل ضبط الوقت لفعل السنة، وهو أن لا تتركها فوق أربعين يومًا. والله الموفق.

ولا يحلق الشارب بالموسى، حتى إن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قال: أرى أن يُؤدّب من حلق شاربه، لأنه شوّه الخلقة ولأنه خلاف السنة، فالسنة حفُّه أو تقصيره.

وفي الإبط الأفضل النتف، وإزالته بالمزيل لا بأس بها، إلا أن الأفضل النتف إلا أن بعض الناس يشق عليه النتف جدًّا، فلا بأس من أن يُزال بالأدهان وشبيهها.

* * *

١٢٠٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإعْفَاء اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، واسْتِنشَاقُ الماءِ، وَقَصُّ

الأظفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإبطِ، وحلَقُ العَانَة، وانتِقَاصُ الماء» قال الرَّاوِي: وَنَسيتُ العَاشِرَةِ إلا أن تكون المضمضمة، قالَ وَكيع ـ وهو أحد رواته: انتقاص الماء، يعني: الاسْتِنْجَاء[(١)]. رواه مسلم.

«البراجِمُ» بالباءِ الموحدة والجيم، وهي: عُقد الأصابع «وَإعْفَاء اللِّحية» معناه: لا يقصُّ منها شيئًا.

١٢٠٥ ـ وَعَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «أَحفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللّحى[(٢)]» مُتفق عليه.

الشرح

هذه بقية خصال الفطرة، وقد سبق حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الفطرة خمس ـ الختان، والاستحداد، وقصُّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط» وذكرنا أن الأربعة التي سوى الختان لا تُترك فوق أربعين يومًا، لأن النبي ﷺ وقّت ذلك.

أما حديث عائشة ففيه أن الفطرة عشرة خصال، منها ما سبق في حديث أبي هريرة، ومنها ما ذُكر في حديث عائشة دون حديث أبي هُريرة.

فمن ذلك: إعفاء اللحية، فإنه من الفطرة، وفي حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ أمر بإعفاء اللحى.

واللحية: قال أهل اللغة: إنها شعر الوجه واللحيين يعني: العوارض

---

(١) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٨٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم(٥٤٤٢)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(٣٨٠).

وشعر الخدين، فهذه كلها من اللحية، وأما الشارب فسبق الكلام عليه، وإعفاء اللحية يعني إرخاءها وإطلاقها وتركها على ما هي عليه، هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعلى استحسانها، وعلى أنها من علامة الرجولة بل ومن جمال الرجولة، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يحلق لحيته، فإن فعل فقد خالف طريق النبي ﷺ وعصى أمره، ووقع في مشابهة المشركين والمجوس، لأن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المجوس أو المشركين، وفِّروا اللحى وحفوا الشوارب**[1]».

ولم يكن الناس يعرفون هذا، أي: لم يكن المسلمون يعرفون حلق اللحية، بل كان بعض الغُلاة الظلمة إذا أرادوا أن يُعَزرُوا شخصًا حلقوا لحيته، وهذا حرامٌ عليهم لأنه لا يجوز التعزير بمحرم، لكن قصدي به أنهم كانوا يُعدّون حلق اللحية مثلة وتعزيرًا وعذابًا، أما بعد أن استعمر الكفار ديار المسلمين في مصر والشام والعراق وغيرها وأدخلوا على المسلمين هذه العادة السيئة، وهي حلق اللحية، صار الناس لا يبالون بحلقها، بل كان الذي يُعفي لحيته مستنكرًا في بعض البلاد الإسلامية، وهذه لا شك أنها معصية للرسول ﷺ ومن يعصِ الرسول ﷺ فقد عصى الله ومن يُطع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، وإذا ابتُلي الإنسانُ بأحدٍ من أقاربه يحلق لحيته، فالواجب عليه أن ينصحه ويبيّن له الحق، أما هجره فهذا حسب المصلحة، إذا كان هجره يُفيد في ترك المعصية، فليهجرْه، وإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم(٥٤٤٢).

كان لا يفيد أو لا يزيد الأمر إلا شدة فلا يهجره، لأن الهجر دواء يُستعمل حيث ينفع، وإذا لم ينفع، فإن الأصل تحريم هجر المؤمن، لقول النبي ﷺ: «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**[1]».

ومما زيد في هذا الحديث: الاستنشاق، الاستنشاق من الفطرة لأنه تنظيف وإزالة أذى لما في الأنف، فهو طهارة، والاستنشاق يكون في الوضوء ويكون في غير الوضوء، كلما احتجت إلى تنظيف الأنف فاستنشق الماء ونظّفْ أنفك، وهذا يختلف باختلاف الناس، ومن الناس من لا يحتاج إلى هذا إلا في الوضوء، ومن الناس من يحتاج إليه كثيرًا.

ومن ذلك أيضًا ـ أي من سنن الفطرة ـ المضمضة فإنها من الفطرة؛ لأن فيها تنظيفَ الفم، والفم يحتاج إلى تنظيف؛ لأنه يمر به الأكل والدهن وما أشبه ذلك، فيحتاج إلى تنظيف، فكانت المضمضة من خصال الفطرة.

ومن ذلك أيضًا الاستنجاء، وقد فسّر وكيع انتقاص الماء بأنه الاستنجاء، لأن الاستنجاء تنظيف وتطهير وإزالة أذى.

ومن ذلك أيضًا غسل البراجم، والبراجم قال العلماء: إنها مسقط الأصابع، فإن مسقط الأصابع من الباطن يحتاج إلى تنظيف أكثر من

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم(٥٦١٣)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم(٤٦٤٣).

ظاهرها، لأن ظاهرها ممسوح، ليس فيه شيء يحتاج إلى تنظيف أكثر.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن إعفاء اللحية ـ مع كونه مخالفة للمشركين ـ من خصال الفطرة، فيندفع بذلك شبهة من شبّه، وقال: إن من الكفار اليوم من يُعفي لحيته أفلا يليق بنا أن نُخالفهم ونحلق اللحى؟ انظر ـ والعياذ بالله ـ وسوسة الشيطان. فنقول: إن إعفاءهم اللحية تبعٌ للفطرة، ونحن مأمورون بالفطرة، وإذا شابهونا هم بالفطرة، فإننا لا نمنعهم ولا يقتضي أن نعدل عن الفطرة من أجل أنهم وافقونا فيها، كما أنهم لو وافقونا في تقليم الأظفار فإننا لا نقول نترك تقليم الأظفار بل نقلمها، وهكذا بقية الفطرة إذا وافقنا فيها الكفار فإننا لا نعدل عنها، والله الموفق.

ولنعلم أن الإكثار من استخدام الماء في الوضوء أو الغسل داخل في قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ولهذا قال الفقهاء ـ رحمهم الله ـ يُكره الإسراف ولو كان على نهر جار فكيف إذا كان على آلات تستخرج الماء من جوف الأرض، فالحاصل أن الإسراف في الوضوء وغير الوضوء من الأمور المذمومة.

* * *

٢١٦ـ باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها .

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، لقول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**[١]» والله سبحانه وتعالى يذكرُها كثيرًا مع الصلاة في القرآن الكريم، ولهذا اختلفَ العلماء ـ رحمهم الله ـ هل تاركها يكفُر كما يكفر تارك الصلاة أم لا؟ على قولين .

والزكاة: هي التعبد لله تعالى في دفع مال مخصوص من أموال مخصوصة. هذا المال المخصوص مُقَدّر: ربع العشر، نصف العشر، العشر. وكذلك يدفع لطائفة مخصوصة كما سيأتي إن شاء الله .

والزكاة لها فوائد عظيمة:

منها: تكميل إسلام العبد، لأنها أحد أركان الإسلام، وهي أفضل من الصدقة، يعني لو أدى الإنسان مائة ريال زكاة أو مائة ريال صدقة تطوع، كانت مائة ريال الزكاة أحب إلى الله عزَّ وجلَّ وأفضل .

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم(٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(٢٠).

ومنها: أن الإنسان يخرج بها عن دائرة البخلاء إلى دائرة الكرماء، لأنها بذل مال، والبخل إمساك المال، فإذا بذلها الإنسان خرج عن كونه بخيلاً إلى كونه كريمًا.

ومنها: مضاعفة الحسنات لأن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله مثلهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة. يعني: ريال بسبعمائة ريال أو أكثر.

ومنها: أن فيها جبرًا لقلوب الفقراء ودفعًا لحاجتهم وحماية من غضبهم، لأن الفقراء إذا لم يُعطوا من مال الأغنياء فربما يغضبون ويتجرءون ويكرهون الأغنياء ويرون أنهم في وادٍ والأغنياء في واد، والأمة الإسلامية أمة واحدة يجب أن يعتقد كل إنسان أنه لبنة في سور قصر مع إخوانه المسلمين، لقول النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**[1]».

ومنها: أنها سبب في شرح الصدر، لأن الإنسان كلما بذل شيئًا من ماله شرح الله له صدره، وهذا شيء مجرب وواقع، لو يتصدّق الإنسان بأدنى من واجب الزكاة لوجد في صدره انشراحًا وفي قلبه محبة للخير.

ومنها: أنها تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء، وهذه فائدة عظيمة، تدفع ميتة السوء بمعنى أن الإنسان يموت على أحسن حال،

---

(١) رواه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، رقم(٢٢٦٦)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم(٤٦٨٤).

وحسن الخاتمة ـ أحسن الله لي ولكم الخاتمة ـ أعزُّ ما يكون على الإنسان؛ لأنه وقت فراق الدنيا إلى الآخرة، والشيطان أحرص ما يكون على بني آدم عند الموت، لأنها هي الساعة الحاسمة، إما من أهل النار أو من أهل الجنة، وفي حديث عبد الله بن مسعود: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**[(١)]». فالأعمال بالخواتيم، والصدقة وعلى رأسها الزكاة تدفع ميتة السوء.

ومنها: أن النبي ﷺ أخبر أن كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة، كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة، فالناس تكون الشمس فوق رءوسهم قدر ميل، وهؤلاء المُتصدّقون وعلى رأس صدقاتهم الزكاة، يكونون في ظل صدقاتهم يوم القيامة.

وحكى لي بعض الصلحاء أن رجلاً كان يمنع أهله من الصدقة من البيت يقول: لا تَصّدقوا، وفي يوم من الأيام نام ورأى في المنام كأن الساعة قد قامت، ورأى فوق رأسه ظلاًّ يظله من الشمس إلا أن فيه ثلاثة خروق يقول: فجاءت تمرات فسدت هذه الخروق، فتعجّب ما هذه

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم(٢٩٦٩)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم(٤٧٨١).

الرؤيا؟! ، كيف أَنَّ الثوب مُخَرّق وتجيء التمرات تسد الخروق ، فلمّا قصها على زوجته ، أخبرته بأنها تصدّقت بثوب وثلاث تمرات ، فكان الكساء الأول هو الثوب ، لكنه مخرق وجاءت التمرات الثلاث فسدّت الخروق ، ففرح بذلك وأذن لها بعد هذا أن تتصدق بما شاءت ، فالحاصل أن هذه الرؤيا مصداق قول الرسول ﷺ : «**كل امريء في ظل صدقته يوم القيامة**[(١)]» .

ومنها : أنها تُلين القلب ، حيث إن الإنسان يُعطيها الفقراء المحتاجين فيلين قلبه ويرحمهم ، وفي ذلك تعرّض لرحمة الله لأن الله إنما يرحم من عباده الرحماء ، ولها فوائد كثيرة قد يطول في المقام ذكرها .

وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الآيات التي ذكرها المؤلف . والله الموفق .

* * *

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

الشـرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها . ثم ذكر آيات ثلاثًا ، الآية الأولى قوله تعالى :

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٤٧).

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾؛ فإقامة الصلاة أن تأتي بها مستقيمة على الوجه الذي ورد عن النبي ﷺ، وإيتاء الزكاة هو إعطاؤها لمستحقّها وقد سبق بيان معنى الزكاة، وبيان فوائدها ما يسّره الله تعالى.

ثم ذكر الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾: يعني بذلك الناس ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾: أي يتذللوا له بالعبادة بكل ما تعبّدهم به من عقيدة أو قول أو عمل، ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾: أي مخلصين له العمل، وإخلاص العلم لله أن لا يبتغي الإنسانُ شيئًا بعمله سوى الله عزَّ وجلَّ، لا يبتغي دنيا ولا جاهًا ولا رئاسة ولا غير ذلك، بل لا يريد إلا ثواب الله.

وقوله ﴿ حُنَفَآءَ ﴾: يعني: مائلين عن الشرك، فهو إخلاص بلا إشراك.

وقوله: ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾: وهذا هو الشاهد في قوله ﴿ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾.

قوله ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾، ﴿ وذَلِكَ ﴾ **أي: عبادة الله تعالى** مخلصين له الدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ﴿ دِيْنُ القَيِّمَةِ ﴾، **أي دين الملة القيمة فهو العمل المرضي عند الله عزَّ وجلَّ.**

وقال سبحانه تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً ﴾ **الخطاب للنبي ﷺ** ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً ﴾. **يعني بذلك** الزكاة، ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ **تطهّرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، أما كونها تُطهّر من الذنوب فلقوله**

ﷺ: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**[١]» وأما كونها تطهّر الأخلاق الرذيلة، فلأنها تُلحق الإنسان بالكرماء والمحسنين بما يبذله من أموال الزكاة لمستحقيها. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي تُنمّي أخلاقهم، بعد التطهير من الأخلاق الرذيلة تنمي الأخلاق الفاضلة ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، تزكيهم أيضًا دينًا، فهي تزكية دين وتزكية أخلاق. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي أدْعُ لهم بالصلاة عليهم.

وكان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال لهم: «**اللهم صلِّ عليهم**» امتثالاً لأمر الله. ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ صلاتك عليهم: يعني دعاءك لهم بالصلاة سكن لهم، تُسْكن إليه نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتنشرح صدورهم، ويسهل عليهم بذل المال، والله سميع عليم.

ففي هذه الآيات الثلاث دليلٌ على وجوب الزكاة وأنها من أفضل الأعمال، وسيأتي إن شاء الله الكلام في الأحاديث فيما بعد.

* * *

١٢٠٦ ـ وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسُول الله ﷺ قَالَ: بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إله إلاَّ الله، وَأَنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولهُ، وإقام الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْم رمضانَ[٢]» متفقٌ عليه.

١٢٠٧ ـ وعن طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٩٩)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم(٢٥٤١)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم(٣٩٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

ﷺ مِنْ أهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّاسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ. حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَإذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوات في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تطوَّعَ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ، «وصيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ» قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تَطوَّعَ» قالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، الزَّكَاةَ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لا، إلاَّ أَنْ تَطوَّع» فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ: واللهِ لا أزيدُ على هَذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ[١]» متفقٌ عليه.

١٢٠٨ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إلى اليَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُول الله، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلكَ، فَأَعْلِمْهُم أنَّ الله تَعَالى، افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمسَ صَلواتٍ في كُلِّ يَومٍ وليلة، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لذلك فَأعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افتَرضَ عليهم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائهمْ، وتُرَدُّ على فُقَرائهم[٢]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه هي الأحاديث الثلاثة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة، أما حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم(٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم(١٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

قول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس...» فقد تقدم الكلام عليه مفصلاً ولا حاجة إلى إعادته.

وأما حديث طلحة بن عبيد الله في قصة الرجل النجدي الذي جاء ثائر الرأس يسمعون صوته ولا يفقهون ما يقول وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، فذكر له: خمس صلوات، وصيام رمضان، والزكاة، ولم يذكر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لعلمه ﷺ بأنه قد نطقها وشهد بها لأنه جاء مسلمًا، لكن يريد أن يستفسر عن تفاصيل بعض الأشياء، وفيه قوله ﷺ لهذا الرجل، لما ذكر ﷺ خمس صلوات وصيام رمضان والزكاة، وقال الرجل: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوّع» فدل هذا على أنه لا يجب في اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات، فالوتر ليس بواجب لكنه سنة مؤكدة، وتحية المسجد ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وصلاة العيدين ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وكذلك أيضًا ما اختلف فيه العلماء.

هكذا ذهب بعض أهل العلم وجعل هذا الحديث أصلاً في عدم وجوب ما ذكر؛ ولكن عند التأمل ليس فيه دليلٌ لذلك، يعني أنه لا يدل على عدم وجوب تحية المسجد، وعلى عدم وجوب صلاة العيد، وما أشبهها، لأن هذه صلوات لها أسباب عارضة تجب بوجود أسبابها، إلا أن القول الراجح أن تحية المسجد ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، أما صلاة العيد فواجبة، لأن النبي ﷺ أمر حتى الحُيَّضَ من النساء وذوات الخدور والعواتق أن يخرجن ويصلِّين إلا أن الحُيَّضَ يعتزلن المصلى، وأما الوتر

فنعم في الحديث دليلٌ على أنه ليس بواجب، لأن الوتر يتكرّر يوميًّا، ولو كان واجبًا لبينه الرسول ﷺ لهذا الرجل، فالصواب أن الوتر سنة مؤكدة وليس بواجب، لو تركه الإنسان لا يأثم، لكن من داوم على تركه سقطت عدالته، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من ترك الوتر فهو رجل سوء لا ينبغي أن تُقبل له شهادة.

وأما صيام رمضان، فلا يجب أن يصوم غيرَه، اللهم إلا في النذر، فإن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»[1].

وأما الزكاة فلا يجب غيرها أيضًا في المال، إلا ما كان له سبب كالنفقة على الزوجة والأقارب وكضيافة الضيف، وما أشبه ذلك مما له سبب معين يجب بوجود السبب.

ولما أدبر الرجل قال: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص». عاهد الله عهدًا بيمين أن لا يزيد على هذا ولا ينقص، فقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق، أفلح إن صدق**». وهذا دليلٌ على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أنه لا يُسنّ أن يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة، وكم من إنسان أدى الفريضة وفيها خلل وفيها خروق، وفيها خدوش، تحتاج إلى تكميل وإلى رأب الصدع.

أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذًا إلى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم(٦٦٩٦).

اليمن، فقد سبق الكلام عليه أيضًا، فلا حاجة إلى إعادته، لكن فيه أن الرسول ﷺ قال: «**أعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**» وهذا هو الشاهد في هذا الباب. والله الموفق.

* * *

١٢٠٩ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشهدُوا أنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيموا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأموالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله[1]» متفقٌ عليه.

١٢١٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا تُوُفيَ رسُولُ الله ﷺ وَكَان أَبُوبكْر رضي الله عنه، وَكَفرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العرب، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كيف تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله، فَمَنْ قَالَهَا، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله؟! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: والله لأُقاتلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ والزَّكَاةِ، فإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَال. واللهِ لو مَنَعُوني عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنعِهِ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه فوَ الله مَا هُوَ إلاَّ أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بكرٍ للقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحقُّ[2]» متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، رقم(٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم(٣١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٢)، ومسلم: كتاب =

الشــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها. ذكر منها ما سبق الكلام عليه، وذكر منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**». قوله: «**أُمِرْت**» الآمر له هو الله عزَّ وجلَّ، وفي هذا دليلٌ على أن النبي ﷺ عبد مأمور مُكلّف يُؤمر ويُنهى كما يؤمر وينهى سائر الناس، لأنه عبد من عباد الله عليه الصلاة والسلام، ليس ربًّا ولا يملك شيئًا من حقوق الربوبية، بل هو عبد يُؤمر ويُنهى، وربما يحصل له أكبر من ذلك، لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]. يعاتبه ربه عزَّ وجلَّ، ويقول له سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فمن زعم أن محمدًا ﷺ له شيء من الربوبية وأنه ينفع ويضرّ ويجيب الدعوة ويكشف السوء، فقد أشرك بالله وكفر بمحمد ﷺ.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا**

= الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٩).

إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة» يقاتل من امتنع من واحد من هذه الأربع: من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومن إقام الصلاة، ومن إيتاء الزكاة. يقاتلهم حتى يُذعنوا ويرضخوا لهذه الأربع، فإذا فعلوا ذلك يعني: شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، «**عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ**». يعني: إذا فعلوا ذلك فقك استسلموا ظاهرًا فيعصمون دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله، لأن من الناس مَنْ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، وقلبه منطوٍ على الكفر، ولهذا قال: «**حسابهم على الله**» فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله، لكن لا يذكرون الله إلا قليلاً. ويقولون لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله، ويقيمون الصلاة ولكن لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ويتصدّقون ولكن لا ينفقون إلا وهم كارهون. ومع ذلك قلوبهم منطوية على الكفر ـ نسأل الله العافية ـ ولهذا قال: «**وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ**».

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تحاور أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخليفة الأول لرسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، تحاورا في مسألة دينية، مع أن كل واحد منهما يحب الآخر حبًّا عظيمًا، لكن هذه المحبة لا تمنع من المحاورة والمراجعة الدينية؛ لأن الدين فوق كل شيء، لما كان أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ باختيار الصحابة له أن يكون الخليفة مِنْ بعد الرسول

وكذلك بإشارة النبيّ ﷺ إليه حيث خلفه عنه في الحج وهي إمامة كبرى بالنسبة للناس، وفي الصلاة وهي إمامة صغرى، لأن أمير الحج يؤمُّ مِنَ الناس أكثر مما يؤمه إمام المسجد، خلَّفه النبي ﷺ إمامًا للمسجد حين مرض وخلَّفَه في الحج بالناس عام تسع من الهجرة، واتفق الصحابة بعد موت الرسول ﷺ على أن الخليفة من بعده أبو بكر، ارتدّ مَن ارتدّ من العرب والعياذ بالله ـ وقد أشار الله إلى هذا في قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقد حصل هذا، ارتد من ارتد مَن العرب ومنعوا الزكاة وكفروا بالله، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه فحاوره عمر رضي الله عنه، قال: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله». وهذا هو الذي سمعه عمر من النبي ﷺ وإلا فابنه سمع من الرسول أكثر من ذلك، سمع من الرسول ﷺ أنه قال: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» لكن عمر روى ما سمع: «حتى يقولوا لا إله إلا الله» فقال أبو بكر رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عقالاً ـ يعني عقال بعير ـ كانوا يُؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك». وهذا دليلٌ على حزمه رضي الله عنه مع أنه ألين من عمر، لكن في مواقف الشدة والضيق يكون أبو بكر أحزم من عمر: نضرب لكم أمثلة.

منها هذا المثال: عمر رأى ألا يقاتل الناس لكن بعد مراجعة أبي بكر له، علم أنه الحق، لما رأى أن الله قد شرح صدر أبي بكر لقتالهم وهو

الخليفة من بعد الرسول عرف أنه الحق، إذ أن الله سبحانه وتعالى لم يشرح صدر هذا الخليفة الراشد (أول خليفة في الأمة الإسلامية) إلا لحقٍّ، عرف أنه الحق لما شرح الله صدر أبي بكر له. هذا موقف صار أبو بكر أجلد من عمر وأشد وأثبت.

والموضع الثاني: لما مات الرسول ﷺ أظلمت المدينة واضطرب الناس وصار يومًا عصيبًا واجتمع الناس في المسجد وقام عمر رضي الله عنه وقال: «إن النبي ﷺ لم يمت ولكنه صعد - يعني: غُشي عليه - وليبعثنه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم» هكذا قال وكان يقولها بجد وحزم. وكان أبوبكر رضي الله عنه حين مات الرسول ﷺ في حائط له خارج المدينة، فذهبوا فأخبروه، فجاء إلى الرسول ﷺ وكشف عن وجهه وقد غُطّي عليه الصلاة والسلام وقال: «**بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وميتًا، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة الأولى فقد مِتَّها**» ثم خرج إلى الناس، وإذا عمر يتكلّم، منكرًا موته ويقول: «**ما مات، غشي عليه وليبعثنه الله**» فقال أبو بكر: «**على رِسلك**» يعني أرفق، فجلس عمر أو بقي قائمًا، فصعد أبو بكر المنبر وخطب الناس خطبة عظيمة بليغة في هذا المقام الضنك. وقال: «**أما بعدُ: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات**» رضي الله عنه وهو أشد الناس فجيعة به «**ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا قوله تعالى**: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى

﴿ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. يقول عمر: «حتى عثرت فما تُقلّني رجلاي[١]» يعني: لا يقدر أن يقف، فجلس، لأنه علم أن هذا هو الحق. فانظر إلى ثبات أبي بكر في هذا المقام العظيم.

أما الموضع الثالث: فهو في صلح الحديبية: صلح الحديبية فيه شروط ظاهرها فيه غضاضة على المسلمين، منها: أن من جاء من قريش مسلمًا رده الرسول إلى قريش، ومن ذهب من المسلمين إلى قريش فلا يلزمهم رده. هذا الشرط ظاهره أنه إجحاف، عجز عمر، فلا يبصر على هذا، فقال: «يا رسول الله، كيف؟ كيف؟ من خرج منهم مسلمًا وجاء مهاجرًا إلينا نردُّه، ومن ذهب منّا إليهم لا يردونه؟ كيف نعطي الدنية في ديننا؟ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال ﷺ: «**بلى، لكن هذا أمر الله، وأنا عبد الله ورسوله، ولن أعصي الله، وسينصرني الله عزَّ وجلَّ**[٢]». فعجز عمر، فذهب إلى أبي بكر يستنجد به لعله يشير على الرسول ﷺ بعدم الموافقة، فكان جواب أبي بكر رضي الله عنه كجواب الرسول ﷺ حرفًا بحرف، مواقف عظيمة في هذا المقام الضنك، قال: «إنه رسول الله وإن الله ناصره، فاستمسك بغرزه» يقول لعمر، يعني: احذر أن تخالفه فإنه على الحق.

في هذه المواقف الثلاثة العظيمة تبيّن ثبات أبي بكر رضي الله عنه وأنه

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً، رقم(٣٦٧٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم(٢٥٢٩)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم(٣٣٣٨).

أثبت الصحابة وأحق الصحابة بالخلافة وأحزمهم، وأعقلهم، وهكذا يتبين حال الإنسان الثابت الذي ينظر إلى الأمور من بعيد ويسبر غورها، والإنسان الذي عنده غيرة لا ينبغي له أن يتعجل، فالتعجل قد يكون فيه غرر.

المهم من هذا الحديث أو الفائدة منه في هذا الباب الذي بوبه الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ أن من امتنع من الزكاة وجب على الإمام قتاله حتى يؤدي الزكاة. والله الموفق.

* * *

١٢١١ ـ وَعَنْ أَبِي أَيّوب رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّة، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ[١]» متفقٌ عليه.

١٢١٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه أَنَّ أعرابيًّا أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ الله دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجَنَّة. قال: «تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاة، وتُؤتِي الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمضَانَ» قالَ: والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هذا. فَلَمَّا وَلَّى، قال النَّبيُّ ﷺ «مَنْ سرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا[٢]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم(١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم(١٥).

١٢١٣ ـ وَعَنْ جَرير بن عبدِ الله رضي الله عنه قالَ: بَايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ عَلَى إقامِ الصَّلاةِ، وَإيْتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[(١)]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها، حديث أبي أيوب وأبي هُريرة وجرير، وكلها تدل على ما سبق من أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من فرائض الإسلام، وفي حديث أبي أيوب زيادة (وتصل الرحم) والرحم: هم القرابة من جهة الأب أو من جهة الأب، وصلتهم بما جرى به العرف والعادة لأن النبي ﷺ لم يبين كيفية الصلة، وكل شيء جاء في الكتاب والسنة ولم يُبيّن فإن مرجعه إلى عادة الناس وعرفهم. وهذا يختلف باختلاف الأحوال واختلاف الأزمان واختلاف البلدان، ففي حالة الحاجة والفقر وشدة المؤنة تكون صلتهم بإعطائهم ما يتيسر من المال وما يسد حاجتهم، وكذلك إذا كان هناك مرض في القرابة فإن صلتهم أن تعودهم وتتكرر عليهم حسب ما بهم من المرض وحسب القرابة. وإذا كانت الأمور ميسرة وليست هناك حاجة كما في عرفنا اليوم، فإنه يكفي أن تصلهم بالهاتف أو بالمكاتبة، أو في المناسبات البعيدة كالأعياد وغير ذلك، والمهم أن صلة الرحم واجبة، لكنها غير محددة في الشرع، فيرجع فيها إلى ما جرى به العرف وتعارفه الناس بينهم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين، رقم(٥٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم(٨٣).

وأما في حديث جرير بن عبد الله ففيه زيادة على ما سبق ـ من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ـ أن (النصح لكل مسلم)، أن الإنسان ينصح لكل مسلم بحيث يعامله كما يعامل نفسه وكما يحب أن يعامله الناس، فلا يكذبه ولا يخذله ولا يخدعه ولا يغشه ولا يخونه ويكون له ناصحًا من كل وجه، وإذا استشاره في شيء وجب عليه أن يشير عليه بما هو الأصلح له في دينه ودنياه. وقد ذُكر أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه حينما بايع النبي ﷺ على هذه البيعة: (النصح لكل مسلم)، ذُكر عنه أنه اشترى فرسًا من شخص بثمن ثم إنه لما ركبه ورأى الفرس جيدًا، رجع إلى البائع وقال: «إن فرسك هذا يساوي أكثر» فزاده ثم ذهب به ووجده يساوي أكثر، فرجع إليه وقال: «إن فرسك هذا يُساوي أكثر» فزاده، إلى أن زاده بقدر الثمن الأول مرة أو مرتين»؛ لأنه بايع النبي ﷺ على: «النصح لكل مسلم».

فعلى المرء أن يكون وَصُولاً لرحمه وأن يكون ناصحًا لإخوانه المسلمين. وفي حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]. والله الموفق.

* * *

١٢١٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلاَ فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إِذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أن الدين النصيحة، رقم(٥٥).

صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَت لَهُ في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألف سنةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ، إِمَّا إلى الجَنَّة، وَإِمَّا إلى النَّار» قِيلَ: يا رسولُ اللهِ فَالإِبِلُ؟ قالَ: «ولا صَاحب إبلٍ لا يُؤدي منها حقَّها، ومِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَة بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أوفَرَ ما كَانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً واحدًا، تَطؤُهُ بِأَخْفَافِها، وتَعَضُّهُ بِأَفواهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاها، رُدَّ عليهِ أُخْرَاهَا، في يوم كانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سنةٍ، حتَّى يُقْضى بَيْنَ العِبَادِ، فَيُرَى سَبيلُه، إِمَّا إلى الجَنَّةِ وإِمَّا إلى النار».

قيلَ: يَا رسولَ اللهِ فَالْبَقَرُ والغَنَمُ؟ قالَ: «وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّها، إلاَّ إذا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بقاعٍ قرقَرٍ، لا يَفْقِد منْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فيها عَقْصَاءُ، ولا جَلْحَاءُ، وَلاَ عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونها، وتَطَؤُهُ بِأظْلافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عليهِ أُولاها، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاها، في يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلفَ سَنَة حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيُرَى سَبِيْلُهُ إِمَّا إلى الجَنَّةِ وَإِمَّا إلى النَّارِ».

قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ فالخَيْلُ؟ قَالَ: «الخيلُ ثَلاثَةٌ، هي لِرَجُلٍ وزرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرجُلٍ أجْرٌ، فَأَمَّا التي هي لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِواءً على أَهْلِ الإسلام، فهي لَهُ وزرٌ، وَأَمَّا التي هي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سبيل الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله في ظُهُورِهَا، وَلاَ رِقَابِهَا، فهي لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا التي هي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبِيلِ الله لأهْلِ الإسْلامِ في مَرْجٍ، أَوْ رَوضَةٍ فَمَا أَكَلَت مِنْ ذلِكَ المرجِ أو الرَّوضَةِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلتَ حَسناتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدًا أرواثها وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلاَ تَقْطَعُ طولَهَا فاسْتَنَّت شَرَفًا أو شَرفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ الله

لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وأرْواثها حَسَنَاتٍ، ولا مَرَّ بها صَاحبُها عَلَى نهرٍ، فَشربت منه ولا يُريد أنَّ يسقيها إلا كَتَبَ اللهُ له عَدَدَ ما شَرِبَت حَسَنَاتٍ».

قِيلَ: يا رسولَ الله فالحُمُرُ؟ قالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ في الحُمُرِ شَيْءٌ إلاَّ هذِهِ الآيَةُ الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ **[الزلزلة: ٧، ٨]**(١).

متفقٌ عليه. وهذا لفظُ مُسْلِمٍ. ومعنى القَاعِ: المكان المستوى من الأرض الواسع. والقَرقَر: الأملس.

الشـرح

هذا الحديث الذي أورده المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب الزكاة وبيان فضلها، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم مطولاً، فيه ذكر النبي ﷺ الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والخيل والحمر، وذكر حكم كل منها عليه الصلاة والسلام وهكذا كان ﷺ يبين للناس بيانًا شافيًا كافيًا حتى ترك أمته وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، فقال ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى به جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى**

---

(١) رواه البخاري: كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، رقم(٢١٩٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم(١٦٤٧).

الجنة وإما إلى النار». فالذهب والفضة تجب الزكاة في أعيانهما في كل حال، فالزكاة واجبة في أعيان الذهب والفضة في كل حال سواء أعدها الإنسان للنفقة أو للزواج، أو لشراء بيت يحتاج إلى سكناه، أو لشراء سيارة يحتاج إلى ركوبها، أو ادخرهما ليستكثر بالمال، أو غير ذلك، ففيهما الزكاة على كل حال، حتى ذهب المرأة الذي تلبسه والفضة التي تلبسها تجب عليها الزكاة، تجب عليها الزكاة فيها على كل حال، لكن لابد من بلوغ النصاب وهو في الذهب خمسة وثمانون جرامًا ونصف جرام، والفضة خمسمائة وخمسة وتسعون جرامًا، فإذا كان عند الإنسان من الفضة هذا المقدار، ومن الذهب ذلك المقدار وجب عليه الزكاة على كل حال، فإن لم يفعل فجزاؤه ما ذكره النبي ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار»** لا من ذهب وفضة، بل من نار ـ والعياذ بالله ـ قطع نارية يحمى عليها في نار جهنم، ونار جهنم فُضّلت على نار الدنيا كلها بتسعة وستين جزءًا، نار الدنيا كلها حتى نار الغاز وما هو أشد حرارة، نار جهنم فُضّلت عليه بتسعة وستين جزءًا. نسأل الله أن يجيرنا وإياكم منها ـ يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه، يعني الجنب الأيمن والأيسر، وجبينه: يعني وجهه، وظهره، كلما بردت أعيدت فلا يبقى حتى تبرد ويسكت عنه، بل كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ليس ساعة ولا ساعتين ولا شهرًا ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين، خمسون ألف سنة وهو يُعذّب هذا العذاب ـ والعياذ بالله ـ، حتى يُقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. نسأل الله العافية والسلامة.

وعلى هذا يكون هذا الحديث كالتفسير لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. ومعنى يكنزونها أي: لا يؤدون زكاتها، كما فسرها بذلك أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأن ما لا يؤدى زكاته فهو كنز، ولو كان على رؤوس الجبال، وما تُؤدى زكاته فليس بكنز ولو كان في باطن الأرض، فالكنز ما لا تؤدى زكاته.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]. وهذا عذاب وألم جسدي، ويعذبون عذابًا قلبيًا، فيُقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. فيحصل لهم العذاب الجسدي، والعذاب القلبي بالتوبيخ والتأنيب، فماذا يكون قلبه في تلك الساعة وهو يُقال له: هذا ما كنزت لنفسك؟ سيقطّع قلبه، ألم جسدي، وألم قلبي - والعياذ بالله - هذا جزاء من لا يؤدي الزكاة من الذهب أو الفضة. وما قام مقام الذهب والفضة في النقدية فله حكمه، وعلى هذا فمن عنده أوراق تساوي هذا المبلغ من الذهب والفضة، فعليه أن يزكيها، ومعاملة الناس الآن في جميع الدول أو غالب الدول كلها بالأوراق، ولدينا فئة ريال، فئة خمسة، فئة عشرة، فئة خمسين، فئة مائة، فئة خمسمائة، هذه الأوراق تقوم مقام الذهب والفضة لأنها جُعلت بدلاً عنها في التعامل بين الناس، فإذا ملك الإنسان أوراقًا تساوي هذا القدر من الفضة، فعليه زكاته، يعني تساوي (٥٦) ريالاً عربيًّا من الفضة فعليه الزكاة، ومعلوم أن الفضة ترتفع أحيانًا وتنزل أحيانًا، فيقدر قيمتها إذا

وجبت عليه الزكاة، فإذا بلغت النصاب أي (٥٦) ريالاً من الفضة فعليه زكاته، ومقدار الزكاة ربع العشر.

ثم ذكر النبي ﷺ الإبل والبقر والغنم، وجعل من حق الإبل حلبها يوم وردها، إذا وردت على الماء فإنها تُحلب، وجرت العادة أنهم يحلبونها ويتصدّقون بها على الحاضرين، هذا من حقها؛ لأن الإبل روايا كبيرة، فيها ألبان كثيرة، فإذا وردت الماء درّت، وإذا درّت صار فيها فضل كثيرٌ من اللبن، فإذا جاء الفقراء يوزع عليهم، هذا من حقها.

وذكر عليه الصلاة والسلام الخيل، وأنها ثلاثة أنواع: أجر ـ وستر ـ ووزر.

وأما الحمر فإنه قال: لم ينزل عليه فيها شيء. إلا هذه الآية الجامعة الفذة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. فإن استعملت الحمير في خير فهي خير، وإن استعملها الإنسان في شر فهي شر. والله الموفق.

* * *

٢١٧- باب وجوب صوم رمضان
وبيان فضل الصيام وما يتعلق به

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ إلى قَولِهِ تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

الشــرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصوم وما يتعلق به.

ذكره - رحمه الله تعالى - بعد الكلام على الزكاة لأن هذا هو الترتيب الذي جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في مُساءلة جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها.

صوم رمضان: هو التعبد لله سبحانه وتعالى بترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، هذا هو الصيام: أن يتعبّد الإنسان لله بترك هذه الأشياء، لا أن يتركها على العادة أو من أجل الحمية البدنية، ولكنه يتعبّد لله بذلك، يمسك عن الطعام والشراب والنكاح، وكذلك سائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن هلال رمضان إلى هلال شوال.

وصيام رمضان أحد أركان الإسلام، هذه منزلته في دين الإسلام، وهو فرض بإجماع المسلمين، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

ثم ذكر المؤلف الآيات التي تدل على هذا فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ فوجه الله الخطاب إلى المؤمنين؛ لأن صيام رمضان من مقتضيات الإيمان؛ ولأن صيام رمضان يكمل به الإيمان؛ ولأن ترك صيام رمضان ينقص به الإيمان.

واختلف العلماء فيما لو تركه تهاونًا وكسلاً، هل يكفر أم لا؟. والصحيح أنه لا يكفر، وأنه لا يكفر الإنسان بترك شيء من أركان الإسلام سوى الشهادتين والصلاة.

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، أي فُرض - وقوله: ﴿ كَمَا كُتِبَ ﴾ أي كما فرض على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. وإنما ذكر الله تعالى أنه فُرض على من قبلنا، ولم يذكر مثل ذلك في الصلاة؛ لأن الصيام فيه مشقة، وتعب، وترك للمألوف، ولا يخفى أنه في أيام الحر وطول النهار يكون شديدًا على النفوس، فذكر الله أنه فرضه على من قبلنا تسلية لنا؛ لأن الإنسان إذا علم أن هذا الشيء له ولغيره هان عليه، وذكره أيضًا من أجل أن يبين أنه جل وعلا أكمل لنا الفضائل، كما أكمل لمن سبقنا ما شاء من الفضائل.

وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ أي: لأجل أن تتقوا الله؛ لأن الصيام جُنَّة، يقيك من المعاصي، ويقيك من النار؛ لأن من صام رمضان إيمانًا

واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه فقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي من أجل التقوى، وهذه هي الحكمة من إيجاب الصوم، ويدل على هذا قوله ﷺ: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه[1]»؛ لأن الله لم يرد أن يعذب العباد بترك ما يشتهون ويألفون، ولكنه أراد أن يَدَعُوا قول الزور والعمل به والجهل.

ثم قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ذكرها على وجه التقليل ليبين أن المسألة ليست شهورًا ولا سنوات ولكنها أيام، وليست طويلة، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهذا أيضًا تسهيل آخر.

أولاً: الأيام قليلة، أيام معدودة.

ثانيًا: أن من كان يشق عليه الصوم لمرضه، أو سافر فإنه يفطر، وعليه عدة من أيام أخر.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وهم مقيمون ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذا في أول الأمر، أول ما فرض الله الصوم قال للذين يطيقونه، عليكم فدية طعام مسكين، فإن تصدّقتم فهو خير لكم، وأن تصوموا خيرٌ لكم، فخيّر الله الناس في أول الأمر بين أن يصوم الإنسان، أو يطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم تعين الصيام

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم(١٧٧٠).

في الآية التي بعدها.

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إن كنتم من ذوي العلم، الذين يفهمون، ووجه ذلك أن الصوم أشق على كثير من الناس من إطعام المسكين، فلما كان أشق علم أنه أفضل، لأن الإنسان إذا عمل عبادة شاقة بأمر الله، كان أجرها أعظم، ومن ثَمَّ كان الأبعد من المسجد أعظم أجرًا من الأدنى من المسجد؛ لأنه أكثر عملاً، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يطلب المشقة في العبادات التي يسّرها الله، فإن هذا من التنطع في الدين، لكن إذا كلفك الله بعبادة، وشقّت عليك صار هذا أعظم أجرًا، أما أن تطلب المشقة كما يفعل بعض الجهال في أيام الشتاء مثلاً يذهب فيتوضأ بالماء البارد، يقول: لأن إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات، ويمحو به الخطايا، نقول: يا أخي ما هذا أراد الرسول ﷺ، إنما أراد الرسول ﷺ أن الإنسان إذا توضأ بماء بارد في أيام الشتاء كان أعظم أجرًا، ولكنه لم يقل: اقصد الماء البارد، فإذا منَّ الله عليك بماء ساخن تستطيع أن تسبغ الوضوء فيه إسباغًا كاملاً فهذا أفضل.

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا ﴾ وقسم العلماء ـ رحمهم الله ـ المرض إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مرض لا يُرجى برؤه، بل هو مستمر، فهذا لا صيام على المريض ولكن عليه أن يُطعم عن كل يوم مسكينًا؛ لأنه من جنس الكبير العاجز عن الصوم الذي لا يرجى زوال عجزه.

القسم الثاني: المريض مرضًا يضره الصوم، ويخشى عليه أن يهلك

به، كمريض لا يستطيع الاستغناء عن الماء، مثل بعض أنواع المرض السكري وما أشبه ذلك فهذا يحرم عليه الصوم، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

والقسم الثالث: مرض يشق معه الصوم، لكن لا ضرر فيه، فهنا الأفضل أن يفطر ولا يصوم، ويقضي بعد ذلك، وأما المرض الذي لا يؤثر فيه الصيام شيئًا كمرض العين اليسير ومرض السن، وما أشبه ذلك، فإنه لا يجوز فيه الفطر؛ لأن الحكمة من الرخصة هي إزالة المشقة، وهذا لا مشقة عليه إطلاقًا، فلا يحل له الصوم، والأصل وجوب الصوم في وقته إلا بدليلٍ بَيِّنٍ واضح يبيح للإنسان أن يفطر ثم يقضي بعد ذلك.

وأما السفر، فإن السفر ينقسم فيه الصوم أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم يضره الصوم ويشق عليه مشقة شديدة بسبب سفره، مثل أن يسافر في أيام الحر، والأيام الطويلة، ويعلم أنه لو صام لتضرر به وشق عليه مشقة غير محتملة، فهذا يكون عاصيًا إذا صام، والدليل لذلك أن النبي ﷺ شُكي إليه أن الناس قد شق عليهم الصيام وهم في سفر، فدعا بماء فشربه، والناس ينظرون إليه حتى لا يكون في صدورهم حرج إذا أفطروا، وكان ذلك بعد العصر، ولكن بعض الصحابة رضي الله عنهم بقوا على صومهم، فجيء إلى النبي ﷺ، وقيل له: إن بعض الناس قد صام، فقال: «**أولئك العُصاة، أولئك العصاة**[1]»، فوصفهم بالعصيان لأنهم لم يقبلوا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، =

رخصة الله مع مشقة ذلك عليهم مشقة شديدة.

والقسم الثاني: من يشق عليه مشقة ولكنها محتملة، فهذا يكره له الصوم، وليس من البر أن يصوم، ودليل ذلك أن النبي ﷺ كان في سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظُلّل عليه، قال: «ما هذا؟!» قالوا: صائم، فقال ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر[١]».

والقسم الثالث: من لا يتأثر بالسفر إطلاقًا، يعني: هو صائم ولا يتأثر، لأن النهار قصير والجو بارد، ولا يشق عليه، فهذا اختلف فيه العلماء أيهما أفضل، أن يفطر أو يصوم أو يُخيّر؟ والصحيح أن الأفضل أن يصوم، لأن ذلك أشد اتباعًا لسنة النبي ﷺ، ولأنه أيسرُ على المكلف، فإن الصيام مع الناس أيسر من القضاء - كما هو معروف -، ولأنه أسرع في المبادرة إلى إبراء الذمة، ولأنه يوافق الزمن الذي يكون الصوم فيه أفضلَ وهو شهر رمضان، فمن أجل هذه الوجوه الأربعة صار الصوم أفضل.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارٍّ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وعبد الله بن رواحة»[٢].

= رقم(١٨٧٨).

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل، رقم(١٨١٠)، ومسلم: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في السفر، رقم(٦٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر، رقم(١٩٤٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر،(١١٢٢).

هذا حكم الصوم في السفر، والسفر عام فيمن يسافر للعمرة، أو يسافر لغير ذلك، وفيمن سفره دائم، وسفره عارض، وعلى هذا فإن أهل السفر لسيارات الأجرة للركاب، وأهل سيارات الحمولة يُفطرون ولو كان سفرهم مستمرًا؛ لأن لهم وطنًا، يأوون إليه، فإذا فارقوا هذا الوطن فهم مسافرون، فإن قال قائل: متى يصومون؟! قلنا: يصومون في أيام الشتاء أيسر لهم وأسهل، أو إذا قدموا إلى بلدهم في رمضان يلزمهم الصوم لأنه زال عنهم السفر، والله الموفق.

* * *

١٢١٥ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي به. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطْرِه، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ[1]» متفقٌ عليه.

وهذا لفظ رواية البخاري، وفي رواية له: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ، مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا[2]».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلَى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم(١٧٧١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم(١٧٦١).

سَبْعِمَائَةَ ضِعْفٍ. قال الله تعالى: «إلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ: يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. ولخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ[1]».

الشرح

هذا الحديث حديث أبي هريرة نقله المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب وجوب الصوم بعد أن ذكر الآيات.

وذكر فيه فوائد:

أولاً: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الصوم له، وعمل ابن آدم الآخر ـ أي غير الصوم ـ لابن آدم، يقول الله تعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي»**.

والمعنى: أن الصيام يختصه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بين سائر الأعمال، لأنه ـ أي الصيام ـ أعظم العبادات إخلاصًا؛ فإنه سرٌّ بين الإنسان وبين ربه، لأن الإنسان لا يُعلَم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، هو مع الناس يذهب ويأتي، ويخرج ويدخل ولا يُعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا، فاختصه الله من بين سائر الأعمال، قال بعض العلماء: ومعناه: إذا كان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وكان على الإنسان مظالم للعباد، فإنه يؤخذ للعباد من حسناته إلا الصيام فإنه لا يؤخذ منه شيء، لأنه لله عزَّ وجلَّ وليس للإنسان، وهذا معنى جيد، أن الصيام يتوفر أجره لصاحبه ولا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٥).

يؤخذ منه لمظالم الخلق شيءٌ.

ثانيًا: ومنها أن عمل ابن آدم يجزى به الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصوم، فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني: أنه يضاعف أضعافًا كثيرة.

قال أهل العلم: وذلك لأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله.

أما الصبر على طاعة الله: فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحيانًا، يكرهه لمشقته، لا لأن الله فرضه، لو كره الإنسان الصوم لأن الله فرضه لحبط عمله، لكنه كرهه لمشقته، ومع ذلك يحمل نفسه عليه، فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**».

أما الصبر عن معصية الله، وهذا حاصل للصائم، فإنه يصبر عن نفسه عن معصية الله عزَّ وجلَّ، فيتجنب اللغو والرفث والجهل والزور وغير ذلك من محارم الله.

أما الصبر على أقدار الله: وذلك أن الإنسان يصيبه في حال الصوم ـ ولا سيما في أيام الصيف الطويلة الحارة ـ من الكسل والملل والعطش ما يتألم منه ويتأذى به، ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله.

فلما اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة كان أجره بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثًا: ومن الفوائد التي اشتمل عليها هذا الحديث: أن للصائم فرحتين: الفرحة الأولى عند فطره إذا أفطر، يفرح بفطره من وجهين:

الوجه الأول: أنه أدّى فريضة من فرائض الله، وأنعم الله بها عليه، وكم من إنسان في المقابر يتمنّى أن يصوم يومًا واحدًا فلا يحصل له، وهذا قد منَّ الله عليه بالصوم، فصام، فهذه نعمة، فكم من إنسان شَرع في الصوم ولم يُتِمّه، فإذا أفطر فرح لأنه أدَّى فريضة من فرائض الله.

والوجه الثاني: ويفرح أيضًا فرحًا آخر، وهو أن الله أحل له ما يُوافق طبيعته من المآكل والمشارب والمناكح، بعد أن كان ممنوعًا منها.

فهاتان فرحتان في الفطر:

الأولى: أن الله منَّ عليه بإتمام هذه الفريضة.

الثانية: أن الله منَّ عليه بما أحلّ له من محبوباته من طعام وشراب ونكاح.

رابعًا: ومن فوائد هذا الحديث: الإشارة إلى فوائد الصوم وإلى الحكمة من فرض الصوم، حيث قال ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**» يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا، فإن سابه أحدٌ أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول: إني صائم، يقول ذلك؛ لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن أقابلك بما سببتني به ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا؟.

كذلك أيضًا إذا قال: «**إني صائم**» يُردع نفسه عن مقابلة هذا الذي سابّه. كأنه يقول لنفسه: «إني صائم، فلا ترُدِّي على هذا الذي سب» وهذا أيضًا معنى جليل عظيم، ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى من الدنيا ما يعجبه

وخاف أن تتعلّق نفسه بذلك، قال: «**لبّيك إن العيش عيش الآخرة**[١]».
فالنفس مجبولة على محبة ما تميل إليه، وشهواتها فإذا رأى ما يعجبه من الدنيا فليقل: «لبيك» يعني إجابة لك يا رب. «**إن العيش عيش الآخرة**» وأما عيش الدنيا فإنه زائل وفان.

فهذه من فوائد الصوم نقلها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفي هذا الحديث نوعان من أنواع الحديث: ألفاظ قدسية من كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ التي رواها النبي ﷺ عن ربه، وألفاظ نبوية من عند النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

١٢١٦ ـ وَعَنْ أَبِيْ هُرَيرَةَ رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيْلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةُ دُعِيَ مَنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الريَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بِأَبِي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأبْوَابِ مِنْ ضَرُورة، فهلْ يُدعى أحدٌ من تِلْكَ الأبْوَابِ كلِّهَا؟ قال: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنهُمْ[٢]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٥١١)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم(٣٣٦٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم(١٧٦٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم(١٧٠٥).

١٢١٧ - وعن سَهلٍ بن سعدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّان، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهم، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُون؟ فَيَقُومُون لا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُم، فَإِذَا دَخلوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ[1]» متفقٌ عليه.

١٢١٨ - وَعَنْ أَبِي سَعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَومًا فِي سَبِيلِ اللهِ إلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَومِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِيْنَ خَرِيفًا[2]» متفقٌ عليه.

١٢١٩ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[3]» متفقٌ عليه.

الشـــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف - رحمه الله - كلها تدل على فضل الصيام، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير**».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم(١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم(٢٦٢٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم(١٩٤٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، رقم(٣٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم(١٢٦٨).

«**من أنفق زوجين**» زوجين: صنفين، مثل أن ينفق دنانير ودراهم أو دراهم وأمتعة أو خيل وإبل وما أشبه ذلك، قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ [الواقعة: ٧]. أي أصنافًا ثلاثة، ثم ذكر الرسول ﷺ أبواب الجنة وفي قوله: «**دعي من أبواب الجنة: ياعبد الله هذا خير**» يعني أن الملائكة تدعوه من كل باب فتقول: هذا خيرٌ هذا خيرٌ هذا خيرٌ يعني: فادخل معه، وهذا يدل على فضل الإنفاق في سبيل الله والجهاد في سبيل الله.

وفي هذا الحديث أيضًا أنه من كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان يعني هذا الباب خاص يسمى باب الريان، الريان يعني الذي يروي لأن الصائمين يعطشون ولا سيما في أيام الصيف الطويلة الحارة فيجازون بتسمية هذا الباب يما يختص بهم باب الريان.

وقوله: «**من كان من أهل الصلاة... من أهل الصدقة، من أهل الجهاد... من أهل الصيام**» يعني من كان يكثر من هذا الشيء وهذا لا يعني أن من صام فقط ولم يكن يصلي فإنه لا يدخل الجنة لأنه كافر، لكن المراد بذلك المسلمين الذين يكثرون الصلاة فإنهم يدعون من باب الصلاة، والذين يكثرون من الصيام يدعون من باب الصيام، والذين يكثرون من الصدقة يدعون من باب الصدقة، وعلى كل حال من كان من أهل الجنة دخل الجنة من أي باب كان، وأبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة، أما أبواب النار فقد ذكرها الله في القرآن فقال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤]. أما أبواب الجنة الثمانية

فصحت بها السنة عن النبي ﷺ.

ولما حدث النبي ﷺ بهذا الحديث، قال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما على من دعي من أحد هذه الأبواب من ضرورة! يعني: الذي يدعى من باب واحد لا يشق عليه، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها! يعني كل باب عليه ملائكة ينادون عليه، يا فلان تعالَ، قال: «نعم»، يعني: يمكن أن يكون الإنسان كثير الصلاة كثير الصدقة، والجهاد، فيدعى من الأبواب كلها قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» فأبو بكر رضي الله عنه يدعى من الأبواب الثمانية كلها؛ لأنه رضي الله عنه سبَّاق إلى الخير، كل خير له فيه نصيب، حتى إنه رضي الله عنه عندما حث النبيُّ ﷺ ذات يوم على الصدقة، ورغَّب فيها، فأتى عمر رضي الله عنه وكان يحب أن يسبق أبا بكر لا حسدًا لأبي بكر، ولكن حبًّا في السبق إلى الخير، فأتى عمر بنصف ماله للصدقة فلما جاء إلى النبي ﷺ إذا أبو بكر قد جاء بجميع ماله، كل ماله، فقال له الرسول: ماذا تركت لأهلك؟ قال: تركت لهم الله ورسوله. قال عمر: والله لا أسابقه بعدها أبدًا؛ لأن أبابكر رضي الله عنه أسبق الصحابة إلى الخير، وأقواهم إيمانًا، وأشدهم تصديقًا بالله ورسوله.

ثم ذكر أحاديث أخرى كلها تدل على الصيام، آخرها قوله في حديث أبي هريرة: «من صام رمضان إيمانًا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» إذا صام إيمانًا بالله، واحتسابًا بثواب الله فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه.

١٢٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحتْ أبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٢١ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صُومُوا لِرُؤيَتِه، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ[(٢)]» متفقٌ عليه وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم: «فَإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا[(٣)]».

الشــرح

نقل الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب وجوب صوم رمضان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النيران، وصفدت الشياطين» هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:

الأول: تفتح أبواب الجنة، ترغيبًا للعاملين لها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة القرآن وغير ذلك.

والثاني: وتغلق أبواب النيران؛ وذلك لقلة المعاصي فيه من

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم(١٧٩٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم، رقم(١٧٧٦)، ومسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم(١٧٩٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم(١٨٠٨).

المؤمنين.

والثالث: وصفدت الشياطين يعني: المردة منهم، كما جاء ذلك في رواية أخرى.

والمردة: يعني: الذين هم أشد الشياطين عداوة وعدوانًا على بني آدم. والتصفيد معناه: الغَلُّ، يعني: تغل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، وكل هذا الذي أخبر به النبي ﷺ حق، أخبر به نصحًا للأمة، وتحفيزًا لها على الخير، وتحذيرًا لها من الشر.

وأما حديث أبي هريرة الثاني، فقال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»، يعني أنه يجب على المسلمين أن يصوموا إذا رأوا الهلال ـ هلال رمضان ـ فإن لم يروه فلا صيام عليهم، ولهذا قال: «**فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» يعني: لو تغبى الهلال في غيم أو قطر أو ما أشبه ذلك فإنه يجب أن يكمل شعبان ثلاثين يومًا ثم يُصام، هذا لفظ البخاري.

ولفظ رواية مسلم: «**فصوموا ثلاثين يومًا**» وهذا فيما إذا غبي هلال شوال فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أنه متى خفي الهلال ليلة الثلاثين من شعبان، فإنه يجب أن يكمل شعبان ثلاثين يومًا. وإذا خفي ليلة الثلاثين من رمضان فإنه يكمل ثلاثين يومًا. والله الموفق.

* * *

٢١٨ـ باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

١٢٢٢ ـ عَنِ ابْنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلقَاهُ في كُلِّ لَيلَة مِنْ رَمَضَانَ فَيدَارِسُهُ القرآنَ، فلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيْحِ المُرْسَلَةِ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٢٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئزَرَ[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشـرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب الجود في شهر رمضان.

الجود: هو بذل المحبوب من مال أو عمل، والإنسان يجود بماله فيعطي الفقير ويهدي إلى الغني، ويواسي المحتاج. ويجود كذلك بعمله فيعين الإنسان في أموره: في سيارته، في دكانه، في بيته، فالجود هو بذل المال، أو العمل، وربما يدخل في ذلك أيضًا بذل الجاه، بأن يشفع لأحد

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم(٥)، ومسلم: كتاب الفضائل: باب كان النبي ﷺ أجود الناس، رقم(٤٢٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، رقم(١٨٨٤)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، رقم(٢٠٠٨).

أو يتوسط له في جلب منفعة أو دفع مضرة، أو ما أشبه ذلك.

وكان النبي ﷺ كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أجود الناس» بماله وبدنه وعلمه ودعوته ونصيحته، وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان لأن رمضان شهر الجود، يجود الله فيه على العباد، والعباد الموفقون يجودون على إخوانهم، والله تعالى جواد يحب الجود، وكان النبي ﷺ ينزل عليه جبريل في رمضان كل ليلة يدارسه القرآن من أجل أن يثبته في قلبه، وأن يحصل الثواب بالمدارسة بينه وبين جبريل، وجبريل عليه الصلاة والسلام ينزل لكن على كيفية لا نعلمها، لأنه مَلَكٌ من الملائكة، والملائكة لا يُرَون إلا إذا شاء الله عزَّ وجلَّ.

كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، أجود بالخير من الريح المرسلة أي: أنه يسارع إلى الخير عليه الصلاة والسلام، ويجود به، حتى إنه أسرع من الريح المرسلة، يعني: التي أرسلها الله عزَّ وجلَّ فهي سريعة عاصفة، ومع ذلك فالرسول ﷺ أجود بالخير من هذه الريح في رمضان.

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل أي أحياه بالذكر، والقراءة والصلاة، والعبادة، وأيقظ أهله، وشد مئزره، أيقظهم ليصلوا، وشد المئزر أي: تأهب تأهبًا كاملاً للعمل؛ لأن شد المئزر معناه أن الإنسان يتأهب للعمل، ويتقوى عليه، وقيل: معنى شد المئزر، أنه يتجنب النساء، عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يتفرغ للعبادة، وكلاهما صحيح.

النبي ﷺ يتفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان، ويحيي الليل كله بطاعة الله، فهذا من الجود بالنفس، لكنه جود في حق الله عزَّ وجلَّ، والله هو الذي يمنُّ على من يشاء من عباده، إذا منّ عليك بالعمل فله المنة، يمنُّ عليك بالعمل أولاً، ثم يمنُّ عليك بقبوله ثانيًا، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

* * *

٢١٩ـ باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا من وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه

١٢٢٤ ـ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَومِ يومٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٢٢٥ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وأفْطِرُوا لرؤْيَتِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَابَةٌ فَأكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَومًا[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

«الغيابة» بالغين المعجمة وبالياء المثناة من تحت المكررةِ، وهي: السَّحَابَةُ.

١٢٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِن شَعْبَانَ فَلا تَصُومُوا[(٣)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي اليَقْظَانِ عمَّارِ بنِ يَاسرٍ رضي الله عنهما قال: «مَنْ صَامَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب لا يتقدمن رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم(١٧٨١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، رقم(١٨١٢).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال، رقم(٢٦٢٤)، والنسائي: كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على منصور، رقم(٢١٠١).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، رقم(١٩٩٠)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان، رقم(٦٦٩).

اليومَ الذي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ[١]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب النهي عن تقدم رمضان بصومٍ بعد منتصف شعبان، ثم ذكر أحاديث ـ رحمه الله تعالى ـ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يتقدم الرجل رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا من له عادة، مثل أن يكون من عادته أن يصوم يوم الإثنين، فصادف يوم الإثنين قبل رمضان بيوم أو يومين، فلا بأس، أو يكون من عادته أن يصوم أيام البيض، ولم يتمكن أن يصوم اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ولم يتيسر إلا أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين، فلا بأس، وهذا يدل على أن المقصود بالنهي خوفًا من أن يحتاط الإنسان لدخول رمضان، فيقول: أصوم قبله بيوم أو يومين احتياطًا، فإن هذا الاحتياط لا وجه له، ولهذا قال ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** ـ أي لرؤية الهلال ـ **فإن حال بينكم وبينه غيابة** ـ يعني غيم أو قطر أو ما أشبه ذلك ـ **فأكملوا العدة ثلاثين يومًا**» يعني عدة شعبان.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب كراهية صوم يوم الشك، رقم(١٩٨٧)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك، رقم(٦٢٢)، والنسائي: كتاب الصوم، باب صيام يوم الشك، رقم(٢١٥٩)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام يوم الشك، رقم(١٦٣٥).

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في هذا النهي، هل هو نهي تحريم أو نهي كراهة؟! والصحيح أنه نهي تحريم، لا سيما اليوم الذي يشك فيه فإن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «من صام اليوم الذي يُشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ».

وعلى هذا نقول: لا يجوز للإنسان أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين إلا من له عادة، ولا يجوز أن يصوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا كان في الليلة غيم أو قطر يمنع من رؤية الهلال مطلقًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**».

وأما النهي عن الصوم بعد منتصف شعبان فإنه وإن قال الترمذي: حسن صحيح. فإنه ضعيف، قال الإمام أحمد: إنه شاذ، إنه يخالف حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تصوموا قبل رمضان بيوم أو يومين**». فإن مفهومه أنه يجوز أن يصوم قبل رمضان بثلاثة أيام، وأربعة أيام، وعشرة أيام.

وحتى لو صح الحديث فالنهي فيه ليس للتحريم وإنما هو للكراهة، كما أخذ بذلك بعض أهل العلم ـ رحمهم الله ـ إلا من له عادة بصوم، فإنه يصوم ولو بعد نصف شعبان، وعلى هذا فيكون الصيام ثلاثة أقسام:

الأول: بعد النصف إلى الثامن والعشرين، هذا مكروه إلا من اعتاد الصوم، لكن هذا القول مبني على صحة الحديث، والإمام أحمد لم يصححه، وعلى هذا فلا كراهة.

والثاني: قبل رمضان بيوم أو يومين، فهذا محرم إلا من له عادة.

والثالث: يوم الشك: فهذا محرم مطلقًا، لا تصم يوم الشك، لأن النبي ﷺ نهى عنه.

ولكن كما قلت يظهر أن النهي لمن أراد أن يجعله من رمضان، وأما من أراد التطوع به فإنه يحرم تحريم الذرائع، يعني: بمعنى أنه يخشى أن الناس إذا رأوا هذا الرجل قد صام ظنوا أنه صام احتياطًا، وهذا لا يجوز أن يحتاط «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» والله الموفق.

* * *

٢٢٠ـ باب ما يُقال عند رؤية الهلال

١٢٢٨ ـ عَنْ طَلحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأى الهِلالَ قالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ والإيمانِ، والسَّلاَمَةِ والإسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ[1]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، رقم(٣٣٧٣).

٢٢١ ـ باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر

١٢٢٩ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً[١]» متفقٌ عليه.

١٢٣٠ ـ وعَنْ زَيد بن ثابِت رضي الله عنه قالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قال: قَدْرُ خَمْسِيْنَ آيَةً[٢]. متفقٌ عليه.

١٢٣١ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: كانَ لِرسُولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلالٌ، وابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلاَّ أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا[٣]. متفقٌ عليه.

١٢٣٢ ـ وَعَنْ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحْرِ[٤]» رواه مسلم.

الشـرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل السحور يُقال: السَّحور والسُّحور، فالسَّحور: الأكل الذي يتسحر به الإنسان، والسُّحور (بالضم): الفعل يعني: تسحُّر الإنسان.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب، رقم(١٧٨٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الفجر، رقم(٥٤٢)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٣٦).

(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم(١٨٣٦).

والسحور حث عليه النبي ﷺ بقوله وأيده بفعله، فقال النبي ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» فأمر، وبيَّن. أمر بأن نتسحر، وبيَّن أنَّ في السحور بركة، فمن بركة السحور امتثال أمر النبي ﷺ وامتثال أمر النبي ﷺ كله خير، كله أجر وثواب، ومن بركته أنه معونة على العبادة، فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإذا تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار، وفي وسط النهار، وفي آخر النهار، ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن بركته، أنه يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين، ولهذا بيَّن النبي ﷺ أن فصل ما بيننا وبين صيام أهل الكتاب أكلة السحر، يعني السحور؛ لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر. أما المسلمون ولله الحمد فيأكلون في السحر، في آخر الليل.

والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن التشبه بهم، قال: «**خالفوا المجوس، وفروا اللحى، وحفوا الشوارب**[1]» يعني: أرخوا اللحى، لا تَقصُّوها ولا تحلقوها، وقال ﷺ: «من تشبه بقومٍ فهو منهم[2]». وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبوداود: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم(٣٥١٢).

الإفطار وأخروا السحور[١]**»، وقال ﷺ: «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**[٢]**».**

وأما قوله في الرواية التي ساقها المؤلف: «ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا» فهذه مدرجة في الحديث، شاذة، ليست صحيحة؛ لأن أمر النبي ﷺ بالأكل والشرب حتى يؤذن ابن أم مكتوم دليلٌ على أن بينهما فرقًا كبيرًا يتسع للأكل والشرب والسحور، فهي جملة ضعيفة شاذة، لا عمدة عليها. وقد بيَّن زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية، خمسون آية: من عشر دقائق إلى ربع الساعة، إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة أو دون ذلك. وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر، ثم إنه ينبغي للإنسان عند تسحره أن يستحضر أنه يتسحر امتثالاً لأمر الله ورسوله، ويتسحر مخالفة لأهل الكتاب، وكرهًا لما كانوا عليه، ويتسحر رجاء البركة في هذا السحور، ويتسحر استعانة به على طاعة الله، حتى يكون هذا السحور الذي يأكله خيرًا وبركة وطاعة. والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا يمنعنكم، رقم(١٧٨٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم(١٨٢٩).

٢٢٢ـ باب فضل تعجيل الفطر
وما يفطر عليه وما يقوله بعد الإفطار

١٢٣٣ ـ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ[١]» متفقٌ عليه.

١٢٣٤ ـ وَعَنْ أَبِي عَطِيَّةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا ومسْرُوقٌ عَلَى عائشَةَ رضي الله عنها فقالَ لهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كِلاهُمَا لا يَألُو عنِ الخَيْرِ: أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ، والآخَرُ يُؤَخِّرُ المغْربَ والإفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ والإفْطَارَ؟ قالَ عَبْد اللهِ ـ يعني ابن مسعودٍ ـ فَقَالَتْ: هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ[٢]» رواه مسلم.

قوله: «لا يَألُو» أَيْ لا يُقَصِّرُ في الخير.

١٢٣٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قَال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِليَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا[٣]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٣٦ ـ وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَقبَلَ اللَّيلُ مِنْ هاهُنا وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هاهُنَا، وغَرَبَتِ الشَّمسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ[٤]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه٨٢٩)البخاري: كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطارو رقم(١٨٢١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٣٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور، وتأكيد استحبابه، رقم(١٨٤٠).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٣٧)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في تعجيل الإفطار، رقم(٦٣٦).

(٤) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، رقم(١٨١٨)، ومسلم: =

١٢٣٧ ـ وَعَنْ أَبِي إبراهيم عبدِ الله بن أبي أَوفى رضي الله عنهما قالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ صائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «يَا فُلانُ انْزِلْ فاجْدَحْ لَنَا» فقَال: يَا رسُولَ الله لَوْ أَمْسَيْت؟ قالَ: «انزِلْ فَاجدَح لَنَا» قالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قال: «انزِل فَاجْدحْ لَنَا» قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ فَشَرِبَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَد أَفْطَرَ الصَّائِمُ» وأَشَارَ بِيدِهِ قِبَلَ المشرقِ[1]. متفقٌ عليه.

قوله: «اجْدَحْ» بجيم ثُمَّ دالٍ ثُمَّ حاءٍ مهملتين، أي: اخْلِطِ السويقَ بالمَاءِ.

١٢٣٨ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِيِّ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا أَفْطَرَ أَحدُكُمْ، فَلْيُفْطِر عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ فإِنَّهُ طَهُورٌ[2]».

رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٣٩ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قبلَ أنْ يُصَلِّي عَلى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فتُمَيْراتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَواتٍ مِنْ مَاءٍ[3]. رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

= كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، رقم(١٨٤١).

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، رقم(١٨١٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، رقم(١٨٤٢).

(٢) رواه أحمد (١٧/٤)، وأبوداود: كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم(٢٠٠٨)، والترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، رقم(٥٩٤)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء على ما يستحب الفطر، رقم(١٦٨٩).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم(٢٠٠٩)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار، رقم(٦٣٢).

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر به وما يُقال عند الفطور.

هذه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعجيل الفطر، لكن بشرط أن يتحقق غروب الشمس، لقول النبي ﷺ في حديث عمر بن الخطاب الذي ساقه المؤلف: «**إذا أقبل الليل من هاهنا** ـ يعني من المشرق ـ **وأدبر النهار من هاهنا** ـ يعني من المغرب ـ **وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**». فإذا بادر الإنسان بالفطر من حين أن يغرب قرص الشمس، ولو كان البياض ظاهرًا، والشعاع في الأفق، ما دام قرص الشمس قد غاب، فأفطر، وبادر، وهذه هي السنة القولية والفعلية من الرسول ﷺ.

أما الفعلية: فدليلها حديث عائشة رضي الله عنها حين سألها عطية ومسروق عن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ أحدهما يؤخر الفطر، ويؤخر صلاة المغرب، والثاني يعجل الفطر ويعجل صلاة المغرب، أيهما أصوب؟ فقالت عائشة: «من هذا؟!» أي الذي يعجل، قالوا: ابن مسعود رضي الله عنه، فقالت: «**هكذا كان النبي ﷺ يفعل**». يعني: يعجل الفطر، ويعجل صلاة المغرب، هذه سنة فعلية، تدل على أن الأفضل تقديم الإفطار.

أما القولية: فحديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس**

بخير ما عجلوا الفطر» فما دام الناس يبادرون إلى السنة ويتسابقون إلى الخير، فهم بخير، لا يزالون بخير، أما إذا تباطأوا ولم يفطروا مبادرين فإن ذلك هو الشر، ولهذا كان الرافضة المخالفون لسنة الرسول ﷺ يؤخرون الفطور، لا يفطرون إلا إذا اشتبكت النجوم، فيحرمون من الأجر والثواب، ويحرمون من تعجيل إعطاء النفوس حظوظها من الأكل والشرب، يعذبون في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الإنسان إذا تأخر وهو مثلاً عطشان أو جائع يتألم أكثر، فهم يؤلمون أنفسهم بتأخير الفطور، ويخالفون السنة، ويفوتهم الأجر.

ثم إن المؤلف - رحمه الله تعالى - ذكر أن الأفضل أن يفطر على رطب، فإن لم يجد فتمر، فإن لم يجد فماء، لأن النبي ﷺ كان يفطر على رطيبات قليلة، لا يكثر؛ لأنه لا ينبغي الإكثار عند الفطور، فإن المعدة خالية، فإذا أكثرت فهذا يضرك، أعطها شيئًا فشيئًا، قلل عند الفطور، ولهذا ليس من الطب أن الإنسان إذا أفطر، يتعشى مباشرة كما يفعل بعض الناس، بل الطب يقتضي أن تعطي المعدة الشيء القليل، لأنها خالية، فكان عليه الصلاة والسلام يفطر على رطيبات، فإن لم تكن فعلى تميرات، فإن لم تكن حسا حسوات أو حسيات من ماء، هكذا ينبغي أن تفطر على الرطب، ثم التمر، ثم الماء.

والرطب الآن - والحمد لله - موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرون الرطب الآن في الثلاجات، ويبقى مدة، فإذا وجدت رطبًا أو تمرًا فالأفضل أن تفطر على الرطب، فإن لم يكن عندك شيء، فالتمر،

فإن لم يكن عندك تمر فالماء.

فإن قال قائل: ليس عندي رطب ولا تمر، ولكن عندي خبز وماء، أيهما أفطر عليه؟ نقول أفطر على الماء، لأن النبي ﷺ أرشد إلى ذلك، وقال: «**إنه طهور**» يطهر المعدة والكبد، فلذلك أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نفطر على الماء، وإنما قدم الرطب والتمر؛ لأنه أنفع للبدن من الماء، لأنه حلوى وغذاء، وقوت، وقد قال أهل الطب: «إن الحلاوة التي في التمر هي أسرع شيء يتقبله الجسم من أنواع الحلوى، وإنها تسري إلى العروق فورًا». وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ، فهذا الذي ينبغي أن تفطر عليه؛ رطب، فإن لم تجد فتمر، فإن لم تجد فماء، فإن لم تجد ماء، فما تيسر من مأكول أو مشروب، فإن لم تجد كما لو كنت في البر وليس عندك شيء، فتكفي النية في القلب يعني نية الفطر وإنهاء الصوم، وإذا عثرت على مطعوم أو مشروب بعد ذلك، فافعل وهذا هو المطلوب.

وفي قول الرسول ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم**».

قال بعض أهل العلم: «**فقد أفطر**» يعني: وإن لم ينو الفطر، يعني فقد انتهى صيامه، وأفطر حكمًا، وقال بعضهم: «**فقد أفطر**» أي: فقد حل له الفطر.

ولكن لا شك أنك إذا نويت الفطر ـ إذا لم يكن عندك ما تأكله وتشربه ـ فهو أحسن وأفضل، حتى تكون مبادرًا إلى الإفطار بالنية، لعدم القدرة

على الأكل والشرب. أما تعجيل صلاة المغرب هنا، فليس معناه تعجيل الأفعال يعني في نفس الصلاة، إنما تعجيلها هنا يعني بتقديمها فلا يتأخر في الإقامة، والله الموفق.

*　　*　　*

٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

١٢٤٠ - عَنْ أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه قَال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوم أحدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُل: إِنِّي صائمٌ[١]» متفقٌ عليه.

١٢٤١ - وعنهُ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ[٢]» رواه البخاري.

الشـرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه.

والمراد بذلك: أنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرم، وكل فعل محرم؛ لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. أي: من أجل أن تتقوا الله عزَّ وجلَّ وتجتنبوا محارمه، ولا يريد الله من عباده أن يضيق عليهم بترك الأكل والشرب والجماع، ولكن يريد أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نواهيه، حتى

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم(١٧٦١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم(١٩٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم(١٧٧٠).

يكون الصيام مدرسة يتعودون فيها على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، تارك للمحرم، قائم بالواجب، فإن ذلك سوف يغير من مجرى حياته.

ولهذا بيَّن الله الحكمة من ذلك بأنها التقوى، وقال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق**» يعني: لا يفعل فعلاً محرمًا، ولا يقول قولاً محرمًا، «**فإن سابه أحد**» يعني: صار يعيبه ويشتمه «**أو قاتله، فليقل إني صائم**» حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبين لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلاً، لكنه ذل لعبودية الله تعالى، وطاعة لله، وكذلك قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور**» يعني: القول المحرم «**والعمل به**» أي بالمحرم، و «**الجهل**» كما في لفظ آخر، يعني: العدوان على الناس «**فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» فليس لله حاجة في أن يدع الإنسان طعامه وشرابه؛ لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لأهم شيء وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات والله الموفق.

* * *

٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

١٢٤٢ - عَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَو شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ الله وسَقَاهُ[(١)]». متفقٌ عليه.

١٢٤٣ - وعن لَقيطِ بن صَبِرَةَ رضي الله عنه قال: قلتُ: يَا رسولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الوُضوءِ؟ قالَ: «أَسْبِغِ الوضُوءَ، وخلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ في الاستنْشَاقِ، إلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائمًا[(٢)]» رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٤٤ - وعنْ عَائشَةَ رضي الله عنها، قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِن أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ[(٣)]. متفقٌ عليه.

١٢٤٥ - وَعَنْ عائشَةَ وأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما قالتَا: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصْبِحِ جُنبًا مِنْ غيرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ[(٤)]. متفقٌ عليه.

الشــرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب في مسائل من الصوم يعني: مسائل متنوعة متفرقة، فمنها: إذا أكل الإنسان أو شرب وهو صائم ناسيًا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا، رقم(١٧٩٧)، ومسلم: كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه، رقم(١٩٥٢).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٣)، وأبوداود: كتاب الطهارة، باب في الاستنثار، رقم(١٢٣)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم، رقم(٧١٨)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب المبالغة في الاستنشاق، رقم(٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب المبالغة في الاستنشاق والاستنثار، رقم(٤٠١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب اغتسال الصائم، رقم(١٧٩٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم(١٨٦٥).

(٤) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنبًا، رقم(١٧٩١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم(١٨٦٤).

فهل يفسد صومه؟! والجواب هو في قول النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**» فإذا أكلت أو شربت ولو شبعت ورويت، وأنت ناسٍ في الصيام، فإن صومك كامل، ليس فيه نقص، ولهذا قال: «**فليتم صومه**» وفي قوله: «**فإنما أطعمه الله وسقاه**» دليلٌ على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا ينسب فعله إلى نفسه، وإنما ينسب إلى الله، كما قال الله تعالى: في أصحاب الكهف ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]. والذي يتقلب هو النائم، ولكن لما لم يكن له قصد نسب الله الفعل إليه، كذلك الناسي لم يتعمد فساد الصوم، نسي وأكل وشرب على العادة، نقول: صومك صحيح، وكذلك لو كان جاهلاً، مثل أن يحتجم وهو لا يدري أن الحجامة تفطر فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين أنه طالع، فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الشمس قد غربت لأنها غيم مثلاً فظن أن الشمس غابت، فأكل ثم تبين أن الشمس لم تغرب، فصيامه صحيح.

وقد وقعت هذه المسألة في عهد النبي ﷺ حينما كان الناس صائمين في يوم غيم، فأفطروا ظنًّا منهم أن الشمس قد غابت، ثم طلعت الشمس، ولم يأمرهم النبي ﷺ بقضاء الصوم؛ لأنهم لا يدرون، ولم يتعمدوا، ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك، حتى لو كانت اللقمة في فمه وجب عليه لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه، وجب عليه أن يريقه، وكذلك لو كان جاهلاً ثم أخبر بأنه يجب عليه أن يمسك، مثلاً لو رأى

إنسانًا يأكل ويشرب، يقول ما هذا وأنت صائم؟ قال: الشمس غربت. قال: الشمس لم تغرب. فيجب عليه أن يتوقف لأنه زال عنه العذر.

فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل، وأعرف أنه ناس، فهل علي أن أذكره؟! قلنا: نعم يجب أن تذكره؛ لأن أخاك إذا عذر بالنسيان وأنت علمت به، وجب عليك أن تذكره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: «إذا نسيت فذكروني[1]» فأمر أن يذكر إذا نسي، كذلك أيضًا إذا رأيت صائمًا يأكل ويشرب ناسيًا فذكره، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة، وجب عليك أن تخبره.

فالمهم أنه إذا وقع أخوك في شيء لا يحل له، فعليك أن تذكره، لأن النسيان كثير والخطأ كثير.

ثم ذكر المؤلف حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه، حيث قال له النبي ﷺ: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائمًا».

«أسبغ الوضوء» يعني: توضأ وضوءًا سابغًا كاملاً، والإسباغ: بمعنى الإكمال قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]. أي أكملها، والثاني «وخلل بين الأصابع» ولا سيما أصابع الرجلين، خلل بينهما بالماء؛ لأن أصابع الرجلين متلاصقة، وربما لا يدخل الماء من بينها، «وبالغ في

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم(٣٨٦)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم(٨٨٩).

الاستنشاق» يعني: استنشاق الماء عند الوضوء، «إلا أن تكون صائمًا» فلا تبالغ في الاستنشاق لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدل ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم، يعني أنه يفطِّر الصائم، وأما الإبر فإنها لا تفطر الصائم، الإبر التي تكون في الوريد أو تكون في اليد، أو تكون في الظهر، أو في أي مكان لا تفطر الصائم، إلا الإبر المغذية التي يستغني بها عن الأكل والشرب، فهذه تفطر الصائم، ولا يحل له إذا كان صومه فرضًا أن يستعملها إلا عند الضرورة فإذا اضطر إلى ذلك أفطر، واستعمل الإبر، وقضى يومًا مكانه.

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا فيصوم ثم يغتسل. وهذا أيضًا جائز. يعني: يجوز للجنب أن ينوي الصوم، وإن لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، وفي حديث عائشة وأم سلمة دليلٌ على أن أفعال النبي ﷺ حجة يحتج بها، ولا يُقال هذا من خصائصه، لأن الأصل عدم الخصوصية، فإذا فعل النبي ﷺ فعلاً، فهو حق، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان عادة فهو عادة، وليس بمحرم، والله الموفق.

* * *

٢٢٥- باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

١٢٤٦ - عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاةُ اللَّيْلِ[١]» رواه مسلم.

١٢٤٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالتْ: لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ يَصُوم مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فإنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كلَّه، وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعبَانَ إلا قَلِيلاً[٢]. متفقٌ عليه.

١٢٤٨ - وَعَنْ مجِيبَةَ البَاهِلِيَّةِ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عَمِّهَا، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ ثمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بعدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُه وَهَيئَتُهُ، فَقَالَ: يَا رسُولَ اللهِ أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «وَمَنْ أَنتَ؟» قالَ: أَنَا البَاهليُّ الذي جِئتُكَ عامَ الأوَّل. قَال: «فَمَا غَيَّرَك، وَقَد كُنتَ حَسَنَ الهَيئَةِ؟» قالَ: مَا أَكلتُ طَعَامًا منذُ فَارَقْتكَ إلاَّ بِلَيْلٍ. فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «عَذَّبتَ نَفسَك!» ثُمَّ قَالَ: «صُمْ شَهرَ الصَّبرِ، وَيَومًا مِنْ كُلِّ شَهرٍ» قالَ: زِدنِي فَإِنَّ بِي قوةً، قَال: «صُمْ يومَينِ» قَال: زِدْنِي، قَال: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» قَالَ: زِدنِي، قالَ: «صُمْ مِنْ الحُرُمِ واترُكْ، صُمْ مِنْ الحُرمِ واترُكْ، صُمْ مِنَ الحَرُمِ واتْرُكْ» وقالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا[٣]. رواه أبو داود.

و«شهر الصَّبْر»: رَمَضَانُ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، رقم(١٩٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم شعبان، رقم(١٨٣٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير، رقم(١٩٥٧).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم، رقم(٢٠٧٣).

الشـــرح

في هذا الباب ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بيان ما يسن صومه من الأيام والشهور، فمن ذلك: صوم شعبان، فقد كان النبي ﷺ يصومه كله أو كله إلا قليلاً كما روت عنه ذلك عائشة رضي الله عنها، ولهذا ينبغي للإنسان أن يكثر من الصيام في شهر شعبان أكثر من غيره لأن النبي ﷺ كان يصومه.

قال أهل العلم: والحكمة من ذلك أنه يكون بين يدي رمضان كالرواتب بين يدي الفريضة.

ومن ذلك أيضًا شهر الله المحرم، وشهر الله المحرم هو ما بين ذي الحجة وصفر، قال فيه النبي ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**» ويتأكد أن يصوم منه العاشر، أو العاشر والتاسع، أو التاسع والعاشر والحادي عشر.

ومن ذلك أيضًا أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، كما في حديث الباهلي «وقد كان النبي ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، لا يبالي أصامها من أول الشهر أو وسطه أو آخره» لكن أيام البيض أفضل، وهي يوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

ومن ذلك أيضًا أن يصوم يوم عرفة؛ لأن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: «**إنه يكفر السنة الماضية والباقية**[1]» يعني يكفر سنتين.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

وفي حديث الباهلي الذي صام سنة كاملة حتى تغيرت هيئته، وضعفت حاله، وجاء إلى النبي ﷺ فقال له: هل تعرفني؟ قال: «من أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي أتيتك عام أول، فأخبره بما كان يصنع، وأنه لم يترك الصوم منذ فارقه، فقال له النبي ﷺ: «**عذبت نفسك**». وفي هذا دليلٌ على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا يطيق، وأن يعذب نفسه، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. والله الموفق.

* * *

٢٢٦ـ باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

١٢٤٩ ـ عَنِ ابْنِ عَباسٍ رضي الله عنهما قَال: قَال رسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ أيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحبُّ إلى الله مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ» يعني: أيام العشر، قَالوا: يَا رسُولَ اللهِ ولا الجِهَادُ في سبيلِ اللهِ؟ قَال: «وَلاَ الجِهَادُ فِي سبيلِ الله، إلاَّ رَجلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ[1]» رواه البخاري.

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم(٩١٦).

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعا

١٢٥٠ - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله تعالى عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ قَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ والبَاقِيَةَ[1]» رواه مسلِمٌ.

١٢٥١ - وَعَنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رسُولَ الله ﷺ، صَامَ يَومَ عاشُورَاءَ، وأَمَرَ بِصِيَامِهِ[2]. متفقٌ عليه.

١٢٥٢ - وَعَن أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فقَال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيةَ[3]» رواهُ مسلمٌ.

١٢٥٣ - وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ[4]» رواه مسلمٌ.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم(١٨٦٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، رقم(١٩١١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، رقم(١٩١٧).

٢٢٩ـ باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

١٢٥٤ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهرِ[1]» رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه الأبواب الثلاثة التي عقدها الحافظ النووي - رحمه الله - في بيان أيامٍ يسن صيامها، فمنها: ـ أي: مما يسن صيامه ـ أيام العشر، عشر ذي الحجة الأُوَّل؛ فإن النبي ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» يعني أيام العشر، وقوله: «**العمل الصالح**» يشمل الصلاة، والصدقة، والصيام، والذكر، والتكبير، وقراءة القرآن، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ما من أيام في السنة يكون العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**».

ففي هذا دليلٌ على فضيلة العمل الصالح في أيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة، من صيام وغيره، وفيه دليلٌ أيضًا على أن الجهاد من أفضل الأعمال، ولهذا قال الصحابة: ولا الجهاد في سبيل الله؟!. وفيه دليلٌ على فضيلة هذه الحال النادرة، أن يخرج الإنسان مجاهدًا في سبيل

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال، رقم(١٩٨٤).

الله بنفسه وماله، ومالُه يعني: سلاحه ومركوبه، ثم يقتل، ويؤخذ سلاحه ومركوبه، ويأخذه العدو، فهذا فقد نفسه وماله في سبيل الله، فهو من أفضل المجاهدين، فهذا أفضل من العمل الصالح في أيام العشر، وإذا وقع هذا العمل في أيام العشر تضاعف فضله.

ومن الأيام التي يسن صيامها: يوم عرفة، واليوم العاشر من شهر المحرم لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئل عن صوم يوم عرفة، قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**» الماضية يعني: التي انتهت؛ لأن يوم عرفة في آخر شهر من العام، والباقية. فهو يكفر سنتين.

وسُئل عن صوم يوم عاشوراء، قال: «**يكفر السنة الماضية**» فهو أقل أجرًا من صوم يوم عرفة، ومع ذلك ينبغي أن يصوم مع عاشوراء تاسوعاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**» يعني: مع العاشر.

ولأنه أمر أن يُصام يومًا قبله أو يومًا بعده، مخالفة لليهود؛ لأن يوم عاشوراء - يعني يوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فكان اليهود يصومونه شكرًا لله عزَّ وجلَّ على هذه النعمة العظيمة؛ أن الله أنجى جنده، وهزم جند الشيطان، أنجى موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فهو نعمة عظيمة، ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم نجّا الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه فنصومه شكرًا لله، فقال: «**نحن أولى بموسى منكم**». لماذا؟ لأن النبي ﷺ والذين

معه أولى الناس بالأنبياء السابقين﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فرسول الله ﷺ أحق بموسى من اليهود، لأن اليهود كفروا به، وكفروا بعيسى، وكفروا بمحمد، فصامه وأمر الناس بصيامه، إلا أنه أمر أن يخالفوا اليهود الذين لا يصومون إلا يوم العاشر، كأن نصوم التاسع، أو الحادي عشر، مع العاشر، أو الثلاثة. ولهذا ذكر بعض أهل العلم رحمهم الله كابن القيم وغيره أن صيام عاشوراء ثلاثة أقسام:

١ _ أن نصوم عاشوراء والتاسع، وهذا أفضل الأنواع.

٢ _ أن نصوم عاشوراء والحادي عشر، وهذا دون الأول.

٣ _ أن نصوم عاشوراء وحده فكرهه بعض العلماء؛ لأن النبي ﷺ أمر بمخالفة اليهود، ورخص فيه بعض العلماء.

وكذلك من الأيام التي يسن صيامها، ستة أيام من شوال، كما في حديث أبي أيوب، أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال فكأنما صام الدهر» فسّر العلماء ذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، فيكون رمضان شهرًا بعشرة أشهر، ويكون الستة بستين يومًا، وهم شهران، فعلى هذا يسن للإنسان إذا أتمَّ صيام رمضان أن يصوم ستة أيام من شوال.

وليعلم أنها لا تصام قبل القضاء، يعني: لو كان على الإنسان يوم واحد من رمضان، وصام الست، فإنه لا يحصل على أجر ذلك، لأن الرسول ﷺ قال: «من صام رمضان» ومن عليه يوم واحد من رمضان لم

يكن صامه، بل صام أيامًا منه، من كان عليه يوم فقد صام تسعة وعشرين، ومن كان عليه يومان فقد صام ثمانية وعشرين، ما صام الشهر، والرسول ﷺ يقول: «**من صام رمضان**» فإذا صمت رمضان وصمت ستة أيام بعده من شوال فكأنما صمت الدهر كله.

وسواء صمتها من ثاني يوم العيد وأتبعت بعضها بعضًا، أو صمتها بعد يومين أو ثلاثة، أو صمتها متتابعة، أو صمتها متفرقة، الأمر في هذا واسع، لكن لو أنك تساهلت حتى خرج شوال وصمت، فإنها لا تكون بهذا الأجر، اللهم إلا من كان معذورًا، مثل أن يكون مريضًا، أو امرأة نفساء أو مسافرًا، ولم يصم في شوال وقضاها في ذي القعدة، فلا بأس.

* * *

٢٢٩- باب استحباب صوم الإثنين والخميس

١٢٥٥ - عن أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَن صَومِ يَومِ الإثنينِ فَقَالَ: «ذَلِكَ يَوْمٌ ولدتُ فيه، ويَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنزِلَ عَليَّ فِيهِ[(١)]» رواه مسلمٌ.

١٢٥٦ - وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «تُعْرَضُ الأعْمَالُ يَومَ الإثنَينِ والخميسِ، فَأحبُّ أنْ يُعْرَضَ عَملي وَأَنَا صَائِمٌ[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، ورواه مسلمٌ بغير ذكر الصوم.

١٢٥٧ -وَعَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَتَحَرّى صَومَ الإثْنَينِ والخَمِيسِ[(٣)]. رواه الترمذي: وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٧).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، رقم(٦٧٨).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٦)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، رقم(٦٧٦).

٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضلُ صومُها في الأيام البِيض، وهيَ: الثالث عَشَرَ، والرابعَ عشرَ، والخامِسَ عَشرَ. وقِيلَ: الثاني عَشرَ، والثالِثَ عَشرَ، والرَّابعَ عَشرَ، والصحيحُ المشهورُ هوَ الأوَّلُ.

١٢٥٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال: أوْصَاني خَلِيلِي ﷺ بثلاثٍ: صِيَامُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ، ورَكعْتَي الضُحَى، وأن أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ[١]. متفقٌ عليه.

١٢٥٩ - وَعَنْ أَبِي الدَّرداءِ رضي الله عنه قال: أوْصاني حَبِيبي ﷺ بِثلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ ما عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُحَى، وبِأن لا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ[٢]. رواه مسلم.

١٢٦٠ - وعَنْ عبدِ الله بن عَمْرٍو بن العَاص رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «صومُ ثلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ صومُ الدهْرِ كُلِّه[٣]» متفقٌ عليه.

١٢٦١ - وعَنْ مُعَاذَةَ العَدَوِيَّةِ أَنَّهَا سَأَلت عائشةَ رضي الله عنهما: أَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كلِّ شهرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: مِنْ أيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالي مِن أي الشَّهْرِ يَصُومُ[٤]. رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صيام أيام البيض، رقم(١٨٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام، رقم(١٨٤٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم(١٩٦٧).

(٤) رواه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(١٩٧٤).

١٢٦٢ ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثلاثًا، فَصُمْ ثلاث عَشْرَةَ، وأَرْبَعَ عَشرَةَ، وخَمْسَ عَشرَةَ[(١)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٣٦ ـ وَعَنْ قَتَادَةَ بنِ مِلحَانَ رضي الله عنه قَال: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَأمُرُنَا بِصِيَامِ أيَّامِ البيضِ: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وخَمْسَ عَشرَةَ[(٢)]. رواهُ أبوداود.

١٢٦٤ ـ وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كانَ رسُولُ الله ﷺ لا يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ في حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ[(٣)]. رواه النسائي بإسنادٍ حسنٍ.

الشــرح

هذان البابان عقدهما المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان فضل صوم يوم الإثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر.

أما يوم الإثنين: فإن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: **«ذاك يوم ولدت فيه، وبعثت أو أنزل عليَّ فيه»** وكذلك مات فيه عليه الصلاة والسلام، فيوم الإثنين ولد فيه النبي ﷺ لكن في أي شهر؟ لم يتبين، هل هو في شهر ربيع الأول، أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم(٦٩٢).

(٢) رواه أحمد (٥/٢٨)، وأبوداود: كتاب الصوم، باب في صوم الثلاث من كل شهر، رقم(٢٠٩٣).

(٣) رواه النسائي: كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ، رقم(٢٣٠٥).

المؤكد أنه ولد في يوم الإثنين، وكذلك أيضًا أنزل على الرسول ﷺ فيه، يعني: أول ما نزل عليه القرآن في يوم الإثنين.

والراوي شك، هل قال: (أنزل) أو (بعثت)؟، وبينهما فرق؛ لأنه أنزل عليه القرآن قبل أن يبعث، أنزلت عليه سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١]. وبهذا صار نبيًّا وأنزل عليه، وأما البعث وهو الإرسال، فإنما كان بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]. وهذا بعد الأول. وعلى كلٍّ صار هذا اليوم فيه مناسبات شريفة عظيمة، ولادة الرسول ﷺ وإنزال الوحي عليه، أو إرساله إلى الناس.

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر ففيه أحاديث: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأبي الدرداء، وأبي ذر رضي الله عنهم، هؤلاء الثلاثة أوصاهم النبي ﷺ بوصية واحدة، لكن كل واحد في وقت.

أوصاهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**» يعني: ثلاثة أيام - والحسنة بعشر أمثالها - تكون ثلاثين يومًا، فتكون صوم الدهر كله.

أوصاهم بثلاثة أيام من كل شهر، ولم يعين، لم يقل: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وأوصاهم أيضًا بركعتي الضحى.

وركعتا الضحى وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح أي من نحو ثلث ساعة بعد طلوع الشمس إلى قبيل الزوال أي إلى ما قبل الزوال بنحو عشر

دقائق، كل هذا وقت لركعتي الضحى.

وتسن كل يوم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن كل عضو من أعضاء بني آدم يصبح كل يوم عليه صدقة**[١]» مقابلة للأعضاء. والأعضاء ثلاثمائة وستون عضوًا في كل إنسان، إذًا عليك كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة. لكن الصدقات ليست لازمة بالمال، فكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، حتى إعانة الرجل في دابته صدقة، وحتى جماع الرجل لأهله صدقة.

ولكن قال النبي ﷺ: «**ويجزي من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى**[٢]» إذا أنت ركعت ركعتين من الضحى أديت الواجب عليك من الصدقات، وبقي الباقي تطوعًا.

أما الثالث: «**وأن أوتر قبل أن أنام**» وهذا لمن يخشى أن لا يقوم من آخر الليل فيحتاط لنفسه، أما الذي يطمع أن يقوم من آخر الليل، فليجعل وتره في آخر الليل. هكذا جاءت السنة عن النبي ﷺ.

قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا؛ لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه في أول الليل يتحفظ أحاديث رسول الله ﷺ وينام في آخر الليل.

ثم إن الأيام الثلاثة يجوز أن تصومها في العشر الأول، أو في العشر

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم(١١٨١).

الأوسط، أو في العشر الأخير، أو كل عشرة أيام يوم، أو كل أسبوع يوم، كل هذا جائز، والأمر واسع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لا يبالي من أي الشهر صامها، من أوله أو من وسطه أو من آخره. لكن اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، أحسن وأفضل، لأنها أيام البيض.

أما صوم يوم الخميس فهو أيضًا سنة، لكنه دون صوم يوم الإثنين، صوم يوم الإثنين أفضل، وكلاهما فاضل.

وإنما كان صيامهما فاضلاً؛ لأنه يروى عن النبي ﷺ أن الأعمال تعرض فيهما على الله، قال: «فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم».

وأفضل الصيام صيام داود، أن يصوم الإنسان يومًا ويفطر يومًا، هذا لمن قدر ولم يكن عليه مشقة، ولم يضيع بسببه الأعمال المشروعة الأخرى، ولم يمنعه عن تعلم العلم؛ لأن هناك عبادات أخرى، إذا كان كثرة الصيام يعجزك عنها فلا تكثر الصيام... والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٢٣١- باب فضل من فطر صائمًا
وفضل الصائم يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

١٢٦٥ - عَنْ زَيدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كانَ لهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شيءٌ[١]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٦٦ - وعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأنصارِيَّةِ رضي الله تعالى عنها، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إلَيْهِ طَعَامًا، فقَالَ: «كُلي» فقَالَتْ: إنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ إذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرَغُوا» وَرُبَّمَا قال: «حَتَّى يَشْبَعُوا[٢]». رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٢٦٧ - وعَن أنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَ إلى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قالَ النبيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائمون، وأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الملائِكَةُ[٣]» رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

الشـــرح

باب فضل من فطر صائمًا هو آخر ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين فيما يتعلق بالصيام، وذلك أن من نعمة الله

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١١٤)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا، رقم(٧٣٥).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصائم إذا أُكل عنده، رقم(٧١٦).

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٣٨)، وأبوداود: كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، رقم(٣٣٥٦)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائمًا، رقم(١٧٣٧).

سبحانه وتعالى على عباده أن شرع لهم التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك تفطير الصائم، لأن الصائم مأمور بأن يفطر، وأن يعجل الفطر، فإذا أُعينَ على هذا فهو من نعمة الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من فطر صائمًا، فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء**».

واختلف العلماء في معنى قوله (من فطر صائمًا)، فقيل إن المراد من فطره على أدنى ما يفطر به الصائم ولو بتمرة. وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله وربما يستغني به عن السحور، ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان إذا فطّر صائمًا ولو بتمرة واحدة فإن له مثل أجره، ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على تفطير الصوام بقدر المستطاع لاسيما مع حاجة الصائمين وفقرهم أو حاجتهم لكونهم ليس في بيوتهم من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك.

ثم ذكر رحمه الله تعالى كتاب الاعتكاف.

❊ ❊ ❊